BARHOUT WELL

عمرو المنوفي

بئر برهوت

رواية

دائما ما تحقق الحياة أمنياتنا، بأسوأ الطرق.

أنشودة الطلاسم

الموت طلسم مخيف..

ولن أنكر ذلك..

ولكن الحياة طلسم مخيف أكثر..

ولا أحد ينكر ذلك..

والخيار بينهما طلسم مفزع

ولن أنكر ذلك..

ولكن موتنا جميعا طلسم معقد

ولا أحد ينكر ذلك..

الاختيار طلسم

والاجبار طلسم

وكل الطلاسم تؤدي لطلسم كبير

وأنا وهم لن ننكر ذلك.



الحرام

انتفض جسد (ندى) في قوة، فاهتز فراشها وأصدر صريرًا مزعجًا، وبدا وكأنها ستستفيق من نومها القلق مع عنف انتفاضتها، وذلك العرق الغزير الذي أغرق وجهها، ونصفها العلوي بالكامل، ولكنها على عكس المتوقع تقلبت في فراشها وأكملت نومها، بعد أن هزمها جسدها المرهق، وعادت لتغوص في قلب الكابوس المرعب، الذي يتكرر هذه الأيام دون هوادة، والذي يطاردها في تلك الفترة التي تعد الأسوأ في عمرها كله.

وفي ظلام الكابوس رأت نفسها تسير وحيدة في منتصف طريق شبه مظلم غير ممهد، يطل قمره الخجول على استحياء، وقد أحاطت بها من كل اتجاه العشرات من الأيدي المخلبية المنتهكة، التي كانت تحاول دون كلل أو ملل، نزع ثيابها عنها، والعبث بمفاتنها، وأعضائها الحساسة، بينما هي تقاتل في استماتة كي تبتعد عنها، وتستر نفسها ببقايا ثيابها التي تمزقت من وحشية الصراع، ولكن تلك الأيدي لم ترأف بها أو تتوقف عن مطاردتها برغم صراخها المدوي الذي لم ينقطع لحظة، وتوسلاتها لها بأن تبتعد عنها، ولا تهتك سترها، وتورثها فضيحة كبرى.

وبكل ذعرها اندفعت تركض في مسارات متعرجة عبر

الطريق المظلم، وهي تهتدي بضوء القمر الشاحب، في محاولة منها كي تتحاشى الأيدي المنتهكة التي كانت تطاردها بإصرار مرعب، وقد راحت دموعها الغزيرة تنهمر على وجنتيها، وهي تواصل توسلاتها، وتردد في انهيار:

-الرحمة.. الرحمة.. لا تلمسوني.. لا تلمسوني.

وكلما أحست بالبرودة أو الملمس المقزز لتلك الأيدي الخبيثة على أي جزء من أجزاء جسدها، الذي يكاد ينهار من فرط الإنهاك من طول فترة المطاردة، كانت تنتفض وتزيحها في عصبية، وتغير اتجاهها، وهي تصرخ في هلع، وترجوها أن تبتعد وتتركها..

وعندما عبرت ذلك الطريق المظلم الذي غزته البرودة، إلى ساحة مظلمة مترامية الأطراف لا نهاية لها، كان من الواضح أنها نهاية الطريق؛ انبثق فجأة أمامها، ومن قلب الظلام، وجه كريه عملاق تعرفه جيدًا..

وجه كان الأقرب لها في هذه الحياة منذ فترة قصيرة..

وجه كان الظهر والسند والأمان، قبل أن ينقلب كل شيء، وتتحول حياتها على يد صاحبه إلى جحيم..

وجه أصبحت تخشاه وتمقته أكثر من أي شيء في الوجود..

وبكل حقارة راح الوجه الكريه يبتسم لها في جنون، وفي عينيه تظهر ملامح رغبة محرمة جعلتها تتوتر وتنتفض، وهي تحاول ستر ما كشفته ثيابها الممزقة، وتتراجع إلى الخلف في رعب..

كانت حائرة بشدة، ولا تعرف أين المفر، والوجه الكريه أمامها! والظلام والبرد من حولها، والأيدي المخيفة من خلفها!

لذلك راحت في عصبية، تتلفت حولها وبصرها عاجز عن إيجاد أي مهرب، أو وسيلة للفرار.

رددت بصوت محموم، وهي تمسح المكان ببصرها في اضطراب:

-لقد ضعت.. لقد ضعت.. لا يوجد مهرب.

ظهر المكان أمام عينيها كفخ محكم، سقطت فيه بكل سذاجة!

وبجسد مرتجف استدارت تتطلع إلى الوجه العملاق في جزع، ودقات قلبها تتسارع في وتيرة مزعجة، وخوفها يتصاعد إلى حد غير مسبوق.

وعندما أيقنت من حتمية مصيرها، تسمرت في مكانها،

وأصبحت عاجزة عن التنفس، وأخذت رعدة شديدة تجتاح كيانها وكأنما أصابتها بالحمى.

حاولت الصراخ، فلم تستطع فتح فمها، ولم تستجب لها أحبالها الصوتية، والوجه المخيف يقترب.. ويقترب..

حركت قدميها في صعوبة، والوجه مازال يقترب..

نظراته الآثمة تلتهم جسدها في جشع..

عقلها غير مصدق أو مستوعب ما يحدث لها..

تتراجع إلى الخلف وقد وضعت كل إرادتها في قدميها، فيحتل الوجه المكان بالكامل..

ويقترب منها أكثر..

الوجه يهتز في قوة وينبت له جسد عملاق، ما جعلها تتراجع أسرع حتى سقطت على ظهرها، وهي تصرخ دون توقف بصوت ملتاع يمزق نياط القلوب، وقد شخصت عيناها باتجاهه وكأنه الموت..

اقترب منها الوجه العملاق المفعم بالرغبة المستعرة، لدرجة أنها شعرت بلهاثه وأنفاسه ورائحته الكريهة تضرب وجهها، فهبت من مكانها في فزع متجاهلة آلام جسدها، واستدارت لتركض نحو الطريق المظلم الذي انعدمت فيه الرؤية، والذي

تنتظرها فيه الأيدي المخلبية، وهي تتمنى الوصول إليها، قبل أن يصل إليها صاحب الوجه العملاق.

كانت على استعداد أن تترك نفسها لتلك الأيدي الوحشية لتمزقها، وتنهشها وتهتك براءتها، مقابل ألا يقترب منها صاحب الوجه المقيت، أو يمسها..

لا يمكن لهذا الشخص بالذات أن يمسها.

وعندما ابتلعها ظلام الطريق، عادت الأيدي المنتهكة لتحيط بها، وتحاول النيل منها، وقلبها يكاد ينخلع من شدة الخوف!!

وفجأة انقلبت تلك الأيدي الغاشمة، لنفس الوجه المقيت، ونبت لها أجساد عملاقة، وراحت تطاردها، وتراودها عن نفسها بصوت شيطاني مضطرب مروع مليء بالشهوة والرغبة.

وهنا صرخت (ندى) صرخة مدوية لم تغادر حلقها، وإن جعلت مخها يرتج في قلب جمجمتها، لتشعر بنفسها تسقط في هوة عميقة مظلمة لا قرار لها، فاستسلمت للسقوط الطويل، وقد اختارت الموت كملاذ أخير، فحبست أنفاسها وهي تُمني نفسها بموتة سريعة..

وفجأة تجسد لها الوجه الكريه في عمق الهوة، وأخذت

هي تقترب منه، وروحها تنسحب منها، قبل أن تطلق هذه المرة صرخة عاتية يائسة، لتستيقظ من نومها شاعرة بكل عظمة من عظامها مهشمة منهية هذا الكابوس المريع، ولتَهُب جالسة في فراشها، وعيناها المحتقنتان كالدم تلتهما كل تفاصيل غرفتها التي تترك جميع مصابيحها مضاءة برغم أن الساعة تتجاوز الثالثة صباحا..

وبحركة لا إرادية تحسست جسدها، وأماكنها الحساسة، ولما اطمئنت أن كل شيء بخير، زفرت بقوة، وضمت الغطاء إلى صدرها، وراحت ترمق في خوف باب الغرفة الموصد، وعندما تأكدت أنه مازال مُغلقا برتاجه الداخلي، أطلقت شهقة مختنقة، ثم أطلقت آهة حارقة..

وفجأة تهدجت مشاعرها، وانهارت أعصابها، فوضعت كفيها على وجهها، ودخلت في نوبة بكاء حارة لم تتوقف إلا بعد وقت طويل، وفي عقلها كانت تتردد فكرة وحيدة مفزعة..

فكرة رأت فيها النجاة والخلاص، من كل الهول الذي ينتظرها تحت سقف منزلها.. المكان المفترض منه أن يكون أكثر الأماكن أمنا بالنسبة لها في العالم، وأصبح أشدها خطورة ورعبًا.

جففت دموعها بصعوبة، فظهرت على وجهها أعتى معاني الألم والوجع والانكسار، ونفاد كل الحلول الممكنة، لتعود

وتفكر في تلك الفكرة الغير مقبولة إنسانيًا ولا مجتمعيًا ولا دينيًا..

وبرغم وجعها وكونها الضحية، أخذت تلوم نفسها، وتجلد ذاتها، وتراجع كل تصرفاتها التي يمكن أن تكون قد قادتها إلى تلك اللحظة المظلمة من حياتها.

لم تكن المرة الأولى في حياتها، التي تعيش فيها دور وإحساس الضحية، ولا المرة الأولى التي تعاني فيها وتتوجع وينكسر قلبها، ولكنها المرة الأولى التي تعاملها فيها الحياة بمثل هذه الخسة والوضاعة..

لقد وصلت معها الحياة للدرك الأسفل من الانحطاط، لتجبرها على أن تقاسي ما تقاسيه هذه الأيام..

إنها تدرك جيدًا أنها تمارس طوال حياتها دور الضحية سواء مجبرة عليه أو برغبتها، وهي تدرك السبب وتعلم أين يكمن الخلل!

فطوال سنوات عمرها الماضية لم تتخذ أبدًا قرارًا حاسمًا في حياتها، ولم تغلق بابا في وجه من آذاها.. وتحاول بلا هوادة إرضاء كل من حولها ولو على حساب نفسها، حتى أصبح الأمر حقًا مكتسبًا، لأنها لم تكن تملك أي ثقة في نفسها، ولا الجرأة لترفض أو تعترض أو تقول لا.

وكان هذا ديدنها أيضا عندما غزا الحب قلبها للمرة الأولى، وتمكن منها، فقابلته بكل استسلام وضعف، وانقياد، وانعدام للشخصية.

لم تكن (ندى) مثل باقي الفتيات، لذا عاشت أسوأ ما عاشته الفتيات اللائي خضن تجربة الحب الأولى بسذاجة.. تلك التجربة التي من المفترض أن تكون بريئة ومبهجة ومثمرة، ونقلة كبيرة ونوعية في تفكيرها ومشاعرها، وتحولت مع ضعف شخصيتها إلى جحيم وعذاب مقيم.

لقد عاشت للأسف قصة حب خادعة تم نسجها بمهارة، ثم أتت طعنة الخيانة من حبيبها، وصديقتها المقربة، كدش بارد جعلها تفيق من غفلتها وحماقتها واستسلامها..

والغريب أن الخائنان انفصلا بعد وقت قصير من بدء علاقتهما المخزية هذه، وارتبطا من جديد بأشخاص آخرين ليعيش كلا منهما قصة حب جديدة، وكأنهما يمارسان لعبة تافهة دون أدنى شعور بالمسئولية أو الذنب تجاه تلك الإنسانة التي سحقوا قلبها بكل برود وخسة، وكأن تحطيم القلوب مجرد لعبة..

وهي لم تكن تلعب!

فتحطمت من الداخل، وأصبحت تعاني في صمت،

فمشاعرها هذه في مجتمعنا هذا وصمة عار وفضيحة..

كانت هشة بشكل لا يمكن تخيله، وحاولت أن تظهر لمن حولها قوية وطبيعية، وهذا جعل ألمها مضاعفا، ووجعها مستمرا، وأصبحت لا ترى من الحب إلا الخذلان والقهر، والألم، وأصبح قلبها جاحدا بكل المشاعر والعواطف والمبادئ والعهود.

ولأنها تعاني وحدها دون سند أو معين، فقد وصلت لحدود الانكسار، لدرجة أنها بدأت تزهد الحياة، وتكره البشر، وتلوم نفسها على حماقتها، وسوء اختيارها في الحب والصداقة.

ولفترة من الزمن حاولت أن تتخطى محنتها، وتفهم سر فشلها، وأدركت بعد تلك الصفعة المدوية، أنها مثل غيرها من الفتيات المراهقات، لا يفكرن إلا في الحب والارتباط والزواج، دون أن تكون لديهن القدرة الكاملة على تصنيف الطرف الأخر؛ مع كم المشاعر التي تروي عطشهن لشيء مجهول لم يجربنه من قبل، ودون أن يدركن أن الشاب أو الرجل في العموم، قادر على ادعاء الحب، وتمثيل المشاعر، لدرجة أنه في الوقت الذي لا يمتلك فيه عمل أو مصروف جيبه يعد بالكثير..

بل ويعد بما لا يقدر عليه ولا يملكه..

وليست المشكلة في كون هذا الشخص كاذب أو صادق أو مُدعي، المشكلة في كونه يمارس هذه الأفعال الشاذة مع العديد من الفتيات في نفس الوقت، وبنفس الخسة والمهارة..

فيكسر قلب هذه..

ويدمر أحلام هذه..

ويفسد حياة هذه..

لقد عصفت بها هذه المحنة بالفعل، وواجهتها وحدها، واعتصرتها لأقصى مدى، ولكنها لم تكن محنتها الوحيدة للأسف.

ففي هذا الوقت الحرج من حياة (ندى)، والذي تحتاج فيه لكل مساندة ودعم نفسي ومعنوي، بعد أن حصلت فيه على صدمة عمرها، وبدأت تتعلم كم أن الحياة قاسية، وغير عادلة، وفي ظل إحجامها عن الخروج أو الاختلاط حتى مع من تبقى من صديقاتها المقربات، وابتعاد أمها عنها، وانهماكها في عالمها الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي، التي سحرتها وجعلتها مُهملة حتى لزوجها، الذي أصبح يرى البيت مجرد فندق للراحة، ظهر خطر أبشع وأقوى من انكسارها، وقصة حبها المغبونة..

خطر لم تكن تتخيل أن تواجهه تحت سقف منزلها.

فذات ليلة شديدة الحرارة، فشلت المرواح في جعلها أقل قيظا، وكعادة الفتيات بالتخفف من ثيابهن في غرفهن الخاصة اتقاءًا للحر، وأثناء نومها المضطرب، شعرت بحركة غريبة عند باب غرفتها!

وعندما استوعبت الموقف ونفضت عن ذهنها النعاس وغبار النوم، وفتحت عينيها في توتر، لمحت الباب يُغلق بسرعة، وسمعت وقع أقدام مسرعة تبتعد عن غرفتها، ثم سمعت صوت باب أخر يفتح ويغلق بحذر شديد، فتجمدت في مكانها من الرعب..

وأول ما أتى في عقلها، أن البيت مسكون!

لقد قرأت كثيرًا عن البيوت المسكونة، وعن الأشباح التي تخرج ليلا لتزعج أو تؤذي ساكنيه..

ولكن متى سُكن البيت؟!

لقد قضت فيه سنوات عمرها كله دون أن تحدث أي أحداث مريبة أو غريبة أو فوق طبيعية.

صحيح أنها تخشى الظلام، وليس هذا لكونه يحتوي على عفاريت أو أشباح أو كيانات شريرة قادرة على إلحاق الأذى

بها أو بأي من أفراد أسرتها، ولكن لشعورها بالعجز فيه، وهي تكره هذا الشعور للغاية.

وعندما استفاقت من صدمتها، وبرغم عدم قناعتها بفكرة البيت المسكون والأشباح والعفاريت، ظل قلبها يخفق من الرعب، فجذبت الغطاء على قدميها العاريتين، وأخفت كامل جسدها تحته، وراحت ترتجف حتى أشرقت الشمس وغمر ضياؤها العالم..

ومع ضوء النهار اكتسبت شجاعة افتقدتها كثيرًا في الليلة السابقة، وهذا ما جعلها لا تفتح الموضوع مع والديها أو شقيقها (إياد)، بعد أن أيقنت في نفسها أنه مجرد حلم أو كابوس عابر مر على خير، وإن حرمها من النوم في تلك الليلة المُرهقة.

وعندما أتى المساء، وبرغم قناعتها بأن كل ما حدث مجرد وهم، سبب الأمر لها إزعاجا كبيرًا، وجعلها تخشى أن تنام والغرفة غارقة في الظلام، كما لم تجرؤ على غلق الباب بإحكام، وفكرت بينها وبين نفسها أنه لو تكرر الأمر، تستطيع الخروج من باب الغرفة الموارب بسرعة، والاحتماء بشقيقها في الغرفة المجاورة.

في نفس الليلة، عاندها النوم، وظلت مترقبة أن يظهر شبح الليلة الماضية، أو يحاول دخول غرفتها دون جدوى.

فقط صمت مريب أحاط بكل شيء، إلا من صوت عقارب الساعة القديمة المعلقة على الجدار، والذي أصبحت تسمعه أعلى من المعتاد..

الوقت كان يمضي ثقيلا، واستمرت (ندى) في مراقبة باب غرفتها حتى غلبها النوم فراحت في سبات عميق، ومرت الليلة دون أي أحداث تذكر، ولم تنتبه إلا على ضوء النهار يغمر غرفتها، فاستيقظت لتلحق بجامعتها..

في هذا اليوم المرهق، لاحظ الجميع توترها، وإرهاقها، وشرودها، ولكنها أخبرتهم أنه من أثر السهر والمذاكرة لا أكثر، حتى صديقتها المقربة (رشا) التي رفضت عزلتها، وأصرت على أن تكون بجوارها رغما عنها، امتنعت عن إخبارها بأوهامها هي الأخرى.

وفي المساء، نامت نوما متقطعا، ولسبب ما وأثناء أذان الفجر شعرت بنفس الحركة المريبة، وتناهى إلى سمعها صوت الباب الذي لم يتم تزييته منذ فترة طويلة، وهو يصدر صريرا مكتوما، ويئن ببطء، وكأن هناك من يحاول فتحه بحذر..

كان الغطاء قد انحسر عن جسدها، وأظهر بعض من مفاتنها أثناء نومها، فقامت بتلقائية بستر نفسها، وغطت رأسها،

وراحت تنظر عبر فرجة صغيرة في الغطاء على الباب، وهي ترتجف من الخوف.

ومن خلف الباب لمحت العينين المتلصصتين، فصرخت بصوت مكتوم، غادر حلقها بصعوبة:

-لص.. لص.. يا إلهي.. إنه لص.

وبرغم أن صوتها لم يكن بالارتفاع الكافي، وصرختها أتت مكتومة واهنة، إلا أنها سمعت صوت الحركة المضطربة، والخطوات الراكضة، فاختنقت الكلمات في حلقها من الخوف، ولم تستطع أن تحدد في البداية إن كانت الخطوات تقترب أم تبتعد عنها..

وبعد لحظات أدركت أن الخطوات تبتعد، وفكرت أن اللص ربما سمع صوتها الخافت المستغيث أو رأى جسدها المرتجف تحت الغطاء، ففر هاربا في نفس اللحظة التي دوى فيها صوت أذان الفجر..

ومنعها صوت الأذان الآتي من المسجد القريب، من أن تحدد إن كان صوت إغلاق الباب الذي سمعته تاليا هو صوت باب الشقة الرئيسي أم باب غرفة أخرى.

ولعدة ثوان انكمشت في فراشها مشلولة من فرط الخوف.

وعندما تمالكت أعصابها، ومع ذعرها على شقيقها وأمها وأبيها، أطلقت عدة صرخات عالية متتالية أيقظت كل النائمين.

ويومها قاموا جميعا يتقدمهم أبوها، بفحص كل غرف البيت، وكل ركن فيه، وكل مكان صالح لاختباء شخص بالغ، ولم يتركوا ثقبًا لم يبحثوا فيه عن المتسلل، وهم متسلحون بأسلحة بدائية، كيد مكنسة، وسكين فاكهة، ويد هون نحاسية ثقيلة من متعلقات أمها القديمة.

وبعد الفحص الدقيق للشقة كلها، نهرتها أمها وعنفتها على الخضة التي تسببت لهم فيها، وعلى إدمانها لروايات الرعب التي أطارت صوابها، وهاجمتها بسببها الكوابيس..

وبرد فعل مختلف تماما ضمها أبوها إلى صدره في حنان، وأخبرها ألا تخشى شيئا حتى لصوص الأحلام، فهو دائما سيكون موجودا من أجلها.

وعلى أثر كلماته المطمئنة سكن قلبها قليلا، وبدأت تطرد كل الأفكار السلبية من رأسها.

وما لم تفهمه يومها هي نظرات شقيقها التي كانت تشع بالكراهية أو الغيظ نحوها..

كانت تنتظر منه بعض الدعم..

بل الكثير منه!!

ولكن عينيه كانتا زائغتان، وأعصابه متوترة، وبدا لها في حالة عجيبة لم تشاهده فيها من قبل، وشيء أكبر من الغضب يسكن عينيه الزجاجيتين، ربما لأنها أيقظته من النوم، وهو يكره هذه الفعلة!

كانت تتمنى أن تمضي الليلة في غرفة أبيها، ولكن أمها أشارت إليها بصرامة أن تذهب لغرفتها، وتقرأ بعض القرآن وتنام، وكفاها إزعاجا..

وبالفعل قامت بما اقترحته عليها والدتها..

ونزلت آيات القرآن على روحها بردا وسلاما، ومضت الليلة على خير..

ولكن الأيام التالية لم تمضي كذلك، فبداية من هذه الليلة، انقلبت معاملة شقيقها لها من النقيض إلى النقيض، وكأنما أصابه مس، أو عمل له أحدهم عمل كراهية تجاهها، فأصبح لا يعجبه خروجها، ولا وجودها في البيت، صمتها أو حديثها، غيابها أو ظهورها..

وراح ينتقد ثيابها سواء أكانت واسعة أو ضيقة، محتشمة أو سافرة.. وأخذ يعنفها عندما تمارس أمامه تمارين

الأيروبيكس خلف أحد البرامج التلفزيونية الصباحية، ويصف حركاتها الرياضية بالوقحة، وينظر نحوها في حالة عدم انتباهها بطريقة توحي بالقرف.

بل وراح يتربص لها على كل الأخطاء حتى التافهة منها، حتى باتت تمقت رؤيته أو التعامل معه، وهي غير مصدقة أنه يعاملها هكذا لأنها أيقظته من النوم في تلك الليلة المشؤومة.

والعجيب أن أفعاله جعلتها تتوتر أكثر، وعمقت مخاوفها من كل تلك الأمور المريبة التي كانت تحدث في غرفتها ليلا.

وكي لا تتكرر مثل هذه الأمور المزعجة، أحضرت مزلاجا صغيرا وركبته لباب غرفتها باستخدام مفك قديم أحضرته من درج الأدوات في المطبخ، وفي كل ليلة قبل أن تنام كانت تتأكد من إغلاقه خلفها.

ظلت الأمور هادئة لمدة أسبوعين، حتى جاء اليوم الذي نسيت فيه إغلاق الباب بالمزلاج الصغير، بعد أن شعرت ببعض الأمان الزائف، على الرغم من أنها قبل يومين شعرت بيد الباب المعدنية تتحرك بعد منتصف الليل أثناء سهرها للمذاكرة، ولأنها حركة لم تتكرر، وضعتها في خانة الأوهام..

في تلك الليلة السوداء كانت مُرهقة بشكل مميت، فنامت

كلوح الخشب، ولم تشعر باللمسات المُنتَهِكة إلا في وقت متأخر، بعد أن تعرى نصفها السفلي بالكامل!!

وعلى الفور انتفضت مستيقظة وهي ترتجف فوق فراشها من أثر الصدمة وشدة خوفها، ففشلت في ستر نفسها، لتجد شقيقها (إياد) يقف أمامها، وقد غرق في العرق، وعلى وجهه الآثم كل رعب الدنيا..

شهقت غير مصدقة ما تراه، وأخذت شفتيها ترتعشان، وهي تصرخ بصوت مذهول مستنكر:

-(إياد) ماذا تفعل؟.

كانت نظرات شقيقها لمفاتنها العارية تفضح غرضه الآثم، وحركته العصبية وأصابعه المرتعشة، تدل على أنه ليس في حالته الطبيعية، وربما هو تحت تأثير المخدرات، بل هو بالفعل تحت تأثيرها.

ولكن كل هذا لم يعنها، فكل همها في هذه اللحظة أن تستر وتحمي نفسها، فقامت بسرعة بسحب الغطاء على جسدها بالكامل حتى عنقها، وعقلها يكاد يحترق من الإنكار والصدمة، وما تراه في عين شقيقها..

إنها لم تمر في حياتها بموقف مماثل، لذلك تسمرت في مكانها عاجزة عن التصرف، وراحت من وسط دموعها ترجم

شقيقها بنظرات الاستنكار والتوسل، وعقلها يحاول أن يفهم ويستوعب ويصدق أنه يحاول الاعتداء عليها، وهي نائمة، وغير واعية، كأي متحرش لعين لا يملك ذرة أخلاق.

وقبل أن تصرخ أو تنطق بكلمة، أو تقاوم بأي سبيل من السبل، شل شقيقها حركتها، وقبض على عنقها بكلتا يديه، وأخذت أنفاسه الكريهة تضرب وجهها، وهو يخبرها بصوت مهدد كاره، بأنها لو صرخت أو استغاثت بأحد، أو حاولت الآن أو فيما بعد إخبار أي شخص بما حدث سيزهق روحها بيديه ولن يرحمها..

بل وأمعن في غيه وأخبرها بأن تعد نفسها من أجله، لأنه سيزورها في غرفتها في الليلة التالية..

وظلت هي على جمودها وصدمتها، فترك عنقها وغادر الغرفة، فحنت رأسها خارج الفراش، وأخذت تقيء وهي مستمرة في البكاء حتى فقدت وعيها.

ولحسن حظها أن أصابها الرعب والصدمة بالمرض في تلك الليلة، فعانت من حمى شديدة أجبرتها على ملازمة الفراش، وأجبرت والديها على السهر بجوارها بالتناوب لعدة أيام، كان شقيقها فيها يترصدها بكل حقارة، ولم تنقطع هي فيها عن الهذيان صارخة:

-لا يا (إياد).. لا تفعلها.. حرام عليك.. أنا شقيقتك.

ولم يقف أحد من الأهل عند هذه العبارة المخيفة، بل ظنوها مجرد هذيان حمى نتيجة علاقتهما المتوترة السابقة، ليتفاقم الأمر!

فبعد شفائها أصبحت (ندى) في جحيم لا يطاق، مُزعزعة الأعصاب، متوترة طوال الوقت، تتمنى لو أن الأرض تنشق وتبتلعها، خاصة عندما تكلف الأم شقيقها بأي شيء يخصها أو يجمعهما معا، بل وأصبحت تتجنب حتى النظر إليه، وهي لا تعرف طبيعة الخطوة التالية التي يجب عليها القيام بها، لتفتدي نفسها، وتتجاوز العار والفضيحة..

وعندما خرجت من المنزل بعد تعافيها جسديا، وليس نفسيا.. أحضرت مزلاج أكبر وركبته في الباب بجانب المزلاج الأخر لتحصن غرفتها، بل وبدأت تضع مقعدها الخشبي خلف مقبض الباب؛ زيادة في الحرص والأمان..

وطوال الليالي السوداء التالية، كانت تسمع صوت محاولات شقيقها لاقتحام غرفتها المحصنة، دون أن يظهر عليه أنه يمتلك وازع من دين أو ضمير أو أخلاق أو صلة رحم.

ودون أن يأبه بأن ما يحاول فعله يندى له الجبين، وتنفطر

من أجله الأكباد ويهتز له عرش الرحمن، وسيدمر علاقته بشقيقته إلى الأبد.

شقيقته التي من المفترض أن يكون سندها ودرعها في الوقت الراهن، وبعد رحيل والديها، فالأخ هو الأب الثاني للأخت، هكذا تربت وهكذا ترى حولها، فأي لعنة أصابته؟

لم تكن تعرف ماذا يريد منها وهي شقيقته العذراء؟

عقلها متوقف عند فحش الأمر وانكاره!

تتمنى لو كان لصا أو عفريتا أو شبحا! فوقتها يمكن أن تنجوا من براثنه، أو تتعامل معه بالعنف الذي يستحقه.

ولكنه شقيقها..

وهذا ما يمزقها من الداخل..

وحتى لا يتقابلا أبدًا، بدأت تدعي أن وقت المحاضرات تغير، وأن الكورسات والمواصلات تجعلها تعود متأخرة كل ليلة إلى المنزل، فتخرج قبل يقظته، وتعود قبل عودته من الخارج من تلك الأماكن المشبوهة التي بات يرتادها بعد أن أدمن تعاطي المخدرات، لتغلق عليها غرفتها من الداخل، لقد رأته بالفعل، وهو يحقن نفسه بهذا السم، ورأت ذراعه الذي تورم في أماكن عديدة.

وإمعانا في الحرص أصبحت حركتها بداخل الشقة بحساب وحذر، ولا تتحرك بحريتها إلا في ظل وجود أحد الأبوين.

والمخيف أنه في أحد الأيام، وأثناء قضاء حاجتها، حاول شقيقها الذي أطار المخدر عقله، اقتحام الحمام عليها، وفتحه عنوة.. وظلت هي محتمية ببابه المغلق حتى أتى أبوها لقضاء حاجته، فخرجت في حماه إلى غرفتها مباشرة، ودون أن تنظف نفسها من فرط رعبها.

وفي هذا اليوم قررت مصارحة أمها..

لم تكن قادرة على مصارحة أبيها؛ الذي قد يقتل شقيقها إن علم بفعلته الشنعاء، وظنت أن أمها قادرة على احتواء الأمر وردعه..

وعندما صارحت أمها بفعلة شقيقها الشنعاء، وقصت عليها تفاصيل ما يحاول فعله معها خلال الأيام السابقة..

كانت ليلة سوداء!!

والأسوأ منها هو رد فعل أمها المهين، والصادم في نفس الوقت.

كانت الصفعة التي رجت رأسها مفاجئة، ومن صدمتها وذهولها تسمرت في مكانها، فهوت الصفعة الثانية أقوى،

وكادت أن تفقد بصرها بسببها، مما جعلها تصرخ في أمها، وتنعتها بالظالمة، وهي تضع كفيها على وجهها لتحميه من الصفعات العنيفة التالية، وهي في ذهول تام مما يحدث لها، ومن كم الإهانات والاتهامات التي ألقتها أمها على مسامعها جزافًا.

وكم كان أثر هذه الصفعات مؤذيا بدنيا ونفسيا على (ندى)، بدرجة جعلتها تتمنى الموت، ولا تصدم في أمها بهذا الشكل المريع.

أمها التي لم تكلف خاطرها بالتحري عن أفعال ابنها، وقدمت ابنتها على مذبح العار وسوء الأخلاق، واتهمتها بأقذع التهم والألفاظ، وضربتها وكأنها عدوة لها تنتقم منها.

أمها كانت تحمي ابنها بكل قوتها وتدافع عنه وكأنه نبي أو معصوم، وكأنها هي ليست ابنتها، أو أنها أصل الخطيئة، ولم تفعل كما تفعل كل أم عاقلة، بالتحري عن المشكلة وعلاجها وحماية ابنتها، ومحاولة رأب الصدع الذي حدث، وتتجاوز بهم تلك المحنة الرهيبة.

بل جعلتها تظن أنها وحيدة في الدنيا، وأن ظهرها مكشوف، فلم تجسر على الاحتماء بأبيها، وتركتها فريسة سهلة لشقيقها..

وعندما ضاق بها الحال لم تجد أمامها إلا شبكة الانترنت، لتبحث عن مخرج أو مهرب من مصيبتها، وبعد بحث متعمق وجدت أنها لم تكن حالة فريدة من نوعها..

وأن هذا الأمر المشين الذي يطلق عليه (زنا المحارم) يضرب عمق المجتمع بشدة، وهو ناتج عن غياب الدين والفقر، وإهمال الآباء للأبناء، وترك الحبل لهم على الغارب لكونهم ذكورا دون وضع حدود أخلاقية وسلوكية لأفعالهم خارج المنزل، مما جعل ما يفعلونه في الشارع دون رادع، ينتقل ليهدد أقرب الناس إليهم.

ونصحوا من هم مثلها بعدم الخوف أو التردد أو كتمان الأمر، وأن عليها أن تصارح كل المحيطين بها حتى لو تعامل أحدهم أو بعضهم معها بعنف أو إنكار، كي تنتهي الأزمة بسرعة قبل حدوث ما تكره..

حاولت أن تفعل هذا مع أبيها الذي كانت مقربة منه، والذي كان يشعر بكونها ليست بخير في ظل هذه الفترة العصيبة، ولكن ظل تحذير أمها ينغص عليها عيشتها، ويورثها خوف كبير:

-لو أخبرت أحد عن ادعاءاتك الحمقاء هذه لكسرت عنقك.. لا تلوثي شرفك وشرف شقيقك بأوهامك وخرافاتك، لو علم أبيك سيكون آخر يوم لك في الحياة.

ولأن الشيطان يفتح أمام المرء ألف سبيل للمضي في طريقه، مرضت الأم ذات يوم كئيب، وصحبها الأب القَلِقُ إلى الطبيب في المدينة المجاورة، وقبل أن تغادر الأم المريضة البيت، أوصت (ندى) أن تضع بعض الثياب غير النظيفة في الغسالة بعد فرزها، وفصل الأبيض عن الألوان.

وأسقط في يد (ندى).

وبرغم بساطة الطلب، ولكن وقعه عليها كان كالصاعقة؛ وكأن أمها طلبت منها أن تعلق رأسها في حبل المشنقة وتقفز لينكسر عنقها!

فقد كان عليها بناء على هذا الطلب البسيط المعتاد، أن تتواجد خارج غرفتها لفترة غير معلومة في ظل تواجد شقيقها مدمن المخدرات، والمتربص بها في البيت.

وفي ذلك الوقت العصيب، الذي خلا فيه المنزل من كل من يمكنه حمايتها ومؤازرتها، وفور أن غادر والديها البيت، تحركت (ندى) بكامل سرعتها وخوفها، وهي تسابق الزمن.

فأنهت فرز الملابس، ووضعتها في الغسالة في وقت قياسي، وهمت بالعودة لغرفتها عندما أدركت أنها لم تضف المسحوق، ولم تضع الغسالة الأتوماتيكية على وضع التشغيل، فعادت بسرعة ووضعت المسحوق، واختارت

برنامج التشغيل، وهي تتلفت حولها في رعب على أمل ألا يستيقظ شقيقها وينفرد بها..

وبالفعل أتمت الأمر على عجل، وعادت الى غرفتها عدوا، وهي تتعثر في العديد من طبقات الملابس التي ترتديها لحمايتها من هجمات وتعديات أقرب الناس إليها.

وكادت أن تهوى على وجهها عندما التف ذيل (الإسدال) الطويل حول قدميها، لكنها استطاعت أن تتفادى السقوط باستنادها إلى الحائط المجاور لباب غرفتها.

وعندما دخلت غرفتها وأغلقت المزلاجين خلفها، وهي تلهث وقلبها يدق في عنف، تناهى لسمعها صوت أقدام تتحرك خلفها بحذر!!

وقبل أن تستدير لتستطلع الأمر، سمعت صوت شقيقها يصدم أذنيها، وهو يلف ذراعيه حول وسطها من الخلف، ويقول بكل غلاظة الدنيا، وقد بدا أن المخدرات التي تعاطاها قد محت عقله وتعقله:

-اليوم لن تفلتِ مني.

حاولت أن تنتزع نفسها من بين ذراعيه الآثمين، ولكنه كان يحيطها بكل قوته، حاولت أن تمارس معه حركات الدفاع عن النفس التي تعلمتها من اليوتيوب خلال الأيام الماضية،

ولكنه كان يمسك بها ككلابة معدنية أحاطت برأس مسمار ولا تفلته.

صرخت..

فكتم أنفاسها..

نهشت يده اليسرى بأسنانها، وكادت أن تنتزع أحد أصابعه، فدفعها بعيدًا عنه، فركضت صوب فراشها، وسحبت من تحت الوسادة سكين مطبخ حاد، وواجهته به، وهي تصرخ فيه:

-أنا شقيقتك الصغرى أيها الحيوان.. عد لرشدك.. سيلعنك الله على ما تفعله.

كان من الواضح أنه لا يرى أمامه، وأن الرغبة والمخدر يعميانه عن رؤية فداحة ما يحاول القيام به.

لذا تقدم منها وكل شر الدنيا يطل من عينيه..

لوحت بالسكين في وجهه حتى كادت تصيبه بالفعل، ولكنه تفادى ضربتها، وانقض عليها بكل خسة وحقارة، دون أن يوقفه أو يمنعه صراخها وتوسلاتها، ومحاولة تذكيرها له بأنها شقيقته.

ولم يتوقف إلا بعد أن أنهى غرضه الأثيم منها، وتركها باكية منهارة، تئن من فرط الوجع والمصيبة، بعد أن فقدت

أعز ما تملك، وأغرقت دماء عفتها الفراش..

بعدها فقدت (ندى) الوعي، ولم تستيقظ إلا بعد يوم كامل، لتجد أمها نائمة بجوارها على مقعدها الخشبي، وقد استبدلت كل أغطية الفراش بأخرى نظيفة، وكامل ملابسها المنزلية وحتى الداخلية منها، وجلست أمامها كشيطان رجيم تكيل لها الاتهامات، وتحذرها من هتك سر شقيقها، فلن يخرب المنزل ويضيع مستقبله، من أجل خطأ واحد.

لم تتوقع (ندى) أن تتحدث معها أمها بهذه اللهجة وهذه الصيغة أبدًا، بعد أن حدث لها ما حدث.

كانت تتوقع غضبا..

حزنا..

دعما..

مواساة..

ولكن أن تلام الضحية وتتحمل وزر كل ما حدث، وتهدد أيضا..

إن هذا لظلم عظيم..

ليلتها صممت أن تنفذ تهديدها لشقيقها..

ستقتله، وتقتل نفسها..

لن تعيش أبدا بهذا العار..

ورفضت اقتراح أمها، بأن تقوم عند زواجها بعمل عملية ترقيع أو تركيب غشاء بكارة صيني.

وكأنها تتوقع بعد ما حدث لها أن يكون لها حياة، أو يلمسها رجل أخر، ودعت الله أن يساعدها في محنتها..

ولكن ابتلاءه لم يكن قد انتهى بعد..

فبعد تعافيها بدأت الضغوط عليها من أمها، التي بدأت تترصد حركاتها، وتتصيد لها الأخطاء، وتشك في كل تصرفاتها، وفي كل فعل عادي تقوم به، فقد هتك شقيقها ما يمكن أن يمنعها من فعل كل الرذائل، وبدأ شقيقها مرة أخرة في مراودتها عن نفسها..

وفي لحظة ضعف صارحت صديقتها المقربة (رشا) التي صارحت صديقتها المقربة، التي صارحت صديقتها المقربة..

وذاع الخبر..

وأصبحت الفضيحة على رؤوس الأشهاد..

وفي الليلة التي علم فيها أبوها بالكارثة، وكاد أن يقتل أبنه، ويفتك بأمها، قررت أن تنهي معاناتها، وعارها بنفسها..

وعندما تناولت علبة الأقراص السامة وابتلعت ما بها من أقراص، وبدأت تحرق معدتها أعراض التسمم، شعرت بهلع شديد من الموت، وأدركت عجزها، وفداحة ما قامت به!

وتمنت لو يعود بها الزمن عدة دقائق فقط لتتراجع عن هذا الإثم العظيم، وحاولت بكل عزمها أن تظل عيناها مفتوحتان، ظنا منها أنها لو أغلقتهما لن تستطيع فتحهما من جديد، إلا على نار جهنم.

وعندما بدأت أحشائها تتقلص وتنتفض، ويسحقها الألم، وتعاني وحيدة في غرفتها من سكرات الموت، ومن ندمها.. ظهر لها رجل عجوز كئيب السحنة، لديه وشم بارز مخيف على رأسه، على شكل أفعى مجنحة صارخة، ويرتدي قميص أسود طويل وسروال من نفس اللون، وفوقهما عباءة داكنة طويلة ذات قلنسوة، وعرض عليها أن ينقذها من الموت، وأن يمنحها حياة جديدة، مقابل الطاعة التامة، وتنفيذ كل ما يطلب منها مهما كان غريبا أو شاذا.

ومع هلعها من فرط الألم، وفقدان القدرة على التنفس، واقترابها الحثيث من الموت، ترجته هي بنفسها لينقذها من الموت لو أنه يستطيع ولن تنسى له صنيعه هذا، وستكون طوع بنانه يفعل بها ما يشاء.

وبعد حوار لم تركز في تفاصيله بسبب آلام التسمم والاحتضار، تعلقت بقشة النجاة التي ألقاها لها العجوز، وتركت له نفسها..

كان الألم يعتصرها بقسوة..

لقد اختارت وسيلة انتحار مروعة..

(حبوب الغلة) أو القاتل الصامت، وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها تقتل متعاطيها دون أن تعلن عن نفسها بشكل ظاهر، فليس لها أعراض سريرية معروفة، ونسبة النجاة منها نادرة.

فتلك الأقراص شديدة السمية التي تستخدم لحفظ القمح من التسوس، هي طريقة جهنمية للموت، ففور وصولها للمعدة تتفاعل مع المياه وعصارة المعدة وتنتج غاز (الفوسفين) شديد السمية، الذي يتسبب في تلف كل أجهزة الجسم، وانفجار المعدة، وانخفاض ضغط الدم بالصدمة، وخفقان بالقلب، وارتفاع في السكر، والصدمة الحرارية، وانهيار القلب، والأوعية الدموية وضيق التنفس الحاد والفشل الكلوي، متسببا لمتعاطيها في آلام رهيبة لا يمكن تحملها.

لذلك كانت تتمنى لو أن العجوز قادر بالفعل على انقاذها

من الموت، واخراجها من ورطتها، وعلى ايقاف ألمها العنيف المتصاعد الذي يحرق أحشائها.

وحقيقة لم يتأخر العجوز الغامض عن نجدتها، وانتشالها من دوامة الألم القاهر..

وبكل بساطة أدار عصاته المعدنية القصيرة التي أخرجها من بين طيات ثيابه في الهواء عدة مرات، وهو يردد كلمات متتالية بلغة ثقيلة مجهولة، على أثرها انخفضت حرارة الغرفة إلى درجة قريبة من درجة التجمد، فصارت كالمبرد، حتى خيل إليها أن عرقها الغزير يتجمد..

ثم دفن مقدمة عصاته في معدتها..

في البداية شعرت بمقدمة العصا تحرق جلدها من شدة برودتها، وبدمائها تتخثر، وبكل خلية في جسدها تنتفض من الألم طارحة السم الزعاف خارجها، في مشهد أقل ما يقال عنه مذهل.

وبرغم ما تشعر به من ألم وبرودة، تنبهت لكل خطوة قام بها العجوز، والإنهاك والوهن يغادرانها على عجل..

وشهقت عندما أدار عصاته عكس حركة عقارب الساعة، لتشاهد الحبوب القاتلة التي ابتلعتها منذ دقائق، تستعيد هيئتها الأولى، وكأنما يعود بها الزمن، وترجع لمكانها في

العبوة المعدنية، ويعاد تغليفها، وكأنها آتية من المصنع حالا، والعجوز النحيل الذي عرف نفسه لها باسم (الرسول) يقول في جدية وصرامة:

-لقد منحتك حياة، وستمنحينني مقابلها الطاعة العمياء، هذا الدّين في عنقك لا حل منه حتى بالموت، فالموت كان خيارك ولم يعد كذلك.

وبكل ما يعتريها من خوف هتفت باضطراب:

-لا أفهم.

رد بصرامة:

-لقد أوقفت الزمن من أجلك، لحظة واحدة وتذهبين إلى قدرك المحتوم، الثمن عادل، القادم من حياتك ملكي.

عادت تكرر بنفس الهلع:

-لا أفهم.. لا أفهم.. ولكني لا أريد الموت.

أجاب بنفس الصرامة:

-عليك أن تتحرري من كل ما يربطك بهذا العالم، وسأمنحك طريقا آخر نحو الخلاص، فبينك وبين الموت رفض عرضي، وأنا أرغب بالفعل في تركك تذهبين لأستولي على روحك، فأنا لا أشعر أن بداخلك ظلام كاف يساعدني في إنهاء

مهمتي.

هتفت في رعب:

-لماذا تخيفني منك بهذا الشكل العجيب؟.

سألها بلهجة حاسمة:

-قرارك؟.

صرخت في يأس:

-حسنا سأمنحك ما تريد.. كل ما تريد.. أنا لا أريد الموت؛ حتى لو ذهبت بي إلى الجحيم...

رد بهدوء:

-الجحيم أرقى كثيرا مما اخترته.

وبعد أن أكدت على موافقتها على كل شروطه، وجعلها توقع بدمائها على عقد جلدي مدبوغ ومكتوب بلغة مجهولة، ترك عصاته القصيرة من يده على حين غرة، فطفت في منتصف الغرفة، ثم سبحت في فراغها، وتوقفت بالقرب من النافذة المفتوحة وكأنما لا تأثير للجاذبية عليها، وبعد لحظات راحت تتألق بضوء متقطع غريب، ثم استطالت دون تدخل منه حتى تعدى طولها المترين، وصارت أسمك، فاقترب منها (الرسول) وارتقاها بطريقة من اعتاد ممارسة

الأمر، وكأنما يرتقي صهوة جواد، وأمرها أن تفعل مثله، وتتشبث بملابسه.

وبدون فهم نفذت ما طلبه منها..

وأمام عينيها الجاحظتين من الذهول، فُتحت النافذة المغلقة من تلقاء نفسها، وغادرها الاثنان طائرين على عصاته المعدنية، التي أصبحت تشبه عصا ساحرات القرون الوسطى.

وراحت العصا تقطع الزمن والمسافات بسرعة رهيبة، فمرت على مدن وبحار وجبال وأرض خضراء واسعة وقفار، وانتهى بهما المقام إلى كهف حجري عملاق مؤثث جيدًا، في عمق أحد الجبال.

في بادئ الأمر كانت تعتقد أن كل ما تمر به مجرد كابوس أو هلاوس نتيجة الحبوب السامة التي تناولتها، وأن عقلها الباطن مازال متشبثا بالحياة، فيحاول منحها بعض الأمل لتقاوم بعد أن استسلمت للموت.

حتى استيقظت ذات ليلة لتجد نفسها بين أغرب مجموعة من البشر يمكن أن تقابلها في حياتها، ويمكن أن تجتمع بهم في هذا الكهف العجيب الذي علمت من أحدهم، أنه موجود بوادي حضر موت بمحافظة المهرة باليمن، بالقرب من سلسلة

جبال ظفار العمانية.

وهنا تذكرت البئر الذي قرأت عنه مقالات لا تعد ولا تحصى، وأطار النوم من عينها.. ذلك البئر القريب من كهفهم هذا، والذي يعد أبغض الأماكن إلى الله على الأرض حسب ما قرأت.

بئر برهوت.

وسرت في جسدها قشعريرة باردة، وهي تردد في صوت خافت مضطرب:

-ما الذي أتي بي إلى أرض الجن.

عمل أسود

في ذلك اليوم الصيفي شديد القيظ، وقرب الظهيرة راحت (سعاد) بكل صعوبة تشق طريقها وسط الزحام، مندفعة خلال الأجسام المتلاصقة في ميدان العتبة، وهي تلهث في محاولة لاستنشاق بعض الهواء، بعد أن دمرت أنفها روائح العرق لجماهير المارة والبائعين.

إنها تكره الزحام بشدة، وتصاب خلاله بنوبات هلع، لذا فإنها عندما وجدت فرجة بين طوفان البشر المتشابك ألقت نفسها فيها، وأخذت تستعيد أنفاسها بصعوبة إلى أن هدأت روحها، وانتظم تنفسها، وراحت تتلفت حولها بحثا عن محل عطارة محدد تسعى إليه.

وعندما رأت لوحته القديمة التي يكسوها الغبار والسواد، وقرأت الاسم الذي حُفر في رأسها، زفرت في قوة، وأطلقت تنهيدة راحة، ثم قبضت على حافظة النقود الجلدية التي تحملها في يدها، وعلى هاتفها القديم، وتحركت بخطوات مسرعة صوب المكان الذي كان يغص بمزيج من روائح التوابل والبن والعطور والقدم، مما جعل أنفها لا يقدر على تمييز هذا الكم من الروائح، فشعرت بالغثيان.

لم يكن دكان العطار هو وجهتها الرئيسية، بل الشارع

الضيق الذي بجواره، والذي على ناصيته يقبع محل الفرارجي، هكذا كان الوصف، وهذا ما وجدته، فشعرت ببعض الراحة، وإن لم يزايلها التوتر.

عند مدخل الشارع كان الفرارجي يضع مجموعة من الأقفاص الكبيرة الحجم المصنوعة من جريد النخل، وفوقها أقفاص أقل حجمًا، تستكين فيها العديد من الدواجن والحيوانات المحلل أكلها كالأرانب، وعلى الأرض بجواره بركة دماء مسفوكة لم يعتني أحد بإزالتها..

اقتربت منه في بطء، وهي تحاول أن تتجاهل بركة الدماء، ورائحة العفن الكريهة التي تحيط بالمكان، وسألته عن مكان الشيخ (عتمان)، فأشار لها بتلقائية نحو أحد العمارات المجاورة، وقال بشكل حميمي:

-مكتبه في الطابق الأرضي، وكل طلباته موجودة عندي يا ست الكل، لا ترهقي نفسك بالبحث عن أي شيء يطلبه منك الشيخ (عتمان) مهما كان غاليا أو رخيصا أو غريبا.. نحن خدامك وخدام شيخنا الكريم.

شكرته دون أن تعني ذلك، وهي تتوجه بقلب واجف صوب العمارة الشاهقة التي أشار إليها، وهي تفكر أن عمل الشيخ (عتمان) المحرم، تحول لنوع من العمل الجماعي المتشعب، ولابد وأن العطار، والفرارجي، وكل من في الشارع يخدمون

عليه..

وما أن غادرت محل الفرارجي حتى طرحت كل أفكارها جانبا، وقطعت بسرعة الشارع الذي مُهدت أرضيته بحجر الاسكافي القديم، فجعل سيرها أكثر سلاسة..

وعندما وصلت إلى وجهتها، بعد أن عبرت بجوار محل لبيع لوازم السبوع والبخور المتنوع، فاجأها مدخل العمارة الفخم شديد الأناقة، والذي تغطى بأغلى أنواع الرخام، والذي هبت منه روائح ذكية لبخور العود، ورائحة مطهرات نفاذة..

شعرت برهبة في قلبها أكثر من لو كانت وجدت الشيخ (عتمان) يسكن في قلب قبو منزل مظلم، أو كوخ نائي في منطقة مهجورة، وتحسست في توتر حافظتها الجلدية التي تحتوي على كل ما تحتكم عليه من نقود وفرتها من وراء زوجها خلال سنوات زواجهما الثلاث.

زوجها الذي أجبرها بفراغة عينه، وشهوته المستعرة نحو النساء، بأن تلجأ لمن هم مثل الشيخ (عتمان)، برغم أنها تعلم أنه ذنب يصل لدرجة الكفر، ولكن النار التي تستعر في قلبها، وخوفها من فقد رجلها أو مشاركة أنثى أخرى لها فيه؛ جعلتها تُقدِم على هذه الخطوة المخيفة..

ومن أعماقها كانت تدرك أن ما يحركها هي الغيرة،

والاعتداد بالنفس، وليس الغرام، فهي لا تؤمن بمثل هذه الأشياء، ولم تتزوجه بعد قصة حب مستعرة، أو ليالي سهر تعد فيها النجوم.

بل كان زواجا تقليديا، رآها في زفاف إحدى قريباتها، وسأل عنها وعن أسرتها، وتزوجها بعد أن راقت له مواصفاتها الجسدية، وملامحها الحادة، فهو يهيم بالنحيفات قليلات الأنوثة، وهي رأته زوجًا مناسبًا، سيعلو بها درجة في السلم الاجتماعي، وتم الأمر.

لذلك لا دخل للمشاعر في الأمر، فقط هي تؤمن بأن زوجها هو ملكية خالصة لها حتى لو كانت لا تُكن له مشاعر خالصة.

إنه قانونها الخاص، طالما هي على ذمته، فلن تسمح بأن تستبيحه امرأة أخرى أو تشاركها فيه.

وعلى كل حال هو زوجها، وهي تهيم بخفة دمه ونكاته البذيئة، وفحولته التي تروي جسدها صباح مساء، وهي لن تتخلى عن أي ميزة حصلت عليها منه، ولن تكون زوجة مخدوعة أو مكلومة في زوجها، ولن تخضع لمقارنة بينها وبين امرأة أخرى، ولن تسمح بأن تهان بمثل هذه الطريقة..

لذلك صبرت على الجلوس لساعتين كاملتين بانتظار مقابلة الشيخ (عتمان) في بهو الشقة الواسعة التي تحتل الطابق

الأرضي بالكامل، ذلك البهو شديد الفخامة والأناقة، والذي كان يشعرها بالضآلة.

وتناولت على مضض القهوة العربية مع بعض حبات التمر التي قدمتها لها إحدى الفتيات المنتقبات، وهي تفكر في المبلغ الذي ستمنحه للشيخ (عتمان) مقابل طلبها..

وبعد أن صلت العصر جماعة مع بعض النساء، أخذت في عقلها تحاول إحصاء المبلغ الذي تحمله، ولعنت في سرها ابنة خالتها التي دلتها على الرجل دون أن تخبرها بأنه من طراز الخمسة نجوم..

لقد تحرت بنفسها عن الشيخ (عتمان) الذي طبقت شهرته الأفاق، وأدركت أن أعماله نافذه ولا يُشَق لها غبار، ولكن أي منهم لم يخبرها عن الثمن الواجب سداده مقابل خدماته.

لابد وأنه سيطلب منها مبلغا فادحا لن تستطيع تحمله، فهل تكون قد فشلت في سعيها لهذا السبب البغيض؟

صحيح أن زوجها يملك المال، ولكنه المال الذي يجعلهم مستورين مع بعض الرفاهية والتوفير.

لو لم يقبل بهذا المبلغ المحدود الذي في حوزتها، ستعتبرها هزيمة شخصية لها، وهي لن تهزم في معركتها هذه أبدًا..

ثم فجأة لمحت بالقرب من مكتب الاستقبال، فتاة متفجرة الأنوثة، ترتدي ثيابا أقل ما يقال عنها خادشة للحياء، وتتحدث مع زبونة أخرى بنوع من الغنج والدلال المفضوح.

وهذا جعل فكرة جنونية تقفز لعقلها..

لا توجد امرأة تأتي لمثل هذا المكان بمثل هذه الثياب؛ إلا لو كانت هي المقابل المدفوع لخدمات الشيخ (عتمان)..

كل امرأة في حد ذاتها كنز ثمين، ويمكنها دفع ثمن كل شيء في سوق الرجال، ولو لم تكن تحتكم على قرش واحد..

أشعرتها الفكرة بالتوتر، فهي لم تقدم في حياتها على فعل أي شيء من هذه الأمور الشائنة التي تدور في عقلها، وحتى هذه اللحظة هي لم تتورط وليست مجبرة على فعلها..

وبعد تفكير عميق حسمت أمرها.

إن كان الشيخ (عتمان) يقبل بمثل هذه الأمور المخزية كثمن لخدماته، فهي تملك منها الكثير..

إنها معجزة في الفراش كما يخبرها زوجها، الذي لا يملأ عينيه إلا التراب.

كما أنها بقدومها للشيخ (عتمان) ترتكب خطيئة عظيمة، فلا مانع من أن تتمادى قليلا لتحظى بمرادها، وكل شيء

سيبدأ وينتهي هنا..

إن الأمر لا يقوم على خيانة لزوجها لأنه من دفعها إليه، وهي لا تكن للشيخ (عتمان) أي مشاعر، كما لا تكن لغيره، فقط عليه ألا يكون خنزيرا قبيحا سيء الرائحة، كي لا يصعب المهمة عليها..

لذلك عندما أتى دورها ودخلت على الشيخ (عتمان) في غرفته شديدة الأناقة، زال توترها، وهدأت روحها، وحسمت أمرها، بعد أن رأته رجلا أربعيني وسيم، تزين وجهه لحية سوداء معتنى بها، ويمتلك جسدا مشدودا، ويرتدي البياض، ويشع وجهه بالنور على عكس ما توقعت، ويجلس أمام مبخرة عتيقة يتصاعد منها بخور مريح للأعصاب.

وعلى الفور وبدون لحظة تردد، وبطريقة عملية حاسمة، جلست أمامه بعد أن حيته ورد التحية، وأخرجت كل ما في حافظتها الجلدية من رزم نقدية، ووضعتها أمامه، وبادرته قائلة:

-هذا كل ما أملكه من مال في هذه الدنيا يا شيخ (عتمان)، ولو أنك ترغب في أي شيء أخر مهما كان، فإنني على استعداد لتوفيره، فقط عليك أن تمكنني من تلك الساقطة (صابرين)، وتجعل سيطرتي على زوجي مطلقة.

فهم الشيخ (عتمان) تلميحها المباشر، وعرضها الآثم، وأدرك دون مجهود بأنها جعلت من نفسها جزء من الصفقة التي سيعقدها معها مقابل خدماته..

لذا فإنه صمت برهة ليقيم الأمر، استغلها في تفحصها ببصره من رأسها حتى أخمص قدميها، واعتدلت هي في جلستها لتساعده على أن يمتع عيناه بمفاتنها المحدودة، وانحناءات جسدها، ليقول الشيخ في بطء، وقد ظللت وجهه ابتسامة خبيثة:

-كل ما تريدينه مجاب يا سيدتي، وسيتكفل به الأسياد، والثمن الذي عرضتيه مقبول جدًا، ولكني لست من سيقبض الثمن، فالعهد الذي بيني وبينهم يمنعني من الاقتراب من نساء البشر، فهل تتفهمين كلامي؟.

هزت رأسها في فهم، وقالت بطريقة فجة:

-اعتبرني ملكك يا سيدنا الشيخ (عتمان)، وأفعل بي ما تشاء، فقط أجعلني أرى أنك قادر على فعل ما أطلبه منك وما أترجاه، وبأني أتيت للشخص والمكان الصحيحين.

كانت المرة الأولى في حياتها التي تلجأ لمن هم مثله، تقتحم مثل هذه العوالم المريبة، وتخوض في هذا المستنقع الدنس، لذا فإنها كانت تتعجب من نفسها، ومن أسلوبها،

وجرأتها.

لم تكن تعرف من أين جاءتها الجرأة والشجاعة، لتتحدث بمثل هذه الوضاعة، وهي التي يضربون بأخلاقها الأمثال، بل وتجعل نفسها تحت رهن الشيخ (عتمان)، ومن يمنحها له من زبانيته..

ربما لأنها أدركت أنها لو لم تقدم للشيخ (عتمان) مقابل كاف، فقد تخسر زوجها ومعركتها، وهو ما لن تقبله أو تسمح به، فالله غفور رحيم، ولكن البشر، لا يرحمون ولا يتوقفون عن الشماتة.

إن البعض قابل للإفساد أكثر من غيره، وهي ظلت محافظة على نفسها ومبادئها وتربيتها، حتى خاضت الاختبار الحقيقي لكل هذا، فتهاوى صرحها الأخلاقي، ومبادئها أمام خوفها من هزيمتها من امرأة أخرى في معركة زوجها، وكما يقول المثل الشائع:

- الكل شريف حتى تأتي العاهرة.

وهي أثبتت لنفسها وللشيخ (عتمان)، أنها لا تبالي بالشرف، طالما ستفوز في النهاية، وتحافظ على زوجها من النساء، وبالأخص جارتها (صابرين) البدينة، التي لا تساوي في سوق النساء مليم، ويشتهيها زوجها..

وما يشغل عقلها فقط في هذه اللحظة؛ أنها بحاجة إلى دليل من الشيخ (عتمان) على أنه قادر على تحقيق مرادها، قبل دفع الثمن كاملا.

لقد كانت حريصة على عدم الاختلاط بالنساء الجالسين بالخارج، وعلى عدم التحدث عن نفسها ولا مشكلتها، حتى لا تكون ضحية للنصب لو نقل بعضهم إلى الشيخ أي معلومات عنها من خلال ثرثرتها..

وهي طريقة شهيرة يستخدمها الدجالون والنصابون، بانتزاع المعلومات من الزبائن عن طريق بعض أتباعهم المدسوسين، الذين يمثلون بدورهم دور الزبائن ويتقربون من الضحايا.

وكان الشيخ (عتمان) من الذكاء، ليستغل ضحيته التي قدمت نفسها على طبق من ذهب.

إن الأقدار تخدمه هذه المرة بشكل لم يكن ليحلم به، وفي الوقت المناسب..

وليثبت لها أنه قادر على الفعل، أشعل كمية هائلة من البخور، وطلب منها أن تمد يدها إليه من فوق سحب البخور الساخنة..

ولم تتردد هي فقبض بقوة على يديها الناعمتين، مما جعل

جسدها كله ينتفض في عنف، فهي المرة الأولى في حياتها التي يلمسها فيها رجل غريب، ثم انتفضت مرة ثانية عندما أغمض عينيه، وأخذ يردد بعض الكلمات والتعاويذ الغامضة؛ التي أنهاها بقول:

-لينكشف السر، وليزول الستر، الوحا الوحا، العجل العجل، الساعة الساعة.

وفي اللحظة التالية شعرت بحرارة شديدة في أماكن أصابعه فحاولت أن تتحرر من قبضته، إلا أن ضغطه زاد عليها أكثر، فصرخت بكل عزمها، وفي اللحظة التالية أظلمت الدنيا أمام عينها، ثم أضاءت دفعة واحدة لترى غريمتها (صابرين) جالسة أمامها..

والمصيبة أنها لم تكن وحدها..

لقد كانت (صابرين) في هذه اللحظة تجلس في إحدى قاعات السينما بجسدها المفعم بالأنوثة، وصدرها الناهد الممتلئ، وأصابعها القصيرة تعانق أصابع رجل مبتسم، كان يعتصر يدها في لهفة، وعلى وجهه ملامح الشبق والرغبة..

وهذا الرجل الذي كان يرتدي قميص ضيق ناصع البياض، أجهدها لتزيل منه بقعة كادت أن تفسد بياضه الناصع، قميص ساعدت زوجها على ارتدائه هذا الصباح.

صرخت في قوة، وهي تردد في غضب وعصبية:

-إنها قصيرة وممتلئة أيها الحقير، حتى الميزة الوحيدة التي جذبتك إلي تخليت معها عنها، أي سحر سحرتك به بنت الغباشي؟.

ومع صرختها الغاضبة المشتعلة بالثورة، عاد الظلام الدامس ليحيط بعقلها، ثم شعرت بالألم الممض في معصمها، قبل أن تسمع صوت الشيخ (عتمان) العميق وهو يقول ببطء:

-لقد رأيتِ الحاضر يا بنت سماهر، أستطيع أن أريكِ المستقبل أيضا ليطمئن قلبك.

وبرغم الألم الذي تشعر به في يديها، ودهشتها من معرفته باسم أمها، وغضبها من زوجها، وحرقتها من غريمتها، ولكنها عادت ومدت له يدها التي تحترق من الألم عبر سحب البخور المتصاعدة، فقبض عليها بقوة جعلتها تصرخ بشدة، ليسود ظلامها العقلي لفترة أكبر من السابق، قبل أن تجد نفسها في إحدى قاعات الأفراح الشعبية التي تضج بالأضواء الملونة، والموسيقى والأغاني، وأصوات التصفيق والرقص.

وهناك وقفت مصدومة لم تستطع أن تتحدث أو تنطق أو تفكر!

فزوجها الحقير، كان يجلس في الكوشة بجوار (صابرين) البدينة، التي وياللعجب كانت شديد الجمال والفتنة في فستان زفافها الأبيض عاري الصدر، وتسريحة شعرها المموجة.

لقد زادت الفرحة من جمالها..

حتى زوجها يبدو سعيدا، بل وأصغر سنا!!

فهل أحبها الوغد حقا، وهل لديها فرصة لإصلاح هذا الخطأ؟

جزت على أسنانها من الغضب والضيق، بعد أن رأت زوجها يُسرق منها، وبعد أن رأت السعادة الكاملة على وجه غريمتها (صابرين)!

إنها نفسها لم تشعر بمثل هذه السعادة عندما تزوجت منه، فما الذي رأته فيه (صابرين) لم تره هي والعكس؟!

لم تتحمل سعاد الموقف الدائر أمامها، فراحت ترمق زوجها في غضب وكراهية، وقد سكن قلبها حقد أسود مكين.

وعندما عادت لوعيها، ووقع بصرها على وجه الشيخ (عتمان) المبتسم ابتسامة صفراء، بادرته قائلة بكل مقت:

-أنا أرغب في عمل أسود يدمر حياة تلك الحقيرة خاطفة

الرجال، ولكن قبلها يجب أن تُفضح، وتجرس، وتتعذب في حياتها، كما أريدك أن تجعل مصير زوجي في يدي، فبعد ما رأيته أعتقد أنك قادر على هذا.

وقتها ابتسم الشيخ (عتمان)، وتحول النور الذي في وجهه إلى سواد، وهو يقول في خبث:

-وهل ستستطيعين دفع الثمن المضاعف، إنك تطلبين أمرين مختلفين هذه المرة؟.

قالت في توتر:

-لقد أخبرتك أننا مستعدة لأي شيء يا شيخ (عتمان)، فقط لا تطلب مني أي مبلغ أخر من المال؛ فلن أستطيع الحصول عليه، أنا أمامك بكامل رغبتي وإرادتي، امنحني لمن تشاء، ولو كان الشيطان نفسه.

قهقه في قوة وقال في غموض:

-لن يكون شيطان واحد فقط، بل عدة شياطين.

توترت في مكانها، وهي تتخيل نفسها بين أيدي الرجال الغرباء، ثم احتل تفكيرها وجه غريمتها (صابرين) وهي في الكوشة بجوار زوجها، وسعادة الدنيا تغمرها، فانقبض قلبها، وقالت في غضب:

-طالما ستحقق لي المطلوب، لن أخذلك.

وساعتها سحب الشيخ عثمان من جواره مشرط حاد، ولوح به قائلا:

-هل تقسمين على هذا بالدم؟.

سحبت منه المشرط بسرعة، وجرحت بطن كفها.. فسحب كفها الدامي، وقبض عليه، وقال بصوت مخيف:

-ردّدي خلفي إذن.

ابتلعت ريقها في صعوبة، ثم أخذت تردد الكلمات بغير وعي:

-أقسم بدمائي، أن أكون خادمة للشيخ (عتمان)، وأسياد الشيخ (عتمان)، وأن يحمل رحمي نسلهم الخالد.

وما أن انتهت من القسم، حتى اعتراها خوف عظيم، فقبض الشيخ (عتمان) على يدها وقال محذرًا:

-لديك فرصة أخيرة للتراجع يا بنت سماهر، وبعدها لو أخلفت العهد والقسم، لن تري يوما سعيدًا في حياتك.

كادت بالفعل أن تتراجع عن طلبها بعد حديثه المخيف عن الأسياد ونسلهم، وهي تشعر بالألم يتسرب من يدها إلى كامل جسدها، خاصة بعد أن شعرت أنها ستورط نفسها في

فخ لا فكاك منه، ولكن صورة زوجها وضرتها المستقبلية عادت وأشعلت مشاعرها..

إنها مثلما يحدث في الأفلام الأجنبية، ستغير المستقبل، وتعاند القدر، وتغير مصيرها ومصير زوجها، الذي اختار هذه المرة بقلبه، وليس بشهوته.

فلو تزوج تلك الحيزبون التي عشقها أو في سبيله لذلك، فستخسره إلى الأبد..

لو كانت مجرد نزوة عابرة لغفرتها، ولكن أن يحبها ويتزوجها، موتها أهون عليها مما ستفعله بها..

لذلك وبكل عزم قالت:

-لا مجال للتراجع أو التفكير الآن يا شيخ (عتمان)، أنا مستعدة لكل شيء وأي شيء.

وفي اللحظة التالية، وجدت نفسها طريحة على الأرض الباردة، والهواء من حولها يزداد سخونة، وفوقها كائن قزم خفيف الشعر، لا يزيد طوله عن المتر، وله قرنان عظميان قصيران، يشبه القرد أو الجدي النحيف، وله رائحة زاعقة تشبه رائحة الجثث المتحللة، والكبريت.

وراح هذا المخلوق البشع يضاجعها بكل قوته وجبروته

لعدة دقائق، حتى شعرت بأحشائها تتمزق، وبجسدها يحترق، وبأنفاسها تضيق، وكأنها تحتضر أو في طريقها إلى الموت.

وعاصرت على يديه من الألم ما لا يمكن أن يتحمله مخلوق في الوجود.

وعندما انتهى منها هذا الشيء البشع وتركها أخيرا وبدأت تلتقط أنفاسها، ظهر لها مخلوق أخر أشد بشاعة بسحنته المروعة ورائحته الكريهة، ليعتلي جسدها، ويهتك أحشائها، دون رحمة أو شفقة، ودون أن يبالي بتوسلاتها أو صرخاتها..

ولم يتوقف الأمر عند هذا، بل تكرر الأمر معها لثلاث مرات، مع ثلاث من تلك المخلوقات المقززة شديدة البشاعة، ذاقت خلالها آلام الدنيا، قبل أن يعود لها جزء يسير من وعيها، لتسمع صوت الشيخ (عتمان) يحدثها بكل هدوء وظفر:

-لا أعتقد أن مجيئك إلى هنا صدفة يا بنت سماهر، إنما كان يدفعك حقدك، وقوة عليا غير منظورة، فأنت موصومة بصلة الدم منذ زمن بعيد، كما لم يكن منحك رحمك لخدم سيدنا عشوائيًا، إنما كنت تنفذين قدرك المظلم، وثمرة هذه الليلة ستكون ملك سيدي، إنها قربانك ليتحقق مرادك.. وبعد موت ثلاثة أقمار سيتحقق طلبك.

كانت في حالة من الذهول، بعد أن تعرضت لتلك التجربة الرهيبة المؤلمة على يد تلك المخلوقات الشيطانية البشعة التي ضاجعتها بكل قسوة، وأحرقت أحشائها، وجعلت بينها وبين الموت شعرة، تمنت لو انها انقطعت بعد أن تورطت بشكل مرعب في عالم لم تكن تدري عنه أي شيء قبل عدة ساعات فقط.

ما الذي فعلته في نفسها؟

أين كان عقلها؟

هل ضاجعتها الشياطين حقًا؟

وهل ستحمل ثمن هذه الفعلة المحرمة في رحمها؟

هل هناك شيء في هذا العالم يستحق ذلك الثمن؟

وهل لم تأتي إلى هنا بإرادتها بالفعل، وأن الأمر كان مرتبًا، وعبث بها هذا الشيخ الخبيث، وجعلها تقدم نفسها ورحمها قربانا للأسياد؟ ولكن من أين له أن يعرف أنه قادمة إليه؟

ألهذا تم الأمر بهذه السرعة الصاروخية.

لقد سبق السيف العزل، وعليها أن تخوض في هذا المستنقع الأسن حتى عنقها، وهي مجبرة، لقد أقسمت بدمها، ودفعت الثمن، وثلاثة أشهر، وتنجب ذرية الشياطين..

هل يمكن هذا بالفعل؟ أن تنجب من ثلاثة شياطين جنين واحد، أم أنها ستنجب ثلاث توائم؟

ونسلها منهم هل سيكون بهيئة بشرية أم شيطانية أم ممسوخة؟

دارت رأسها من كثرة الأسئلة، وشعرت بطاقة سلبية هائلة تغمرها، لدرجة أنها تمنت الموت في هذه اللحظة.

كل هذا، والشيخ (عتمان) يتابعها بعينيه الخبيثتين كالصقر، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة، وكأنه يقرأ أفكارها بالفعل.

وعندما بدأ الألم الهائل يتلاشى ببطء من جسدها، وبدأت تستعيد سيطرتها على كيانها، ووعيها، شعرت بشيء غامض يثقل رحمها، فصرخت بغضب وجزع:

-ماذا فعلت بي أيها المأفون؟.

عاد ليقهقه وهو يجيبها في برود:

-لم أفعل أي شيء، خدم السيد هم من فعلوا، وأنت من عرضت نفسك.

استعر الغضب في أعماقها، ولكنها عندما وزنت الأمور في عقلها، بعد أن تجاوزت موجة ألمها وغضبها، أدركت أن

غضبها سيجعلها تخسر المزيد، ثم قفزت الفكرة في رأسها وقالت في قسوة:

-هل سيظهر علي أثار الحمل؟.

هز رأسه بالإيجاب، وقال في اهتمام:

-خلال ثلاثة أشهر ستكون بطنك منتفخة وكأنك حبلى في توأم، ولكن...

قالها وصمت، فهتفت به في ذعر وغضب:

-ولكن ماذا أيها اللعين؟.

قال في جدية وصرامة:

-سيحمي الآباء الثلاثة نسلهم، ولن يشعر من حولك بشيء، فقط لو خالفتي العهد، وحنثت بقسمك، سيكون العذاب والموت والفضيحة، وستشهد غريمتك كل هذا.

صمتت لنصف دقيقة قبل أن تقول في فهم:

-لقد تورطت بالفعل في هذا الأمر الملعون، ولكن لتعلم إنه تعامل لمرة واحدة فقط، وخالتي وخالتك وتفرقت الخالات، ستنفذ اتفاقك وأنفذ اتفاقي وتنتهي كل صلة بيننا.

وهنا ابتسم لها ابتسامة صفراء، فهمت مغزاها..

فلا أحد يتورط في هذا المستنقع وينجو منه.

وعندما أطلق المزيد من البخور، ذهبت دون وعي منها في سبات عميق.

وحينما استيقظت من غفوتها، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءا، وكان هاتفها المحمول قد تلقى ثمانية عشر اتصال من زوجها، وأربعين من أمها، ولكنها لم تبالي بأي منهما..

كل ما كانت تريده أن تغادر هذا المكان الدنس، وأن تتنفس هواءًا نقيا خاليا من رائحة البخور والدنس.

وكان أول ما واجهها عندما غادرت العمارة الشاهقة، هو دفقة من الهواء البارد أعادت لها بعض حيويتها، ونقت أنفها من الروائح التي أزعجتها.

كانت تشعر بإرهاق رهيب، ولكنها كانت قادرة على السير، وعندما عبرت محل الفرارجي أتاها صوته اللزج:

-كل المطلوب عندي يا ست البنات.. تعالي ولن نختلف.

تجاهلته وهي تشعر بالقرف، ثم غادرت الشارع الضيق، وركبت سيارة أجرة أقلتها إلى منزلها، وقابلت غضب زوجها ببرود، وأخبرته أنها فقدت الوعي في الشارع، وأبناء الحلال

نقلوها إلى المستشفى، وعندما استفاقت عادت إلى المنزل..

ظهر الشك على وجه زوجها، وحاول برغم حالتها المزرية، والتعب والارهاق الباديان عليها أن يضغط عليها أكثر، ويستجوبها أكثر، ولكنها نهرته، ونظرت نحوه بقسوة:

-ليس الآن يا (حمدي).. ليس الآن.

شيء ما رآه في عينيها، جعله يتراجع مذعورا، ويردد في خوف:

-كما تأمرين يا سيدتي، هل أعد لك الطعام؟.

لمعت عيناها في قوة برغم الموقف، وحدثت نفسها قائلة:

-لقد بدأت السيطرة، بركاتك أيها الوغد (عتمان).

ثم أجابته قائلة:

-بل حمام ساخن، أريد أن أغسل ما علق في جسدي جراء هذه الليلة اللعينة، هلم أعد لي الحمام.

ودون تأخير أعد لها زوجها الحمام، وعاونها فيه، ولم يجرؤ على سؤالها، على أثار الأظافر التي مزقت بشرة جلدها في أماكن مختلفة، ولا على أثار الاحتراق في أماكنها الحساسة، فقط ظل طوال الليل جاثيا بجوارها ككلب أليف يعتني بها، حتى طلع النهار.

ونامت هي في هذه الليلة كما لم تنم من قبل..

وفي اليوم التالي، وبعد أن زال عنها تعبها، وتلاشت كل أثار اليوم السابق بشكل مذهل غير مفسر، وبعد أن شعرت بحركة الجنين للمرة الأولى في أحشائها، قررت أن تجري إحدى التجارب..

وبطريقتها المعسولة في الحديث، استضافت عندها غريمتها (صابرين) واقترحت عليها أن تعد لهما بعض الشاي، وغادرتها إلى المطبخ، ثم عادت من هناك وأخبرتها أن الشاي نفذ وستحضر غيره بسرعة من البقال القريب، ورفضت عرض (صابرين) بإحضار بعضه من شقتها، وقبل أن تغادر أمرت زوجها أن يراودها عن نفسها..

وبالفعل غادرت الشقة، واغلقت الباب خلفها بصوت مسموع لتؤكد لغريمتها أنها غادرت بالفعل، وبعد عدة دقائق عادت وتسللت إلى الدخل، وهي تنوي أن تفضح غريمتها فضيحة كبرى؛ فتنتهي قصتها مع زوجها، وربما على أثر الفضيحة تغادر العمارة، بل الحي بالكامل.

وبالطبع كانت تتوقع أن زوجها المسحور، سينفذ طلبها بآلية، ودون مشاعر، ولكنها عندما عادت من الخارج، ورأت غريمتها في أحضان زوجها، وهو يقبلها بكل شوق ولهفة،

وهي تبادله الشوق بألف، كادت أن تسقط على وجهها من الصدمة، ولم تفق من صدمتها، وإلا وهي تهاجم زوجها وتصفعه وتضربه وتخمش وجهه، ودموعها تغرق وجهها وصدرها..

واستغلت غريمتها التي صعقتها المفاجئة ثورتها الجنونية على زوجها وفرت إلى شقتها، واغلقتها خلفها الباب بإحكام، وكأن شيئا لم يكن، ففقدت بهذا فرصة مؤكدة لتنفيذ مخططها وبكل بساطة.

المشهد دمر أعصاب (سعاد)، التي أخذ الجنين الذي في بطنها بالتحرك بشكل عنيف ودائري كثعبان يتلوى في أحشائها، وكأنه ينفعل مع انفعالها، ولم تكن تعرف إن كان يؤازرها، أم أنه غاضب منها، ولكنها لم تهتم، فكل تركيزها انصب على زوجها الحقير الخائن، وعلى سيطرتها التي تبدو غير مكتملة عليه.

فلم تكن تتخيل، وهي تخطط وترتب لهذا الأمر، أن ترى هذا المشهد المؤلم المهين لها كزوجة وأنثى.

إن زوجها برغم ما يسيطر عليه من سحر أسود غارق في حب تلك الأرملة (صابرين)، وهي تبادله الحب أضعافا.

لم يفلح السحر في هزيمة حبه لها..

لقد خدعها الشيخ (عتمان)، خدعها وأفسد مخططاتها، بعد أن جعلت نفسها عاهرة لشياطينه.

وفي المساء كانت (سعاد) عنده بكل غضبها وحقدها المكين، وكان هو ينتظرها في مقر عمله الفخم، وبكل برود أخبرها أنها طلبت السيطرة على زوجها، وهو منحها هذا، ولا ذنب له في سوء استعمالها لها، ومرادها سيتحقق من غريمتها بعد أن تنجب ما تحمله في بطنها، وعندما صرخت فيه، وأخبرته أنها تريده أن يجعل زوجها يكره جارتها، ويهيم بها هي، ابتسم ابتسامة صفراء، وقال:

-لقد طلبتي السيطرة، ولم تطلبي الحب يا بنت سماهر، السحر قد يفسد الحب، ويشوهه في عيون المحبين، وينشر بينهما البغضاء والشقاق، ولكن لا يصنعه، حتى لو جعلت زوجك يرى غريمتك أبشع وأسوأ إنسانة في الوجود، فلن أستطع جعله يحبك مثلما يحبها، أو يهيم بك مثلما يهيم بها، فالسحر يقف عند حدود القلوب.

هضمت حديثه في سرعة البرق، ثم قالت بسرعة:

-لا بأس ليكره تلك الحيزبون اللعينة، ولا أريد منه حبًا.. أريد فقط الطاعة والخضوع.

صمت الشيخ (عتمان) قليلا، وكأنه يفكر في شيء هام، ثم

زاغ بصره، وكأنه يتلقى وحيا ما، قبل أن يقول في شرود:

-هناك وسيلة محرمة، أتي لي وحيها الآن من القوى العليا، وهي قادرة على جعل زوجك يغرم بك، وفي نفس الوقت يخضع لسيطرتك وأوامرك، ويقدم لك واجبات الولاء والطاعة، ولكن ثمنها فادح، وأنا لم أقم بها من قبل، وسيعينني عليها أحد سحرة الشياطين المكلفين، وسيساعدني على إنجازها..

هزت رأسها في رفض، وقالت في عناد:

-لن يمس جسدي شيطان مرة ثانية.

منحها الشيخ (عتمان) ابتسامة ذات مغزى، وقال بتودد:

-لن يكون الأمر بهذه الطريقة يا بنت سماهر، إن الأمر مختلف هذه المرة، سيكون حياة مقابل الحب، حياة غريمتك.

شهقت (سعاد) من الصدمة وهتفت في ذعر:

-هل تطلب مني قتلها؟ هل تريدني أن أقتل (صابرين)؟.

هز رأسه بإيجاب وقال بحيادية:

-لست أنا من أريد.. فأنا لا أملك هذا العلم.. بل القوى العليا، وهي من تجلت علي، وهي من تمنحك هذا العرض النادر.

صرخت فيه (سعاد) بغضب، والفكرة تهزها من الأعماق:

-أنا لست قاتلة أيها المأفون، لا أريد منك أي شيء، ولا من قواك العليا.

ابتسم مجددًا وقال بهدوء بغيض:

-ليس عليك أن تنتزعي حياتها بيدك، عندي من يقوم بالمهمة، ولكنك ستدفعين الثمن.

وساعتها لم تعرف لماذا وجدت الأمر أقل رهبة وبشاعة وتقبلا..

إنها قادرة على تحمل ليلة أخرى محرمة بين أذرع الشياطين الثلاثة، الذين سيتولون المهمة عنها، وبعدها ستتخلص من غريمتها، ويصبح زوجها لها إلى الأبد، فقط عليه أن يجعلهم يتجسدون في هيئة بشرية أو حيوانية فهو أرحم من هيئتهم الطبيعية، إنها تحب الكلاب فليتجسدوا في هيئتها.

وكأنما يقرأ أفكارها، قال الشيخ (عتمان):

-لا مزيد من مضاجعة الشياطين يا (سعاد)، الثمن هذه المرة سيكون بسيطًا جدًا، ستسجدين لسيدنا، وتقدمين بعض من دمائك على مذبحه.

وهنا احتبس الهواء في حلقها للحظات، وصرخت بشكل غاضب منكر يحمل كل مقت الدنيا:

-أيها المأفون الكافر، هل تريدني أن أكفر مثلك؟.

عاد ليبتسم وقال بهدوء:

-الأمر كله عائد إليك يا بنت سماهر.. لقد قدمت لك عرضي.. وبإمكانك قبوله وتنفيذه الآن، أو رفضه والانصراف وعدم العودة هنا مجددًا.

وطوال طريق عودتها إلى منزلها، وقر في قلبها أن تنهي هذه المهزلة، وتقطع صلتها بذلك الشيخ الكافر الحاضرة شياطينه طوال الوقت، وتتخلص من الجنين الملعون، وتعود لحياتها السابقة الطبيعية، وليذهب زوجها ونسائه إلى الجحيم..

لقد بدأ الأمر معها بمعصية، ولن تنهيه بالكفر، وليفعل ذلك المأفون النجس ما يريد، إنها لن تبيع عقلها أو جسدها لأحد بعد الآن.. كفاها ما ارتكبت من معاصي، وما حصدت من ذنوب.

وعندما شارفت على الوصول لحيث تقطن كانت روحها قد استقرت، وخطتها قد تخمرت في عقلها، ووضحت لها معالم الطريق الذي اختارته، وأخذت تبكي وهي تستغفر ربها

بصوت مكتوم..

وعندما وصلت إلى شقتها، وفتحت بابها، لم تكن تدري أن بالداخل تنتظرها مفاجأة مروعة، لم تكن تخطر لها على بال.

مفاجأة من العيار الثقيل..

فعندما دخلت شقتها، وهي تحمل كل هموم الدنيا على عاتقيها، سمعت أصواتا غريبة..

أصوات صدمت أذنيها من حرارتها، وارتفاعها..

أصوات تأوهات وأحاديث ماجنة، تموج بالرغبة والشبق..

إنها تعلم أن زوجها يواظب على مشاهدة الأفلام الإباحية، وتتجاهل هذا الأمر الشاذ تماما، وكأنها لا تعرفه، كي لا يحدث صدام بينهما لا طائل من ورائه، فمن به طبع لا يغيره.

كما أنها حقيقة لا تهتم بما يفعل طالما لا يؤثر على فحولته معها، ولكن أن يشاهدها بهذا الصوت المرتفع الذي يمكن أن يتسبب لها بفضيحة في العمارة، ويجعلها مثارا للسخرية أمام الجيران، فهو أمر لا يمكن السكوت عليه أبدًا..

وبتركيز أنصتت للصوت الماجن المستعر، في محاولة لتحديد مصدره، وهي تنظر للغرفة المظلمة التي يوجد بها التلفاز، ثم انقبض قلبها..

إن زوجها لا يشاهد الآن تلك الأفلام المشينة، والصوت لا يخرج من غرفة التلفاز، لأن التلفاز والأضواء مطفأين..

فما مصدر هذا الصوت اللعين؟!

توترت للغاية، وهاجت برأسها الأفكار.

الصوت يبدو طبيعيا وقريبا، ودون مؤثرات صناعية مما تصنع بها تلك المواد المحرمة المصورة..

هل هو زوجها، ولو كان هو، فهل جرؤ على احضار إحدى عاهراته إلى منزلها؟!

اللعنة على الشيخ النصاب، وسيطرتها عليه.

اقتربت من غرفة نومها التي اشتعلت جميع أضوائها وكأن بداخلها حفل صاخب، ثم شمت رائحة العطر السكري النفاذ، الذي تميزه جيدًا، فاندفعت صوب غرفة النوم، و.

وشهقت من الصدمة..

كان زوجها على فراشها، يعتلي ظهر امرأة أخرى تصرخ كالعاهرات، وتطالبه بالمزيد من العنف.

برغم وضوح المشهد، ولكنها لم تستوعبه لوهلة..

وعندما تخطت الصدمة، فهمت الهول الدائر أمامها..

إن زوجها يمارس الحب مع امرأة أخرى غيرها، وفي شقتها وعلى فراشها..

صرخت بكل قوتها:

-أيها الحقير.. ماذا تفعل في غرفة نومي؟.

تضاعفت صدمتها عندما استدار نحوها، ثم عاد يكمل ما يقوم به بكل رغبة وعنف، وكأنه لا يأبه بوجودها أو ثورتها.

مما دفعها لأن تقترب من ساحة القتال المستعرة أمامها، وتقبض على شعر المرأة التي دفنت وجهها في الوسادة، وترفعه في عنف..

ومع اندماج المرأة فيما يحدث، وتخيلها أن من يجذبها من شعرها بعنف هو (حمدي) زوج (سعاد)، صرخت بشدة وهي تستدير لتطالبه بأن يقلل من حدة عنفه معه، ولكنها تفاجأت وصدمت وظهر الرعب على وجهها وهي تواجه (سعاد)، بينما تدلى فك (سعاد) من الدهشة والصدمة المزدوجة، فلم تتوقع أن تكون المرأة الأخرى... هي (صابرين)..

لم تتوقع أن تهرب منها في الليلة السابقة كما يفعل اللصوص، ثم تعود لأحضان زوجها في اليوم التالي، وتستغفلها في شقتها وعلى فراشها.

لم تتوقع أن تقع أبصارهما عليها، ويكملا ملحمة الرغبة والجنس الفاحش.

ما حدث تاليا كان مشوشا جدا في ذاكرتها..

صراخها..

سكين المطبخ..

محاولة زوجها الدفاع عن عشيقته ...

ثم طاعته لها عندما صرخت فيه، وأمرته ألا يدافع عنها..

الطعنات..

الدماء..

الجيران والشرطة..

الفضيحة الكبرى..

المحاكمة..

لقد صدق الشيخ (عتمان) الملعون هذه المرة، بأن منح لغريمتها الفضيحة، ولها السيطرة على زوجها..

لقد بر بوعده بالفعل، وقبل موعده أيضًا!

ثم..

-بعد مراجعة قانون الإجراءات الجنائية، وبعد أن ثبت في يقين المحكمة، وبكامل أعضائها قيام المذكورة بقتل جارتها (صابرين جميل الغباشي) مع سبق الاصرار والترصد؛ حكمت المحكمة حضوريا على المتهمة (سعاد خليل الساعي)، بتحويل أوراقها إلى فضيلة مفتي الديار المصرية .

وفور نطق الحكم سادت حالة من الهرج والمرج بداخل المحكمة، وتباينت الانفعالات بين كل الموجودين من أهل (سعاد) وأهل (صابرين)، ولكن في الحالتين كانت الدموع هي وسيلة التعبير عن الأمر..

دموع الحزن والقهر من أهل (سعاد)، ودموع الفرح والقصاص من أهل (صابرين) الذين لم يتلقوا العزاء في ابنتهم بعد..

كان قد مضى على هذا الأمر ثلاثة أشهر، وقد صدّق فضيلة المفتي على إعدامها.

وفي زنزانتها الفردية، وبعد أن لبست زي الإعدام الأحمر، فاجأتها آلام المخاض..

وكما قال الشيخ (عتمان)، لم يسمع أو يشعر بها أحد..

وأنجبت هي جنين صغير أسود اللون يشبه الحرباء، له ثلاثة رؤوس، وألسنة مشقوقة كألسنة كالثعابين، ويطلق

فحيح مروع مثلها..

وراح ينظر نحوها بعيونه الستة نظرة موحده، جعلت أنفاسها تضيق، ورأسها تدور، وهو يقترب منها في هدوء، ثم انقض على الحبل السري والمشيمة وشرع في التهامهما في جشع.

ولم تتحمل هي رؤية ما يفعل ففقدت الوعي..

وعندما استيقظت من غيبوبتها سليمة معافاة، وكأنها لم تنجب مسخًا منذ أقل من ساعة، جلست في غرفتها صامتة، غير واعية، وقد صار عقلها كالصفحة البيضاء، لا تفكر ولا تحزن، ولم تأتي بأي رد فعل، بينما اختفى المخلوق المخيف برؤوسه الثلاث، وكأنما تلاشى في العدم.

ظلت على حالتها هذه لفترة طويلة تالية، وحتى عندما امتلأت مثانتها، بالت على نفسها، وعندما أغرقتها المياه الكريهة، لم تشعر بها أو تتحرك من مكانها قيد أنملة.

وبعد آذان فجر اليوم التالي، فوجئت ببوابة زنزانتها تفتح، ورأتهم قادمين لاصطحابها إلى حبل المشنقة..

فاجتاحها فزع رهيب.

وفور أن رأت حبل المشنقة يتأرجح أمامها..

صرخت من أعماق أعماقها:

-أنقذني يا شيخ (عتمان).

ولكن من ظهر أمامها، لم يكن الشيخ (عتمان)، بل كان (الرسول) بهيئته الكئيبة، وملابسه السوداء، وبوشمه الذي يمثل أفعى مجنحة صارخة، والذي رأته يتألق بقوة.

وأثناء إلقاء ممثل النيابة عليها حيثيات الحكم، تمت الصفقة الجهنمية، ولا تعرف كيف وقعت العقد الملعون وهي مقيدة، ولا كيف وافقت على كل الشروط دون اعتراض؟

وبرغم هذا رأت (عشماوي) يقترب منها بكل هدوء، فتوترت أعصابها بشدة، وهي تنظر للرسول بوجهه الجامد الصامت، وتطلب منه بنظراتها الشاخصة العون، دون أن يستجب لها.

وعندما غطى وجهها بالقناع الأسود المرعب، صرخت بهستيريا، ثم انحبست أنفاسها وهو يلف أنشوطة المشنقة الغليظة حول عنقها، فشعرت بملمسها الليفي المخيف.

وعندما جذب عشماوي اليد المعدنية التي تفتح باب طبلية الإعدام، توقف قلبها من الرعب.

وما إن تدلى عنقها من أنشوطة المشنقة، وقبل أن تكسر

الحلقة المعدنية التي أضافها عشماوي لأنشوطته فقراتها العنقية..

شعرت بوعيها يغيب، وذهبت في غيبوبة طويلة، لم تستيقظ منها إلا في الكهف.

الكهف

في ذلك اليوم، وقرب منتصف الليل، سمع (منير) الهمهمات الغريبة المشوشة مجهولة المصدر تتردد من حوله في اضطراد، وإن لم يستطع تمييزها جيدًا برغم اصغائه الشديد لها، في حين كان عقله يحاول إقناعه بكونها لغة مفهومة، ولكنه لسبب ما لم يستطع فهمها أو استيعابها أو التفاعل معها، وكأن هناك حاجز عقلي في رأسه يمنعه من الاستيعاب أو الفهم السريع.

لذا فإنه تجاهلها مؤقتا، وحاول فتح عينيه مرارا، فلم يستطع، وذهبت كل جهوده أدراج الرياح، وكأن هناك أثقال موضوعة فوق جفنيه تمنعه من مجرد التفكير في الأمر أو المحاولة..

الخدر منتشر في أنحاء جسده..

إحساسه بأطرافه موجود، لكن قدرته على التحكم بها منعدمة، وكأن هناك قيود خفية مجهولة المصدر تكبل جسده وأطرافه، فلم يقوى على الجلوس أو الاعتدال في مكانه.

لذلك عاد لينصت بتركيز أكبر للهمهمات المشوشة التي تلتقطها أذنيه من حوله دون انقطاع، وفجأة شعر بطاقة

باردة هائلة تسري في كيانه، وبدمائه تكاد أن تتجمد في عروقه، ثم شعر بسيولة عجيبة في خلاياه، وغمره إحساس عارم بالراحة والهدوء، مع صفاء مفاجئ لعقله، فشهق بقوة ليشعر بالهواء البارد يلهب رئتيه، ثم سمع صوت أنثوي مبتهج يقول في رقة وحماس بالغين:

-(شيري).. (بيري).. لقد استيقظ الأمير النائم.

أجابها في لامبالاة صوت أجش؛ لا يمكن أن يصدر عن أنثى ممن ذكرت أسمائهم في معرض حديثها، وإن ميز فيه نبرة أنثوية ضعيفة:

-حسنا يا (سعاد)، سأنادي على (ندى) و(ريم) وباقي الرفاق، أعتقد أن (وائل) يتناول طعامه الآن، لقد أنهى تمريناته العنيفة منذ دقائق، ولابد وأن هذا الخبر سيثير حماستهم.

قالت (سعاد) في حماس متصاعد:

-اجمعيهم على الفور يا (بيري)، فكلي شغف لأعرف قصة أخر أفراد فريقنا العجيب هذا.

صدم هذا الحديث أذني (منير)، فعلى عكس ما توقع كان حديثًا عاديًا، بين بعض الأحياء وليس الموتى كما كان يعتقد..

لو استيقظ في الجحيم، لكان الأمر منطقيا أكثر، فالفكرة الوحيدة العالقة في ذهنه أنه مات، وأنهى حياته بيده..

حاول أن يرفع جسده البدين، الذي فقد خلال غيبوبته ما لا يقل عن عشرة كيلو جرامات، وإن لم يظهر أثر فقدان الوزن على جسده المكتظ بالشحوم والدهون جليا.. فلم يستطع تحريكه قيد أنملة، فأطلق شهقة يائسة، وقرر أن يتجاهل الأمر لبعض الوقت حتى يسترد قوته وعافيته، وهو يحاول أن يتذكر كل شيء عن حياته السابقة، فاكتنفه صداع رهيب فكف عن المحاولة، ليأتيه صوت (سعاد) المرح يهتف في شفقة:

-حنانيك أيها الهمام.. اصبر على نفسك قليلا حتى تستعيد بعض من قوتك، جميعنا عانينا من نفس الأعراض.. أنت تحتاج فقط للمزيد من الصبر والراحة، وستستعيد كامل تحكمك في جسدك وأطرافك.

حاول أن يجيبها أو يفتح عينيه ليرى تلك المليحة صاحبة هذا الصوت المرح الرقيق، ولكنه عجز تمامًا عن الإتيان بأي رد فعل، فقرر أن ينصاع لنصيحتها، ويمنح جسده بعض الوقت.

كان سمعه يعمل جيدًا بخلاف جميع حواسه الأخرى، فسمع

الهرج والمرج الناجم عن تجمع هؤلاء المجهولين من حوله، وأصبح أكثر فضولا ليعرف أين هو ومن هؤلاء الغرباء، ومن صاحبة الصوت الرقيق المهتم؟!

والعجيب أنه برغم عجزه عن الحركة، لم يكن يشعر بأي ألم في جسده، بل براحة عظمى تدغدغ كيانه، وكأنه يرقد على فراش مخملي، والنسيم العليل يهب على وجهه في دعة.. فسكر من النشوة، وابتسم من أعماقه، وحاول أن يستمتع بها قدر المستطاع، ولكنه لم يستطع أن يحظى بمراده مع كم الحوارات والنقاشات والأصوات الدائرة من حوله والتي كانت توضح له أن من يحيطون به يجهلون من هو، فتسرب بعض القلق إلى روحه، ومع كل سؤال أصبح يوقن أنهم بالفعل غرباء عنه، وربما غرباء عن بعضهم البعض، فالمناقشات والتكهنات مازالت تدور في دائرة المجهول:

تُرى ما اسمه؟

ماذا فعل هذا البدين لتطول غيبوبته كل هذا الوقت؟

هل لديه قصة شيقة أم أن كل حديثه سينصب على الطعام، إن لديه كرش عملاق يُظهر كم هو شره؟

وبعض الجمل مثل: صه إنه يسمعنا.. لا يا (شيري) لا تصح السخرية من شخص عاجز.. متى سيستيقظ إن الأمر ممل؟

وأثناء انعقاد ذلك السيرك الغريب حول جسده العاجز، أخذ يستعيد بعض ذاكرته، وذكرياته، وجزء كبير من الأهوال التي واجهها قبل أن يسقط في هذه الغيبوبة ويصاب بهذه الحالة العجيبة من العجز وفقدان السيطرة، وفكرة واحدة تسيطر عليه:

-كيف نجى في ذلك اليوم من الموت المحتم؟.

وكانت الإجابة بسيطة ومعقدة في نفس الوقت:

-إنه السحر

ذلك العجوز النحيل الذي يدعى (الرسول) ظهر له من العدم.. لابد وأنه ساحر محترف، فلا أحد يظهر من العدم إلا السحرة الأقوياء، ولا أحد يستطيع أن يوقف الزمن، ويقهر الموت غيرهم.

والعجيب أنه قبل أن يقابل (الرسول)، لم يكن يعرف عن السحر إلا أنه محرم، وأن من يمارسه كافر، وأن نهاية ممارسيه دائما سيئة، وأنه لا يحقق المراد منه أبدًا، وقصص النصابين تملأ كل الصحف.

بينما الآن، وبعد أن قابل هذا الساحر العجوز العتيد، وأنقذ عنقه من الموت في اللحظة الأخيرة، ويسمع حوله كل تلك الأصوات المتباينة؛ فقد آمن بأن للسحر وجود حقيقي،

ورجال قادرين على تطويعه، وكان ممتنا بشكل غير طبيعي للرسول الذي منحه فرصة ثانية للحياة، سيجتهد ليستغلها أفضل استغلال.

وبرغم ركونه للراحة، ظل عاجزًا عن تحريك أي خلية في جسده لنصف ساعة أخرى، قبل أن يشعر بالجمود يذهب عن أطرافه، وبالقيود الخفية التي تكبله تتلاشى، ليصبح قادرًا، بعد عدة محاولات غير مجهدة، على فتح عينيه، ورؤية ما حوله..

وكان ما رآه مذهلا.

كهف حجري عملاق شديد الاتساع، مليء بالهوابط الصخرية المختلفة في الأشكال والأحجام، والتي تشكل فيما بينها لوحة طبيعية شديدة العظمة والجمال.

وهو مضاء بشدة وكأن له شمس خاصة به، على عكس أي كهف طبيعي، والضوء برغم سطوعه يظهر للعين مريحا وصافيا، والمصباح الذي يشع هذا الضوء، عبارة عن كرة بلورية، معلقة فوق رأسه في سماء المكان، دون أن يتصل بها شيء، وكأنها تتحدى قوانين الجاذبية والمنطق، وعلى الفور قفزت في عقله ذكرى لقائه ب(الرسول)، وعشرات التساؤلات تحتل عقله المنظم، الذي أخذ يربط اللقاء، بيقظته العجيبة، بما رآه من حوله.

وأثناء تفكيره العميق، أخذ يتحسس بأصابعه التي لم يسيطر عليها بشكل كامل بعد حدود الفراش الذي يرقد فوقه، فوجده فراشا بدائيا له هيئة الحجر ونعومة المخمل، في شكل لا يمكن أن يتوفر في الطبيعة، فكتم دهشته وهو يضيف هذه الملاحظة إلى ما في رأسه من ملاحظات، وهو يجاهد كي يرفع رأسه قليلا، ليقع بصره على جسده الممدد والمغطى بثياب شاهقة البياض، وكأنما تم صناعتها في حينها من أزهى أنواع القطن، وحوله وقف ستة أشخاص-ليس بينهم (الرسول)- لهم وجه مشع ومضيء بشكل مذهل وخلاب.

تفحصهم ببطء، وهو يحاول قراءة ملامحهم وسبر أغوارهم، وتعجب من تباينهم الشديد والمنفر..

فأقرب شخص له كان فتاة نحيلة نحول مرضي وإن كانت ملامحها مريحة، بجوارها رجل أصلع في العقد الرابع من عمره لديه جسد مصارع وعضلاته، ونظرات مرابي عتيد، ثم فتاة متوسطة الجمال تنظر نحوه بقلق، وأخرى شديدة الفتنة، من ذلك النوع الذي يدير أعناق الرجال، وشاب نحيل لديه ذقن نصف نامي، ثم فتاة ذات رأسين وبنية غريبة، وكانوا يحيطون به وعلى وجوههم ملامح فضول كبير، ويرتدون مثله نفس الزي الأبيض شاهق البياض، لدرجة

أوحت إليه بموته وبأن هؤلاء هم الملائكة.

ولكنه تعجب عندما وجد أحد هؤلاء الملائكة، وهو الشاب الأصلع مفتول العضلات، يقبض بأصابعه على تفاحة عملاقة، ويقضم منها في استمتاع، فترك رأسه ليستريح وهو يحدث نفسه: الملائكة لا تتناول الطعام.

وفجأة شع المصباح، وتدفق منه ضوء هادئ، له تأثير مريح ومنعش، أخذ يجتاح كيانه، ويسري في دمائه، ومن مكان ما هب نسيم عليل راح يدغدغ أعصابه، فجعله ينسى كل تساؤلاته وآلامه السابقة، ليقول بدهشة:

-هل أنا في الجنة؟.

قهقه مفتول العضلات حتى كادت قطعة من التفاح تقف في حلقه، لولا أن لفظها على الفور وهو يقول في مرح:

-هذا اختبار لم ينجح فيه أحد قط، الضوء الساطع مع الملابس البيضاء، والوجوه النضرة اللامعة، الشبيهة بوجوه مصاصي دماء ستيفاني ماير، والشعور العارم بالراحة الناجم عن ذلك المصباح المشع، تجعل كل من يستيقظ من غيبوبته، يشك بأنه في الجنة.. وهو شعور زائف بالطبع، فنحن مازلنا للأسف على الأرض، وأنت استيقظت لتوك من غيبوبة طويلة.. ولعلمك فأنت أكثر من قضى وقتا في عملية

التطهير، إنك نائم كالموتى منذ شهر كامل.

رمقه (منير) بغير فهم، وهو يضيف لعقله المزيد من الملاحظات، وقد بدأ يتخلل روحه شعور عارم بالراحة، فمد مفتول العضلات يده نحوه، فاستجمع قواه، وناوله يده المرتجفة، فجذبه بقوة ليجلس، وقال بلهجة مشجعة:

-إن لكرة الضوء هذه خصائص عجيبة ومتعددة، فهي تعجل بشفاء الأجسام المصابة، وتعمل على تهيئة المختارين، وتتفاعل مع ظلامهم الداخلي، وهذا ما أخبرني به (الرسول) شخصيا، ومن الواضح أنك أكثرنا شرًا وغيًا.

ظلت نظرات عدم الفهم تكلل وجه (منير) الشاحب، وهو يرمق كرة الضوء العجيبة، التي أحالت الكهف الجبلي الذي وضحت له معالمه الآن إلى نهار، ومدته بتلك الطاقة الإيجابية المنعشة، ثم قال بصوت مضطرب يحمل من الفضول والتساؤلات الكثير:

-لا أفهم حقا ما تقول يا سيدي، ذهني مازال مشوشا، هل يمكن أن تشرح أكثر، لأن عقلي عاجز عن التجاوب معك بالشكل المناسب.

شد مفتول العضلات على يديه وقال في يقين:

-ستفهم كل شيء مع الوقت يا رفيق، أهلا بك في عالم

الأحياء، أنا (وائل)، وهذا الشاحب هو (ياسين)، وتلك النحيلة المتحمسة هي (سعاد)، وهذه الفاتنة هي (ندى)، والتوأمتان الملتصقتان الثرثارتان هما (شيرين)، و(بهية) أو (شيري) و(بيري) كما يناديهم الجميع، بينما تلك الصامتة كتمثال من الرخام الأخرس هي (ريم)، ونحن جميعا، قابلنا (الرسول) في اللحظات الأخيرة من حياتنا، ونجونا بطريقة مجهولة، وعلينا جميعا أن ندفع ثمن نجهله، فاستمتع الآن بوجودك في هذه الجنة الأرضية حتى نعرف ما نحن بصدده، وما يخبئه لنا القدر.

شعر (منير) بأنه تائه جزئيا، ولكنه لم يتوقف لحظة عن التفكير وربط الخيوط ببعضها، فهز رأسه بالموافقة، وقد بدأ عقله يستعيد المزيد من ذكرياته، وصفائه.. وقبل أن يقرر خطوته التالية، اقترب منه (ياسين)، وأمال رأسه نحوه، وهو يحدجه بنظرة مشفقة وقال:

-لابد وأنك عانيت الكثير يا رفيقي، لذلك استغرقت عملية تطهيرك كل هذا الوقت، هلم لتقص علينا حكايتك، وتستعد للقاء (الرسول) في الصباح الباكر، إنه موعد حضوره الإسبوعي و..

وقبل أن يكمل حديثه قاطعه (منير) قائلا:

-فيما بعد يا صديقي، فيما بعد، إنني لا أشعر بأنني في

أحسن حال الآن، برغم الراحة التي تغمر كياني من هذا المصباح العجيب، كما أنني جائع، ولا أستطيع التفكير وأنا جائع.

كتمت (شيري) و(بيري) ضحكاتهما بصعوبة، وهما تتطلعان نحو (سعاد)، بنظرة من نوع (ألم نخبرك عن هذا الشره) فضمت (سعاد) شفتيها في ضيق، وأشاحت بيدها، وهي تمنحهما نظرة سريعة بمعنى (كُفَا عن السخافة) وهي تستعيد حوارهما السابق عن بدانة (منير)، في حين قال (ياسين) بطريقته التطوعية التي يحرص على أدائها طوال الوقت:

-بالتأكيد أنت جائع.. بل تتضور جوعا، فقد قضيت شهرا كاملا بلا طعام.. لابد وأن كل خلية في جسدك تكاد تلتهم شقيقتها.

هز (منير) رأسه نافيا تفسير (ياسين)، وقال بهدوء:

-لا أعتقد أن جوعي يفوق المعتاد، ولكني جائع لأقصى حد، فهل تكرمتم بإطعامي، وبعدها سأقص عليكم كل شيء.

عاد (ياسين) ليقول بجدية:

-لو لم تكن ترغب في قص قصتك علينا، فلا أحد سيجبرك على فعلها، نحن سنحترم رغبتك على أي حال.

رد (منير) بسرعة:

-أنا من أرغب في قص قصتي عليكم، فأنا أرغب في بعض المشاركة، بعد السجن الانفرادي الذي كنت أكلم نفسي فيه.

شهقت (ريم)، وهي تنظر نحو (منير) في رعب، وخرجت من بين شفتيها جملة يتيمة عبرت عن مخاوفها وهي تقول في توتر:

-هل كنت سجين؟.

ظهرت الحيرة على وجه (منير)، ثم أجاب قائلا:

-هو سجن، ولكن ليس ما تقصدينه، ولكنه أشد قسوة وبشاعة.

أنهى عبارته ثم قال في توسل:

-سأخبركم قصتي كاملة بعد أن أتناول بعض الطعام.. أقصد الكثير منه لو كان لديكم بالفعل.

رمقته (ريم) بشفقة ثم قالت بصوت ذي نبرة منخفضة:

-لا شيء متوفر في هذا الكهف المريب أكثر من الأسرة الوثيرة، والطعام والشراب.. استرح حتى نحضر لك بعضه، إن (الرسول) يعاملنا كحيواناته الأليفة، وأخشى أنه يطعمنا

تهيئة للذبح .

قرعت عبارتها شيئًا ما في أعماق (منير)، ولكنه نحاه جانبا مؤقتا، برغم أن سخريتها أشعلت بعض المخاوف في روحه، وجعلت قشعريرة باردة تسري في عموده الفقري، فعدل من وضع جلسته شاعرا بدوار خفيف، وأنزل قدميه عن الفراش لتلمسا الأرض الحجرية الباردة، ثم تابع انصرافهم العشوائي من حوله، فأستطاع من هذه الزاوية أن يراهم بشكل أفضل، وإن بقى (ياسين) بجواره.

وعندما وقع بصره على (شيري) و(بيري)، ورأسيهما اللتين تتوسدان كتفا واحدا، أخذ يتأملهما لبرهة من الخلف، والعديد من الأفكار المتضاربة تدور في رأسه، ثم قال بصوت غير مسموع:

-سبحان الله، له في ذلك حكم.

ثم وجه حديثه ل(ياسين) وسأله:

-ما قصة هذا الكهف العجيب، وأين نحن الآن؟.

تأمله (ياسين) لبرهة من الزمن، وكأنه يزن في عقله ما سيخبره به ثم قال في تردد، وقد ظهرت على وجهه بعض الحيرة:

-الحقيقة أن معلوماتنا عن هذا الكهف محدودة للغاية، وكل ما توصلنا إليه من (الرسول)، أننا في منطقة مقفرة من جبال حضر موت باليمن، وأننا بالقرب من الحدود العمانية، والكهف مجرد مرحلة لإعدادنا للقادم، الذي نجهله بالطبع.. وتلك الكرة التي تمنحا الضياء والدفء والحيوية من مقتنيات (الرسول) السحرية التي أظهرها كعادته من العدم، وتشع دون انقطاع منذ أمرها بذلك، وهي ما تجعلنا نتحمل هذا المكان النائي الخالي من كل مظاهر المدنية والحضارة.

زم (منير) شفتيه، وعاد يسأله باهتمام:

-وماذا نفعل هنا؟.

هز (ياسين) كتفيه بطريقة تنم عن جهله التام، وقال في حيرة:

-لا أعرف تحديدًا، نحن ننفذ فقط أوامر (الرسول).. فمنذ قدومنا هنا، ونحن لا نفعل أي شيء سوى النوم، والتهام الطعام، والبعض يمارس الرياضة، ثم الجلوس للثرثرة حتى موعد حضور (الرسول) الأسبوعي، الذي يقتصر كل نشاط له فيه، على تفحصنا باهتمام كأنما يتفحص قطيع من الخراف، ثم يجيب على بعض تساؤلاتنا، ويخبرنا في خشوع عجيب بأن الموعد يقترب.

ثم يصاب بعدها بحالة عجيبة من الشرود، ما إن تنتهي حتى ينصرف، ولا نفهم سبب هذه الحالة العجيبة التي تعتريه، والتي فسرها البعض بأنها نوع من الرياضات الذهنية كاليوجا.

وعلى فترات متباعدة يظهر شخص جديد في الكهف، كنت أنا الثاني بعد (ريم)، وقبل (شيري) و(بيري)، والوحيدة التي لديها نظرية عن سبب وجودنا هنا هي (ندى)، ونظريتها تعتمد على وجودنا في هذا الموقع بالذات، وهي نظرية عجيبة جدًا.

وعلى الفور قال (منير):

-وما هي هذه النظرية؟.

هز (ياسين) كتفيه في تردد ثم قال:

-إنها تتحدث عن بئر قريبة من هذا المكان، تدعى بئر برهوت، فهل سمعت عنه من قبل؟.

قلب (منير) شفتيه، وهز رأسه بالنفي، فأضاف ياسين:

-إنها بئر سيئة السمعة يقال إنها المثوى الأخير لأرواح الشياطين والخاطئين من البشر، وأنه حتى الآن لم يستطع أحد استكشافها برغم المحاولات العديدة التي تمت عبر

السنوات، وأن هناك شائعة عن أن عُمار المكان يمنعون أي شخص من الوصول لقاعه أو معرفة ما يدور في أعماقه..

وحكت (ندى) عن أنه تم ربط أحد موظفي عمال شركة تدعى (خط الصحراء) بحبل من أجل أن ينزل إلى قاع البئر ومعه كاميرا فيديو لتصوير عملية النزول، واستكشاف ما بأعماقه المجهولة، وعندما وصل العامل إلى مئة متر بأعماق البئر، طلب أن يتم رفعه بسرعة وعندما سئل بعد رفعه عن سبب صراخه قال: رأيت حلقة البئر وكأنها ستُغلق عليّ.

وعندما أعادوا تفريغ ما التقطته الكاميرا، أصابتهم الصدمة والحيرة، فكل ما التقطته الكاميرا كان عبارة عن ظلام دامس مجرد، رغم أن الشمس كانت عمودية على البئر، وتنيره بشدة.

وابتلع ريقه، ثم أضاف:

-كما أخبرتنا (ندى) أنها شاهدت على اليوتيوب محاولة من أحد الباحثين الذين حاولوا تصوير أعماق البئر الملعونة بطائرة مسيرة، هو وفريق عمله فأصيبت الطائرة بعطل فني ولم يستطيعوا إصلاحه، ناهيك عن الأصوات المخيفة التي سمعوها عند اقترابهم من حافة البئر شديدة الاتساع التي يتعدى قطرها الثلاثين مترًا تقريبا، ولم يستطيعوا الوصول لعمقه الذي يبلغ حسب الشائعات مئتين وخمسين مترا.

وهنا قاطعه (منير) قائلا:

-قصة مثيرة بالفعل، ولكن ما علاقتها بنا، وما هي نظرية (ناهد) عنها.

ابتسم (ياسين) ثم أجاب:

-صاحبة النظرية تدعى (ندى) وهي تلك الفاتنة التي غادرتنا منذ قليل، ونظريتها تتلخص في أن موقع الكهف القريب، يوحي لها بأنه سيتم استغلالنا بشكل ما من أجل النزول إلى أعماق هذا البئر الملعونة التي يشاع بأن من حفرها هم الجن واستوطنوا فيها، وما يؤكد هذه الشائعة أن معنى برهوت حسب اللغة الحميرية هو أرض الجن.

هرش (منير) في رأسه وقال بغير اقتناع:

-هي نظرية على كل حال، وتناسب تلك الأجواء المحيطة بنا، ولكنها تفتقر لأهم جزء في كل مؤامرة.

سأله (ياسين) بسرعة:

-وما هو هذا الجزء الناقص؟.

أجاب (منير) ببطء:

-الدافع.. ما هو الدافع للزج بنا بقلب بئر قديمة، ولو كان

يسكنها الجن أنفسهم.

رد (ياسين) على الفور:

-ربما يرغب الرسول في إخراج تلك الكنوز الهائلة التي تخص أحد ملوك الدولة الحميرية، والتي بسببها جعل الجن يحفرون له البئر.

أشاح (منير) بيده وهو يقول في امتعاض:

-هُراء.. كل ما تخبرني به هُراء.. فهل يعجز (الرسول) الذي أوقف الزمن، وهزم الموت، وأحضرنا جميعا إلى هنا قاطعا نصف العالم، دون أن يبذل أي جهد يذكر، في استخراج كنز قديم.. ثم ما حاجة من هم مثله للأموال والكنوز.

هز (ياسين) كتفه مبتسما وقال:

-لذلك قلت لك إنها مجرد نظرية.

وبرغم استنكار (منير) لما سمع، دارت في ذهنه أفكار عديدة، وراح يحاول الربط بينها، وهو يضيف كل معلومة سمعها من (ياسين)، إلى ما استطاع تجميعه من ملاحظات من لحظة استيقاظه حتى الآن، وظهر التردد على وجهه، وهو يسأله في حذر بعد أن قفزت نظرية جديدة إلى رأسه:

-هل تعتقد أن هذا الساحر المخيف يعدنا للذبح كما قالت

(ريم)؟.

ابتسم (ياسين) في مرح، وقال بلهجة حيادية:

-كل شيء وارد يا صديقي، كل شيء وارد، ولن يأتي شيء أصعب مما واجهناه في حياتنا، حتى اختار كل منا الموت طواعية.

لم يرح (منير) كلام (ياسين)، فاعتدل في جلسته وسأله في حذر أكبر:

-وهل حصلتم على أي معلومات حول (الرسول) نفسه، من هو ومن أين أتى، وكيف يمتلك كل هذه العلوم والقدرات الخارقة؟.

وللمرة الثانية يهز (ياسين) كتفيه بطريقة أحبطت (منير) وهو يقول:

-لا أحد يعرف أي شيء عن هذا العجوز المخيف، كل ما استطعنا استنتاجه، أن لديه معرفة هائلة بالعلوم الغامضة التي انقرضت منذ زمن بعيد، كما أن لديه القدرة على استخدام السحر الأسود، وأنه لم ينقذنا لوجه الله، وأن لديه هدف لا نعرفه، ومن أجل هذا جعلنا جميعا نوقع على ذلك العقد الغامض بالدماء، الذي ربما بمقتضاه، بعنا أروحنا للشيطان كما يحدث في الروايات، وهو يحرص دائما على

فصلنا عن العالم الخارجي.

ظهرت الدهشة على وجه (منير)، وهو يسأل (ياسين) في ذهول:

-هل وقعتم أيضا على ذلك العقد المشؤوم؟.

هز (ياسين) كتفيه، وقال بتلقائية:

-جميعنا وقعنا على هذا العقد الدنس المكون من نسخة واحدة، والذي لم يُتح لأي منا قراءته، وهذا هو أكبر دليل على ممارسته السحر الأسود، لأنه الوحيد الذي تحتاج عقوده للتوقيع بالدم، لأن الشيطان بنفسه يكون حاضرا مثل هذه الاتفاقات الملعونة، وجميعنا تم انقاذنا قبيل لحظات من موتنا.. إن نهايات قصصنا جميعا متشابهة، وما يليها في علم الغيب.

قطع حديثهما ظهور (سعاد) بصحبة (ريم) وهما تحملان سلتين مليئتين بالأطعمة المختلفة والخبز الطازج، قامتا برصها على صخرة مربعة كبيرة الحجم تتوسط المكان يستخدمونها كمنضدة، وتتراص حولها صخور أصغر بديلا عن المقاعد المعتادة، وعلى وجه (سعاد) ارتسمت ابتسامة واسعة، لم ينتبه لها (منير) ورائحة الخبز الشهية تسكره، وتثير لعابه دون توقف، مما جعل عينيه تلمعان، فأطلقت

(سعاد) ضحكة عابثة أثارت ضيق (ياسين) وهي تقول بمرحها المعتاد:

-رائحة الخبز هنا لا تقاوم.

لمعت عينا (منير) أكثر، وهو يتطلع إلى الخبز بلهفة ثم قال في شبق:

-هل يصنع الخبز هنا طازجا عند الطلب؟.

ردت (ريم) باقتضاب:

-هو فقط يظهر هنا، ربما يحضره الجن من البئر القريبة الملعونة، أو أننا نتوهم كل هذا.

رمقها (منير) في اهتمام، كأنما يحاول أن يستشف ما وراء ملامحها فقالت (سعاد) ضاحكة:

-(ريم) كتلة من الطاقة السلبية المتحركة، لا تشغل بالك بأفكارها السوداوية، جميعنا تحررنا من أسوأ ما في شخصياتنا في عملية التطهير، وهي ازدادت قتامة، ولكنها صادقة على كل حال، هناك كوة في أحد زوايا الكهف نطلب منها الطعام، فيُجهز في الحال.

رمق (منير) (ريم) بنظرة مطولة جعلها تشيح ببصرها عنه في خجل، وهو يفكر: إن وجهها بالفعل أقل بياضا وإشعاعا

من كل من حولها، وكأنما لم تكتمل عملية تطهيرها المزعومة أو فشلت، ولكنه في أعماقه كان يدرك أن حديثها منطقيٌ جدًا، وأنها لا تبالغ.

هب النسيم في هذه اللحظة، فاستعر جوعه بشكل مباغت، وكأن هناك قوة خفية في الكهف ترفض ما في عقله من أفكار، فنفض كل أفكاره مقدما، وانقض على أحد أرغفة الخبز الساخنة، وأخذ يقضم منها في نهم، وهو ينتزع قطعة لحم من أحد الأطباق، ليقول بفم ممتلئ بالطعام:

-ليكن الشيطان نفسه من يصنع الطعام، لن تضعُف شهيتي بسبب حديث (ريم) أو كآبتها، إنني جائع بشكل لا يمكن تخيُله .

وعلى إثر عبارته، أشاحت (ريم) بوجهها في ضيق، في حين قالت (سعاد) بتلقائيتها المعهودة:

-اسمح لي أن أشاركك الطعام، فأنا لم أتناول إفطاري بعد، ليكون بيننا عيش وملح.

هز رأسه لها موافقا، وهو يواصل في نهم زج اللقمة خلف اللقمة في فمه الممتلئ، وهو عاجز عن استيعاب روعة هذا الطعام، بينما كانت (سعاد) تأكل ببطء، وهي تتفحص (منير) باهتمام.. إنها تشعر بشيء مختلف فيه عن باقي رفاقها، برغم

هيئته غير المشجعة.

لم يأبه (منير) بنظراتها الفجة، ولا شرودها الواضح، ولا بالضيق الذي ظهر مجددا على وجه (ياسين)، وغرق في ملكوت اللذة، فالطعام لم يكن شهيا ولذيذا فقط، بل ساحرا، مخدرا، ويمنحه نشوة لا تقاوم، جعلته يقول بصوت مشوه من بقايا الطعام المتكدسة في فمه:

-لقد جربت العديد من أصناف المخدرات في مناسبات مختلفة، ولكن هذا الطعام يفوقها قوة، أنا أشعر بلذة حسية لا توصف، لدرجة أنني راغب في احتضان الطعام وتقبيله لا أكله.

شهقت (ريم) في دهشة، وقالت في جزع:

-لا يبدو من مظهرك الأبوي هذا، كل ما تدعيه عن نفسك يا سيدي، إنك تشبه مدرس الرسم في مدرستي، أو رب أسرة من ذلك النوع الذي يعود في نهاية اليوم حاملا صحيفة وبطيخة شهية، ولكن سجن ومخدرات ومثل هذه الأشياء، ربما لو قالها (وائل) لصدقته.

وهنا هتفت (سعاد) في مرح:

-الله أكبر، لقد جعلت الحجر ينطق يا رفيق.

تجاهلها (منير)، وهو يوجه حديثه لـ (ريم) التي تحررت من صمتها مع صدمتها من حديثه، متجاهلا أيضا نظرات (ياسين) الغير مريحة قائلا:

-ما تجبرنا عليه الحياة شيء أكبر كثيرا من هيئتنا ورغباتنا يا أنسة (ريم)، لقد عشت في جحيم من الفقر والعوز والحاجة لسنوات طويلة، وبعدها عرفت الطريق الصحيح..

والحقيقة أن الخطوة الأولي لم تكن عن اجتهاد صادق مني، بل جاءت مصادفة، وبرغم كونها مصادفة إلا أنها نقلتني نقلة عظيمة في حياتي، وجعلتني ما أنا عليه الآن، وربما هي ما أوصلتني لهذا المكان.

أنصتت (ريم) بذهول لحديثه، ثم هتفت في يأس:

-لا تفخر بكونك في هذا المكان، فوجودك هنا يعني أنك شخص سيء ككل من قابلتهم هنا، لا أمل في أي شخص يأتي إلى هذا المكان.

ثم صمتت قليلا، ورددت بصوتها المنخفض:

-ولكن لا يظهر من هيئتك.

حدق (منير) في وجهها للحظات، ثم التهم صدر دجاجة كبير، أتبعه بزجاجة مياه معدنية صغيرة، أفرغها في جوفه

دفعة واحدة، وقال بهدوء:

-لا توجد مواصفات معينة للأشرار غير أفعالهم يا آنسة، ففي الحياة تجدي الأب المهذب شديد التدين الذي يغتصب بناته بالتناوب كل ليلة، والأم التي تقتل أطفالها نكاية في زوجها أو من أجل عشيقها، والأبن الذي يحرق أمه لمجرد أنها طلبت منه بعض الأموال لتسد رمقها، وهناك من يغشون ويخدعون أقرب الناس إلهم، ومن يطففون في الميزان، ومن يبيعون الأطعمة الفاسدة والمسرطنة، ومن يشعلون الحروب، ومن يعيشون على الهامش هربا من أن يتورطوا في التغيير الحتمي لمسار الأمور، كلنا أشرار بدرجات متفاوتة، ولكن البعض كان غبيا كي لا يستفيد من شره، والبعض فهم الحكمة، ونجح مثلي.

رمقته (ريم) بازدراء بينما ظهر على وجه (سعاد) الامتعاض وهي تقول:

-أعتقد أنك كنت تحتاج لفترة تطهير أطول يا هذا، إن قلبك مازال مفعما بالشر والسواد.

قهقه وهو يعب من علبة عصير بحجم لترين عبا، حتى كاد يشرق فتوقف عن الشرب، وقال:

-رؤيتك فقط هي القاصرة يا سيدتي، أنت تفكرين بعقلك

وتحيدين مشاعرك، لذلك لا يمكن العبث بك، أو السيطرة عليك ببساطة، فأنت من ذلك النوع الذي يتميع مع المواقف، فلو كنتِ مع الملائكة لأصبحت طاووسهم، ولو كنت مع الشياطين لصرتي ملكتهم، إنك متلونة كالحرباء، لذلك تظهرين مرحة، ومبتهجة، في حين أن شخصيتك الأصلية مليئة بالسواد و..

وهنا قاطعه صوت (ياسين) قائلا:

-كفى أيها البدين، لا يحق لك أن تحدثها بمثل هذه الطريقة العنيفة، جميعنا مررنا بتلك التجارب المقيتة التي أوصلتنا إلى هنا، لا تحاول أن تمارس دور الطبيب النفسي علينا، وتحاول فرض سيطرتك على الضعفاء، فأنا أعرف نوعيتك جيدًا.

ابتسم (منير) بخبث وقال بصوت عابث:

-يا للمفارقة الساخرة أنا اسمي (منير صالح)، وأنا بالفعل طبيب نفسي محترف، ولم أمارس سيطرتي على أحد، بل وظفت جزء من علمي وخبراتي لسبر أغواكم ولكشف العوار في شخصياتكم، إنني الآن أرى الموقف بوضوح، ودون غشاوة على عيني.. لقد انتشلنا ذلك الساحر الخبيث من قبضة الموت، وبسحره صنع لنا جنة زائفة، واستطاع خلال الفترة السابقة أن يروض معظم العقول هنا، ويقنعكم أنكم

أصبحتم أفضل وأطهر، لدرجة أنكم تجلسون كالحيوانات الأليفة في استسلام، تُعلفون وتنتظرون لحظة الذبح.

قالها ثم صمت ليبتلع ريقه، وأضاف:

-لقد عالجت حالات نفسية مروعة، وخضت تجارب عقلية أشد قسوة، والتجربة الوحيدة التي لم أتحملها هي الموت، ولذلك وقعت العقد، لكني لن أبيع عقلي أو روحي لأحد.

رمقته (ريم) بسخرية، وقالت بصوتها الكئيب المحايد:

-الكل بطل حتى يخوض معركته الخاصة ويُهزم فيها، هلم قص علينا قصتك فقد أخرجتني من عزلتي، وكآبتي، وأثرت فضولي.

ابتسم (منير) في سخرية، وقال في جشع:

-فور أن أنتهي من طعامي.

وعاد ليلتهم الطعام في نهم، بينما لم تستطع (سعاد) تناول أي قضمه إضافية، وأخذت ترمقه بنظرة كارهة.

جامع الفراشات

فور أن انتهى (منير) من طعامه، حتى بدأ حكايته بطريقة قاسية للغاية، وبشكل لم يتوقعه أحد عندما قال ببرود:

-أخر شيء تراه في عيني الضحية قبل موتها مباشرة، هو الفهم الواضح لسبب موتها، بينما كانت فراشتي الرقيقة (ماريا) تموت بين يدي، وأنا أضغط على عنقها بقوة تكاد تهشمها، منفذا جريمتي المباشرة الأولى التي لم استخدم فيها أساليبي النفسية الملتوية، شاعرا بقوة عاصفة تسري في عروقي، وهي تنظر نحوي بغير فهم، وهذا قتلني أكثر منها، فهي كانت عشيقتي المفضلة، و..

وهنا لم تستطع (ريم) تحمل كل هذا الهول الذي تسمعه، وقاطعته صارخة وهي ترمقه في غضب وامتعاض:

-أي شيطان لعين أنت يا هذا، سجن، ومخدرات، وعشيقات، وقتل، إنك في مكانك الصحيح بالفعل، اللعنة عليك، ليتني لم أقابلك يوما، أو أرى سحنتك القبيحة هذه.

أنهت (ريم) عبارتها الغاضبة، ثم انهمكت في بكاء مرير، فشملها (منير) بنظرة فاحصة، ثم ثبت بصره على وجهها، وقال بصوت عميق مستفز:

-المكتئبة الأبدية، مخزن الأسرار والشرور الصامت، أنا

على يقين تام بأننا لو اطلعنا على محتوى أسرارك، لوجدناكِ شيطانة زنيمة، تختبئ خلف صمتها كي لا يهتك سترها، وتنكشف حقيقتها المظلمة.

وهنا ارتعد جسد (ريم) في قوة، وانهمرت الدموع من عينها كالسيل، وذكرى شديدة البشاعة تقتحم عقلها اقتحاما..

ذكرى أحيتها كلمات (منير) القاسية، وحاولت هي نسيانها دون جدوى، وتنغص عليها حياتها، وتزيد من كآبتها ووحدتها وخوفها..

ذكرى كانت ترى فيها نفسها، ويداها مخضبتان بالدماء، وأمامها جثث مشوهة بشكل وحشي، لثلاثة من الصبية، الذين تم شق رؤوسهم بوسيلة جراحية، وانتزاع جزء منها، وتشير كل القرائن، إلى أنه تم معاملتهم معاملة قاسية، وشق رؤوسهم وهم أحياء، وكانت هي تصرخ في برود وقسوة:

-أحضروا الصبيان الآخران.

عصفت بها الذكرى، فأخذت تزوم في ألم، وتهذي بكلام غير مفهوم، لم يفهم منه إلا قولها:

-لا أستطيع أن أخبركم بما فعلت.. لا أستطيع.. لا أستطيع.

كانت على وشك الانهيار فضمتها (سعاد) لصدرها، وأخذت

تُربت على ظهرها، في حين قبض (وائل) على معصم (منير) في عصبية، ليمنعه من التهام المزيد من الطعام، وقال بغضب وصرامة:

-كف عن العبث مع النساء أيها البدين، إن كنت ستقص علينا قصتك البغيضة، فلتقصها باحترام، أو سيطالك مني كل أذى، لولا حالة الفراغ التي نحياها في هذا المكان، لما منحك أحدنا أي اهتمام.

حاول (منير) سحب يده من قبضة (وائل)، ولكنه عجز عن ذلك، فقال وهو مستمر في المحاولة:

-أنا لا أعبث مع أحد أيها الغرير، أنا فقط أحاول توعيتكم، وإفاقتكم من غفلتكم بأسلوب الصدمة السريعة، فجميعكم مغيبون، وأنا لا أؤمن أن ذلك العجوز الخبيث يحمل لأحدنا أي خير، لأننا لا نستحقه بالفعل.

وهنا زاد (وائل) من ضغط أصابعه على معصمه ليؤلمه أكثر، وهو يقول مؤكدا على تحذيره الصارم:

-جميعنا نعرف أنه لا يوجد ملائكة في هذا الكهف أيها العبقري، وكل منا يواجه مخاوفه بطريقته الخاصة.. فمهما كان ما تفعله بحسن ظن، افعله بتهذيب واحترام، ولا تمارس علينا ألاعيبك النفسية هذه، إننا في مركب واحد، وكي لا

يغرق علينا أن نتكاتف جميعا.

جذب (منير) يده من بين أصابع (وائل)، فتركها (وائل) ببطء، وهو يحدجه بنظرة متوعدة، فقال (منير) في لا مبالاة:

-أنا لم أقصد أن أثير أي مشكلات أيها الفتى المغرور، ولكني لم أعتد الانبهار بما أجهل، لنتجاوز الموقف ولأخبركم قصتي دون أن يقاطعني أحدكم، مهما كانت عنيفة أو مقززة، فربما نجد من خلالها ثغرة نفهم بها حقيقة الوضع الشائك الذي نحن فيه، وثمانية عقول أفضل من عقل واحد، لو كان للتوأم العجيب هذا عقلان.

همهموا جميعا في استنكار، في حين رمقته كل من (شيري) و(بيري) بنظرة ساخطة متزامنة، فالتقط ثمرة تفاح، وقضم منها قضمه كبيرة، مضغها بسرعة، ثم سحب نفسا عميقا وقال:

-سأعود الآن للبداية الحقيقية لقصتي، وسأبتعد عن البدايات الصادمة كي لا أجرح مشاعركم المرهفة، وأقص عليكم القصة كاملة، لعلكم تمنحونني الاحترام المناسب.

دوت همهمات متذمرة من طريقة حديثه المستفزة، ومطلبه الغريب، فتجاهلها وهو يكمل حديثه قائلا:

-لقد بدأ الأمر بمصادفة شديدة الغرابة، لا أعتقد أنها من الممكن أن تتكرر في العمر مرتين، وتلك المصادفة هي التي غيرت مجرى حياتي وتفكيري إلى الأبد.. فقبلها كنت مجرد طبيب نفسي ميسور الحال، أكافح من أجل أقساط السيارة والعيادة التي نقلتها حديثا إلى منطقة أرقى، ودفعت ثمن التفاوت الطبقي بكل ما لدي من رصيد في البنك، وتركت ظهري مكشوفا أمام ريح الظروف.

وكانت أيامي تمضي برتابة ما بين كفاح ومعاناة، ومعاناة وكفاح، في محاولات مستميتة مني لأرتفع طبقة خلف طبقة في السلم الاجتماعي والعلمي والوظيفي، كي أنجو من فخ الفقر الذي ألقاني فيه أبي بعد أن أضاع كل ما نملك على الميسر، وبعد أن هرب بالموت من مسؤوليته وديونه، وترك لي عبء أمي وأشقائي وشقيقاتي الخمسة، ولكني نجحت وصمدت وأصبحت طبيبا وصنعت شهرة معقولة في مجالي، وسددت كامل ديوننا، وزوجت شقيقاتي.

حياة مرهقة وبطيئة ومملة ومعتادة، وإن كنت أحمل لها كل الفخر، وربما لو استمرت حياتي على هذا المنوال الرتيب من تراكم النجاحات الصغيرة، لكان لدي أسرة وحياة كاملة، وشخص رقيق أعود إليه كل مساء لأغسل مساوئي بين ذراعيه.

ولكن لا تأتي الرياح أبدًا بما تشتهي السفن، فبعد أن تعرفت على (نجوان)، وهي طبيبة أسنان خلوقة، وجميلة، ترى في عينيها نظرة الدفء والونس، بدأت أفكر في تكوين أسرة..

و(نجوان) امرأة تَسُر النظر عند رؤيتها كل صباح، بل في كل وقت لو أردت الدقة، وفيها كل مميزات الزوجة الصالحة، لا أعتقد أن هناك من يناسبني مثلها على وجه البسيطة..

كانت مصادفة عظيمة أن تكون عزباء، وبهذا القدر من الرقة والجمال، والنجاح في عملها، ولا تنفر مني..

تبادلنا نظرات الاعجاب، ثم الحديث الخاطف، ثم تعددت اللقاءات خارج مكان العمل..

وللحق كانت أسعد وأفضل أيام حياتي..

كنت أعمل حينها في إحدى المستشفيات الاستثمارية الضخمة التي يتمنى العديد من الأطباء مجرد اقتران اسمهم باسمها، وكانت الأمور كلها تسير على ما يرام، وتعمقت معرفتي ببعض العاملين هناك، وأهمها معرفتي بعمي (خليل البدري) المحاسب الصعيدي الخلوق، والذي كان يشاركني في التدخين في فترات استراحته التي تتوافق مع فترة استراحتي، برغم كونه مريض بالقلب.

ودائما ما كان يحمل لي الراتب معه، فلا أقف في طابور أو

يقف على توقيعي الذي كان يقلده في مهارة.

في أيام صرف الرواتب كان يخطف من الزمن دقيقتين يدخن معي سيجارة ثم يعود مسرعا لمكتبه، وهو يردد نفس العبارة:

-لابد من أن أُسرع في إعداد الرواتب، فالله أعلم بظروف الناس.

طقوس لا تتغير عبر السنوات، فيذهب في الصباح الباكر إلى البنك ليتسلم الرواتب، ثم يعود بها إلى مكتبه في المستشفى، ويقطع الوقت في تنظيمها، ثم وضعها في مظاريف بيضاء يكتب على كل واحد منها اسم موظف أو طبيب ما، بخطه المنمق المزخرف، وفي وقت الاستراحة يحضر مسرعا للتدخين وينصرف مسرعا مرددا عبارته الخالدة.

في ذلك اليوم البعيد وعلى عكس المعتاد، افتقدت حضوره إلى غرفة التدخين، فانتظرته قليلا، ثم بدأت أدخن وحدي، فالتدخين حاجة وقتية ملحة، ويمكن انجازها دون صحبة.

وعندما انتهيت من تدخين سيجارتي الثانية، لم يكن قد ظهر عم خليل بعد، وكانت هذه سابقة من نوعها، فهو من النوع المرتب المنظم، وحتى سجائره يدخنها في أوقات

محددة لا يخلفها، كما كان يفعل الكاتب العظيم نجيب محفوظ، الذي لا أمل قراءة أعماله، فقررت أن أتقصى عن الأمر وأتفقده في غرفة مكتبه.

وهناك كانت تنتظرني مفاجأة مقيتة، فقد عثرت عليه في مكتبه ساقطا على وجهه، فاقدا للحياة، وأمامه تلك الحقيبة الجلدية العتيقة التي تحتوي على مبلغ كبير من المال من عملات مختلفة القيمة!

فقد كان حريصا على إحضار (الفكة) معه من أجل عدم إزعاج نفسه أو الموظفين والأطباء بالبحث عنها، كما أنه لم يكن يقبل مليما لا يستحقه، على عكس بعض الموظفين في مثل موقعه الوظيفي.

يقولون إن الأطباء يتعاملون بشكل جيد مع الغرباء أكثر منهم مع المقربين، لذلك لم يكن رد فعلي في التعامل معه سريعا أو كما يتطلبه الموقف، فقد وقفت أمام جثته حائرا لبعض الوقت، لا فكرة لدي عما أفعل، وكل فكري منصب على أن هذا بدأ يحدث للمقربين، لذا فالموت قريب جدًا مني أنا شخصيًا.

وعندما أفقت من هول الصدمة، وتجاوزت ذهولي، فحصته أكثر من مرة، وبتوتر لا مثيل له.

كانت جثته باردة، ولا أثر لنبض أو دقات قلب، أو مؤشرات تنفس.

لقد لفظ هذا المسكين أنفاسه الأخيرة وحيدا منذ عدة ساعات، ودون أن يستطيع طلب النجدة، أو أن يحصل عليها في مثل هذا المستشفى الاستثماري الضخم.. وهي مفارقة شديدة السوداوية.

لقد مات!

صحيح أنه كان مريضا بالقلب، لكنه كان يبدو أصح مني وأكثر قوة..

طعم كلمة (كان) في فمي مُر كالحنظل.

كيف لا يغدر الموت إلا بالطيبين، وماذا سيفعل أطفاله من بعده؟!

وكان هذا مختصر أفكاري عندما وقع بصري للمرة الثانية، على حقيبة الأموال المفتوحة أمامي على مصراعيها..

وكمن لم يرى نقودًا في حياته رحت ألتهمها ببصري التهامًا، وبدأ جشع غامض يغزو روحي..

لقد فشلت في اختبار المبادئ بمجرد أن خضت غماره..

وأخذت أحدث نفسي كالمجنون: إنها صدفة قلما تتكرر،

وربما هي مكافأة من القدر على كل ما تحملته من معاناة وتعب طوال عمري.

لم أكن بحاجة إلى مبررات، ولكن بعضها لن يضر، فمن أعماقي قد عزمت على الأمر، وشعرت بقوة خفية تعينني عليه.

لذلك وبرغم ما أكنه لعمي (خليل) من ود ومشاعر، إلا أن المبالغ الكبيرة المتراصة أمامي استحوذت على كامل تفكيري، فحدقت بدون مشاعر في وجهه الذي حوله الموت لدمية باردة، ثم إلى رزم النقود المتراصة أمامي، وبعدها فحصت الممر الخالي الذي يقود إلى غرفته، وبرزت في رأسي الفكرة الشيطانية الطازجة..

وبسرعة تليق بلص محترف، وتسبق أي شعور داخلي بالذنب، أغلقت باب غرفته بالمفتاح من الداخل، وجلست أمام كومة النقود التي لم أحلم بامتلاكها يوما، وأنا أحاول أن أضمها بعيني، بعد أن ارتعشت أصابعي فور ملامستها.

إنها لن تقل عن مليون جنيه!!

ووقتها كان هذا المبلغ الذي يعد عاديًا بمقاييس هذه الأيام ثروة هائلة..

ثروة قادرة على تحقيق كل أحلامي ويفيض..

وتبدلت أفكاري تمامًا، وكأنما لا توجد جثة أعز أصدقائي بجواري، وأصبحت كل مشكلتي في حمل المال، والخروج به من المستشفى دون أن أثير الريبة، أو يراني أو يشك فيّ أحدا!

ولذلك رحت أتفحص كل شبر في الغرفة من حولي، وأنا أسترجع مخطط ممرات المستشفى في رأسي، ثم نهضت بكل حماس، وتناولت كيس قمامة أسود كبير، ووضعته بداخل كيس أخر لدعمه فهذه الأكياس تتمزق بسهولة، ووضعت فيه النقود حتى أخر قرش..

وكدت أفقد الوعي من الفرح، فالمبلغ تجاوز كل توقعاتي، مع إحصائي السريع له، وتجاوز المليون ونصف بعدة ألاف من الجنيهات.

وبدون إصدار أي ضجيج دعمت الكيس البلاستيكي باستخدام شريط لاصق شفاف كان على مكتب عم خليل حتى تأكدت من متانته، وتوجهت به صوب النافذة المطلة على حديقة المستشفى الخلفية، ومسحت الحديقة ببصري، وكانت لحسن حظي خالية.

وبخبرتي انتقيت نقطة عمياء تحتوي على أريكة وخلفها بعض الشجيرات الكثيفة، وصوبت جيدًا رغم ثقل اللفافة،

وألقيتها بكل قوتي صوب النقطة التي حددتها في خيالي..

طاق.. دوم.

صوت الاصطدام المكتوم.. ثم هدوء تام..

لقد نجح أهم جزء في خطة السرقة..

وإنه لتبدل مخيف في شخصيتي، أن أتحول بهذه البساطة من طبيب نفسي مرموق إلى لص زنيم..

لقد جرت خلال الدقائق القليلة الماضية تحت الجسور مياه قذرة كثيرة..

وبعدها أغلقت الحقيبة الكبيرة التي كانت تحتوي على الأموال، وصارت فارغة كروحي، ووضعتها بجوار المكتب في مكانها المعتاد الذي داوم على وضعها فيه عمي (خليل) رحمه الله.. و..

وبصوت مختنق تردد صداه وسط الهدوء الذي ساد الكهف، قاطعته (ريم)، وهي تتأمل وجه في استنكار:

-رحمه الله.. وهل تعرف الله حقا يا هذا؟.

وكعادته منذ خرجت (ريم) عن صمتها، وأصبحت تصليه تقريعا بسياط لسانها، تجاهلها (منير)، وإن ظهر على وجهه ملامح ضيق شديد، وهو يكمل في توتر، وقد ظهر وقع

الذكريات الأليمة على روحه:

-وعلى الفور غادرت الغرفة التي تركتها خلفي مظلمة ومغلقة، بعد أن محوت بصماتي وكل أثر لي بداخلها، وورائي كانت تقبع جثة أقرب الناس لي في هذا المستشفى فاقدة لكل أثر للحياة، تنتظرها فضيحة كبيرة، بعد أن صعدت روح صاحبها لبارئها.

كان قد تبقى على وقت استراحتي ربع ساعة، فهبطت بسرعة إلى الحديقة، وأخفيت الكيس الذي تمزق من بعض جوانبه بين الأشجار بشكل يعجز عن رؤيته أي مخلوق، ثم عدت لغرفتي وباشرت مرضاي، وحرصت أن أحضر بنفسي لحظات ما بعد اكتشاف الجثة، وبكيت عليه بصدق، ولم أتركه لحظة والأطباء يحاولون انعاشه، ثم وهم يعلنون وفاته، ويضعون فوق وجهه الملاءة البيضاء، التي تعلن انتهاء رحلته على هذه الأرض، وأنه لا سبيل للعودة.

الموقف هز أعصابي بالفعل، وكأنني لم أسرقه وألطخ سمعته منذ وقت قصير..

وبعد أن وضعوا جثته في ثلاجة الموتى، وأبلغوا أسرته بالخبر الأسود، تسللت أنا بسيارتي الجديدة، ووضعت بداخلها كيس النقود الثقيل، ونجحت بالخروج بها من المستشفى دون معوقات، ودون أن يشك في إنسان، بل إن

بعضهم قبل مغادرتي قام بمواساتي، وعرض علي طبيب زميل أن يقوم بتوصيلي لمنزلي، ولكني شكرته ورفضت.

وعلمت بعدها أن الدنيا انقلبت في المستشفى الكبير بعد أن صرح أحد السائقين، أنه ذهب بصحبة عمي (خليل) إلى البنك في الصباح، وأنه تسلم أموال رواتب العاملين بالمستشفى، وذهب بها إلى مكتبه.

لن تهمكم تفاصيل التحقيقات، والحديث الذي سرى في أنحاء المستشفى كالنار في الهشيم عن السرقة والاختلاس، وتحقيقات الشرطة الضاغطة، ثم إغلاق القضية بعد اتهام السائق.

كل ما يهمكم فيها أنني فلت من الشكوك والعقاب، وامتلكت مليون ونصف من الجنيهات في هذا التوقيت الفارق في حياتي.

صحيح أنني لوثت شرف وسمعة شخص بريء، وأخرت رواتب جميع العاملين بالمستشفى، بعد أن قمت بجريمتي الكاملة بدم بارد ولكن هذا كله لم يعنيني وأنا سكران بنشوة الحصول على تلك الثروة التي هبطت على رأسي من السماء.. والغريب أني لم أفتقد بعدها وجود عمي (خليل) في غرفة التدخين، ولم يُأنبني ضميري بعدها قط، وشعرت بتلك القوى الخفية تشجعني، وتمحوا من داخلي أي مشاعر

سلبية.. و..

وهنا قاطعته (ندى) التي لم تعد تطق رؤيته، ولا سماع صوته، وقالت بصوت مشمئز كاره:

-كم أنت حقير أيها الوغد.. إنه شخص بريء ولديه زوجة وأطفال، ستعصف بهم رياح الزمن من بعده.

وهذه المرة جز (منير) على أسنانه، وأعطاها ظهره، وكأنه يستهزأ بحديثها وحكمتها المتأخرة، وهو يستطرد قائلا:

-ظلت النقود في حوزتي لعامين كاملين دون أن أتصرف في قرش منها، أنا لست أحمقا كي أبدأ في إنفاق النقود ويظهر عليّ ملامح الثراء السريع غير المبرر فأوقع بنفسي في قبضة العدالة، بل انتظرت حتى ماتت القصة تماما، واندفن كل حديث عنها، ثم بعت عيادتي القديمة، وفتحت عيادة أكبر في مكان أرقى، وأنفقت عليها الكثير، ومن هنا بدأت قصتي الحقيقة.

قالها ثم صمت، ليلتقط أنفاسه، فزمت (ريم) شفتيها امتعاضًا، قبل أن تقول في غل:

-بل بدأت جرائمك في حق مرضاك من النساء، لن يحتاج الأمر لعقل ذكي لنستنبط الأمر بعد افتتاحيتك الحقيرة أيها الوغد.

ابتسم لها ابتسامة صفراء لا معنى لها، وهز رأسه موافقا، وقال في برود:

-بعد أن تمت عملية السرقة الملوثة بنجاح، لم أستطع أن أكمل علاقتي بـ (نجوان)، فكل هذا الطهر لم يعد يناسبني، لقد تشوهت من داخلي، وتغيرت، ولا يمكن لشيطان مثلي أن يقترن بملاك مثلها، خاصة وأن عيادتي مع الدعاية المنظمة التي أنفقت عليها الكثير، باتت لا تخلوا من المرضى، وذاع صيتي في كل مكان بين الطبقات الراقية، وصارت فاتورتي تحتوي أصفارا كثيرة، وأصبحت أشعر بكوني شخص أخر، شخص أقوى وأكثر سيطرة، وربما أعظم إنسان يمكن أن تقابله في حياتك.

وهنا ردت (ندى) في برود:

-بل أحقر مريض نفسي يمكن أن تقابله في حياتك.

أمنت (شيري) و(بيري)، وهزت (سعاد) رأسها موافقة، فقال (وائل) محاولا أن يبدوا ظريفا:

-لقد اجتمعت عليك النساء يا دكتور (منير)، إنك ذاهب في داهية أيها الطبيب النفسي العتيد.

لم يبالِ (منير) بكل هذه المهاترات، وقال بصوت صارم:

-بل الجحيم ما تلا هذا أيها الفتي القوي، وأعتقد أن كل ما حدث لي كان مجرد تمهيد تدريجي لوجودي هنا في هذا المكان المشؤوم، فشخصيتي السابقة لم يكن لها أن تتحول مثل هذا التحول المظلم السريع، وتتخلى عن طريق كفاحها ونجاحها بعد أن اقتربت للغاية من تحقيق الأمان المادي، ولكن دائما كانت هناك قوة خفيه تدفعني للخطوة التالية دفعا، وهذا يدفعني للقول، بأننا لم نختر طريقنا أيها الحمقى، بل تم الزج بنا في هذا الفخ القذر.

تباينت ردود أفعالهم على كلماته، وظهر على وجه (شيري) و(بيري) لحظة فهم مفاجئة، جعلت صدمة غريبة تظهر على ملامحهما، في حين امتقع وجهي (ريم) و(ندى) بينما تردد في عقل (سعاد)، حديث الشيخ عثمان عن القوى العظمى، في حين تبادل (وائل) و(ياسين) نظرات مبهمة، وساد الصمت وكأنما منطقية كلمات (منير) اخترقت صرح غفلتهم الشاهق، وأصابتهم بالخرس، فرمقوه في اهتمام، وهو يتابع حديثه قائلا:

-بدأ الأمر يتفاقم معي بشكل مريب وسريع، ويتخطى مرحلة السرقة إلى مرحلة أكثر إظلاما مع ظهور تلك العجوز المتصابية (زينات) في حياتي.. تلك المرأة التي كانت تعاني من مجموعة من العقد النفسية المتفاقمة، ما بين النرجسية

وحب الذات والمراهقة المتأخرة، والتي لم تتوقف عن رمي شباكها حول الشباب الصغار الذين لم يتخطى بعضهم سن المراهقة، وإحراج عائلتها وابنتها الوحيدة، التي أحضرتها لعيادتي، وترجتني أن أفعل أي شيء لكبح جماحها، وتحجيم أفعالها الشائنة.

قبلتها في عيادتي، ومن حديثي معها أدركت أنها ضحية لحرمان جنسي وعاطفي مهول، فقد تزوجت شخص شديد البخل حتى في الكلام، وليس في العلاقة الحميمية فقط، وفور أن تحررت منه بموته، انفجرت رغباتها، وغرائزها، وأصبحت هذه القنبلة الموقوتة، التي تستحق كل شفقة..

كنت وقتها قد توسعت وامتلكت مبنىً كاملًا في نفس الحي الراقي الذي نقلت إليه عيادتي، وإن احتفظت بالعيادة القديمة لم أبعها فلا حاجة لي لذلك، وجعلت في عيادتي الجديدة أماكن استضافة ورعاية للمرضى الذين كانوا بحاجة لعناية خاصة، وكانت (زينات) أول نزيل بالمكان..

يقولون أنه على الطبيب النفسي أن يكون محايدا، فلا يتعلق بمريض مهما كانت مميزاته، وأيضا لا يكرهه مهما كان سيئا، ولكن تلك القوى الخفية عمقت كراهيتها في أعماقي؛ فأصبحت لا أطيقها وأكره طريقتها المتعالية، وصوتها المزعج، ولسانها السليط، وكل شيء يخصها، برغم

أني قد شخصت حالتها، وأدركت أن علاجها بسيط، وهو بعض الاهتمام الزائد ممن حولها ليعوض ما تفتقده من حنان، وعدة جلسات تعديل سلوكي، لإقناعها بأنها وصلت لسن لا يمكن فيه أن تحقق رغبتها في الاقتران بشاب أصغر من ابنتها، وفتح عينيها على ما لا تراه من نعم حولها.. كابنتها وأحفادها الذين يستحقون منها الاهتمام، ورؤيتها قدوة صالحة، مع القليل من مضادات الاكتئاب الثلاثية، أو النورادرينالين.

كان الأمر ليسير في طريقه الصحيح، وتغادر (زينات) مصحتي وهي في أفضل حال، لولا تلك الكراهية التي كانت تتعمق بداخلي تجاهها مع مرور الوقت، ووسوسة تلك القوى الخيفة التي أخذت تدفعني للتمادي.

وتمهيدا لما عزمت القيام به، بدأت أحقن تلك العجوز المتعجرفة ببعض الأدوية التي تزيد من اضطرابها، وتعمل على تدهور حالاتها، والأهم أنها كانت تصيبها بالهلاوس والضلالات، فتظهرها كمجنونة أو خارجة عن السيطرة لكل من يراها، خاصة وهي لم تتوقف من بعدها عن قول إن شبح زوجها الراحل يطاردها، ويرغب في القصاص منها..

وظلت لفترة طويلة تحت تأثير هذه الأدوية، وهلاوسها المتعاظمة حتى توقف قلبها عن العمل من الرعب ذات ليلة،

وهي بين يدي ابنتها، وهي تردد أن زوجها سيقتلها.. وجعلني هذا الخبر أشعر بنشوة عظمى، وأيقنت أن الشر بداخلي كان ينتظر فقط الفرصة ليتحرر، وأن فقري المحدود كان يكبح كل رغباتي وغرائزي المحرمة، وأنني الآن قادر على فعل كل شيء وأي شيء.

على كل حال كانت جريمة نظيفة، جعلتني أتأكد وقتها أن ضميري قد مات تماما، وأنني بصوب حدث عظيم، أشعر باقترابه، وإن كنت لا أعرف ما هو! وأن هذه القوة الخفية ستساندني على الدوام.

وهنا خرج (ياسين) عن صمته وقال بصوت مسموع:

-حقارتك بلا حدود.

وهنا قهقه (منير) على عكس المتوقع منه وقال في خبث:

-لقد قرأت ملامحك، وترجمت لغة جسدك أيها السيد المحترم، أقسم بشرفي المهني، أنك تخفي بأعماقك جرائم أشد وأبشع مما أقصه على مسامعك.

رمقه (ياسين) في كراهية، وقال في مقت واضح:

-هلم انتهي من قصتك الموبوءة هذه، ولعلها تكون ذات فائدة في النهاية، فتكشف لنا بعض الغموض!.

منحه (منير) نظرة فاحصة ثاقبة متحدية، جعلته يضع بصره في الأرض قبل أن يستطرد قائلا:

-الجريمة التالية كانت مختلفة تمامًا، لم أستعمل فيها الأدوية أو مسببات للهلوسة، بل قمت بدور الشيطان في ممارسة الوسوسة، وكانت الضحية فتاة شابة ذات روح أرق من النسيم، تدعى (رحاب)، والتي تزوجت زواجا تقليديا، أو زواج صالونات كما يطلق عليه هذه الأيام.

كان زواجا سريعًا، فهي تقترب من الثلاثين وهو سن العنوسة كما حدده مجتمعنا الحالي، وهو مهندس ثري، ومن أسرة معروفة..

ولأنها يتيمة الأب، لم يقم أحد بالتحريات الكافية عنه، وحكموا على طباعه وأخلاقه من تلك الفترة القصيرة التي تسبق الزواج، ومن تعاملهم البسيط معه، والتي أغرق فيها عروسه بالهدايا التي أطارت صوابها وصواب أمها، ومنها تيقنوا أن العريس يهيم بعروستهم، وإلا لما حمل على عاتقه عبء هذه الهدايا الثمينة..

ولأنها تعيسة الحظ لم تمنحها الحياة فرصة لتفرح أو تتنفس...

فمن ليلة الدخلة التي كانت تعتقد أنها ستكون أسعد ليلة

في حياتها، اكتشفت وجه زوجها القبيح، ومن أول ساعة فيها وهي تعاني وتقاسي من عنفه وتصرفاته الصادمة..

فزوجها الذي لم يحاول مس يديها قبل الزواج، والذي كانت تعتقد أنه ملتزم دينيا مع دماثته، وحديثه اللطيف، وبدلا من بدء حياتهما معا بصلاة ركعتين شكر لله كما توقعت أن يحدث، وكما حدث مع معظم قريناتها. فاجئها من الدقائق الأولى بأن فتح زجاجة خمر رديئة، وأخذ يعب منها في جشع، وعرض عليها أن تجاريه ولو بكأس واحد، ولكنها رفضت رفضا قاطعا، وقد غزا قلبها خوف كبير، فإن كان قد نجح في إخفاء هذا الأمر السيء عنها طوال فترة الخطوبة، فلابد وأنه يخفي في جعبته الكثير، وهو شيء لا يبشر بخير.

وفور أن أنهى معاقرة الخمر، طلب مواقعتها بفجاجة وبعض العنف، وعندما استسلمت له ونزعت ثيابها، بدأت مأساتها..

فمن بين سحب الخمر التي تظلل عينيه، رأت النظرة المملوءة بالقرف، وهو يرمق في صدمة واشمئزاز وحمة بنية متوسطة الحجم تغطي منطقة صدرها، ثم سألها بامتعاض كسر ثقتها في نفسها قائلا:

-ما هذا القرف؟.

ولم ينتظر إجابتها التي لم تكن تملكها، بل بدأ يكيل لها الاتهامات، ويخبرها أنها خدعته، وأنه كان من الواجب عليها أن تخبره قبل أن تورطه في الزواج منها بعيوبها الجسدية، وأنه أصبح يشمئز من رؤيتها عارية، ومن وقتها وهو لا يقربها إلا مُجبرا، ويعاملها معاملة أسوأ من العبيد، ويذكرها دوما بأنه أهدر أمواله على امرأة مُعابة..

ولم تتوقف سوء معاملته معها على بخله العاطفي أو المادي، الذي كان عكس فترة الخطوبة تماما، وكأنه تحول وأصبح شخصا أخر، بمجرد أن رأى عيبها الجسدي البسيط.

بل بدأ يخونها، ويجاهر بهذا، وذات يوم أحضر إحدى عاهراته إلى المنزل، وطلب منها أن تشرف على خدمتهم، وأمام دهشتها وذهولها وصدمتها، دخل بتلك العاهرة إلى غرفة نومها، وشرعا في ممارسة الجنس وكأنها غير موجودة، أو لا قيمة لها أو لوجودها..

وبعد عدة دقائق، استفاقتك من صدمتها، ودخلت عليهما غرفة نومها، وهي تتمنى أن تكون واهمة، أو جنت في أفضل الأحوال، ولكن كل مخاوفها كانت متجسدة في الأجساد العارية المتصارعة فوق فراشها.

وبدون وعي من (رحاب) انقضت على زوجها المنهمك في عمله القذر، وأخذت تكيل له الضربات، وتسبه، وتصفه بأقذع

الألفاظ، هو والعاهرة العارية، التي استدارت تواجهها وهي مبتسمة..

كان من الواضح أن زوجها مخمور لحد كبير، وأن وعيه قد غادره إلى الأبد، فقد استقبل غضبتها بكل عنف وقسوة، فدفعها بعيد عنه، ثم انقض عليها وجرها من شعرها، ووضع وجهها أمام جسد العاهرة العاري الذي يكسوه العرق، وهو يقول في حقد، ومقت:

-أنظري أيتها المعيوبة، أنظري جيدًا، إنها عاهرة أي أنها تبيع شرفها بالمال، وكل يوم في فراش رجل مختلف، وها هو جسدها كالرخام بلا عيوب، هكذا النساء لا بختي المائل، هل عجزت أن تكوني مثل العاهرة؟.

قاومته رحاب بعنف، ورأسها يدور من رائحة عرق تلك العاهرة وعطرها الرخيص، الذي يبين أنه أحضرها من أحقر مكان توجد به العاهرات، ثم دفعته بقوة، وهي تصرخ في عنف:

-طلقني .. طلقني.. أنا لست معيوبة ولكنك المريض.. إنك شخص أ....

ولم يمنحها وقتا لتكمل جملتها الغاضبة، فقد انقض عليها كالثور، وضربها بقدمه في بطنها بعنف شديد؛ لدرجة أنها

عجزت عن التنفس، وهو يصرخ في جنون:

-أطلقك بعد كل ما أنفقته من مال عليك أيتها المعيوبة.. أطلقك لتخدعي رجل أخر.. إنك واهمة يا نصف المرأة أنتِ.. إنك ستعيشين تحت قدمي مجرد خادمة، وتنفذين كامل رغباتي وأنت صاغرة.

ثم قام بصفعها وركلها، وقيدها بقسوة من يديها وقدميها، وهو يسبها وينعتها بما يستحقه هو، ويخبرها أن الزوج لا يتم التحدث أو التعامل معه بهذه الطريقة، فالزوج يأمر فيطاع..

وحملها كشاة يستعدون لذبحها، وأجلسها على مقعد وضعه أمام الفراش، وجعلها تشاهد كل فعل حقير قام به مع تلك العاهرة الرخيصة، وروحها تتمزق، ودموعها لا تتوقف، والمرأة الفاجرة الأخرى تتلذذ بما يحدث لها وكأنما لا قلب لها، أو تطبق المثل القائل: (لا أقسى على المرأة، سوى المرأة من جنسها).

وبعدها حبسها لمدة أسبوع في غرفتها، وخلال هذه الفترة القصيرة أذاقها صنوف العذاب، قبل أن ينقذها الجيران من بين يديه الغاشمتين، بعدما استطاعت أن تحرر نفسها من القيود، وتستغيث بهم من الشرفة، لأنه أغلق باب الغرفة عليها من الخارج.

ويومها أبلغ أبيها عنه الشرطة، التي أمرت بضبطه وإحضاره، وفي قسم الشرطة برر فعلته بأنها زوجته، وأنه كان يربيها، ويعلمها كيف تتعامل مع زوجها كما يحدث مع كل نساء عائلته.

وفي النهاية انتهى الأمر بألعاب المحامين على لا شيء، وُدمرت الفتاة نفسيًا، وانعزلت، ونحلت، وأصبحت لا ترى الشمس، وعزفت عن كل الناس حتى أهلها، فأحضروها لي، لعلاجها مما وصلت إليه من تدهور.

في هذه الفترة كان شيطان السيطرة والتحكم قد تمكن مني، وبدأت أوقن أن التحولات التي أصابتني على حين غرة بعد عملية السرقة الملوثة، لم تكن جراء تلك القوى الخفية المظلمة وحدها، بل نتيجة التراكمات التي هشمت صخرة تماسكي ومزقت شخصيتي وحولتني من النقيض إلى النقيض، فبرغم فداحتها، بدا جليا لي أنني كنت أنتظرها.

لذلك دفعتها دفعا نحو كراهية نفسها، وعمقت الإحساس بداخلها، وجعلتها تكره الحياة ذاتها، ثم صرحت لها بالخروج، بعد أن منحتها دواء مسكن قوي يكفيها لثلاثة أيام ويضعها في حالة من الخمول..

وفي مساء اليوم الرابع عادت لوعيها، ولم تتأخر تلك

الفراشة عن تحقيق مسعاي، وباستخدام أسنانها الحادة قامت بتمزيق شرايينها، وظلت تنزف حتى لفظت أنفاسها الأخيرة، وحيدة في غرفتها.

صمت قليلا ليلتقط أنفاسه، وينظم انفعالاته وهو يمسح ببصره وجوه كل من حوله، وردود الفعل المتباينة من حوله قبل أن يقول:

-بعد هذه الجريمة أيقنت تماما أن تلك القوى الخفية تؤازرني، وأنني أسير في الطريق الصحيح، فقدمت لها القرابين المتتالية فبلغ عدد الضحايا، اثنى عشر امرأة وفتاة، عندما تعرفت على فراشتي المدللة (ماريا) ليحدث التحول الأكبر في حياتي.

شهقت (سعاد) في قوة هتفت في استنكار:

-كيف يعالج مريض نفسي مثلك، مرضى آخرين، أنت شيء بشع.

ابتسم (منير) مجددا وقال في هدوء:

-لا تجعلوا غسيل المخ الذي مارسه عليكم (الرسول) العجوز بمصباحه العجيب هذا، يشعركم بأنكم أفضل مني، كل منكم قام بأبشع شيء يمكن أن يقوم به في حياته، وإلا لما تقابلنا هنا.

قالها ثم استدار ليواجه كرة الضوء وقال:

-لقد خدرتكم هذه الكرة الجهنمية الملعونة، وعبثت بعقولكم وأقنعتكم بأنكم ملائكة، وأن هذا الكهف جنة أرضية، فمارستم حياتكم بكل أريحية، لدرجة أن بعضكم وقع في غرام البعض، فعندكم هنا (سعاد) و(ياسين) عاشقان على رضا وتواصل، و(وائل) يهيم بـ(ندى) ولكنها غير مقتنعة به، وهو لم يجرؤ على مصارحتها بعد، إنكم أشرار أيها السادة، تلك الفئة الحقيرة التي ستكون اختيار ساحر عجوز خبيث ..و...

وهنا انقض عليه (وائل)، وكال له لكمة قوية وضع فيها كل غضبه، فتلقاها (منير) صارخا :

-هيا أيها الغرير، أفصح عن شخصيتك الحقيقية، هيا تحرر من سيطرة الكهف، هيا...

ولم يمهله (وائل) ليكمل حديثه، بل انقض عليه وكال له المزيد من الضربات، وهو يصرخ فيه ليستفزه أكثر:

-تحرر أيها المغرور.. تحرر من سيطرة الكهف .

وعندما هم (وائل) بمهاجمته ثانية، انقض عليه (ياسين)، و(سعاد)، في حين صرخت (ندى) في هلع:

-توقف أيها المجنون ستقتله.

وبعد أن اشترك جميعهم في تكبيل (وائل)، وهدأت أعصابه تركوه، فأخذ ينظر نحوهم بنظرات عجيبة، وكأنما يراهم للمرة الأولى، قبل أن يتوجه بالحديث صوب (منير) قائلا:

-يا إلهي.. إنك على حق أيها البدين.. إنك على حق.. إننا واقعون بالفعل تحت سيطرة خفية تعبث بعقولنا، أي شر يحاك من أجلنا ونحن في غفلة عنه؟.

نهض (منير) من مكانه بصعوبة وهو يلهث قائلا:

-لا يهم ما يحاك لنا، المهم أن نواجهه ونحن بكامل وعينا، وبكامل إرادتنا وفهمنا، و..

وهنا هبت زوبعة مفاجأة بمنتصف الكهف، وسطع ضوء مبهر أعمى عيونهم للحظات، فهتف (ريم) في توتر:

-لقد حضر (الرسول) في غير موعده، ما الذي فعلته بنا أيها التعس؟!.

وأسقط في أيديهم..

العقد الجهنمي

كان ظهور (الرسول) مفاجئا للجميع، ولكنه كان مبهرا بالنسبة لـ(منير) الذي فغر فاه، وهو يشاهد تجسد (الرسول) العجيب من قلب العدم بذهول تام، وبدا من نظراته كطفل يشاهد عرضا مسرحيا للساحر في السيرك، وهو يقوم بخدعته المفضلة، فما زالت تلك الأفعال السحرية الخارقة للمألوف تخلب لبه برغم دقة موقفه، وما بعثته كلمات (ريم) في كيانه من قلق..

بينما وقف (الرسول) بهيئته المخيفة المهيبة في منتصف الكهف صامتًا، وعباءته تتحرك بفعل رياح خفية في كل اتجاه، وفي يده عصاه التي أضاءت مقدمتها بضوء خافت، وهو يقبض عليها بقوة..

وببطء أنزل قلنسوته الداكنة إلى الخلف لتستقر على كتفه النحيل، لتظهر لهم ملامحه المقبضة الغاضبة، ورأسه الحليق الموشوم، ثم أخذ يرمقهم جميعا بنظرات مخيفة، وكأنه يحاول اقتحام عقولهم ومعرفة ما تخفيه صدورهم، قبل أن يستقر بصره على (منير) المتوتر، فيشير نحوه بعصاه التي ازداد تألق مقدمتها، ليرتفع في الهواء، وكأنه لا وزن له، وسط شهقاته، وشهقات رفاقه، و(الرسول) يقول بصوت عميق موحش:

-كنت أعلم أنك ستثير الكثير من المشاكل أيها الطبيب القاتل، ولذلك جعلت يقظتك متأخرة عن باقي رفاقك وعن موعدها، وبرغم هذا أجبرتني على القدوم إلى هنا قبل الموعد المحدد لعودتي، وجعلتني أقطع المسافة من أقصى الأرض إلى أقصاها، راغبا في أن أهشم رأسك وأنتزع لسانك، وأحظى بروحك المظلمة.. دور الثائر والمناضل الذي تلعبه في كهفي، اختيار خاطئ، ولولا حساسية التوقيت الذي نمر به، لكان له عقاب كبير.

انتهى من عبارته، ثم استدار بجسده النحيل المتوتر كوتر كمان، ووجه حديثه لباقي رفاقه قائلا:

-جميعكم تعرفون أنكم حثالة البشر، وأنني منحتكم فرصة لا تتكرر في العمر مرتين، فرصة خرقت بها نواميس الطبيعة، وأنقذتكم من بين براثن الموت المؤكد.. لو اخترتم التمرد الآن، أو سعيتم للموت كطوق نجاة، ستموتون ألف مرة قبل أن تحظوا بالراحة والسكينة الأبدية، فمصيركم قد تحدد، الطاعة التامة أو......

ولم يكمل عبارته لأن مغزاها وصل إليهم جميعا، وجعلهم يرتعدون في أماكنهم من الخوف والمصير الأسود الذي تحمله كلماته، بعد كل السلام الذي شعروا به من قبل في الكهف..

وبعيون كارهة رمقوا جميعا (منير) المعلق في سماء المكان، والذي فزع من نظراتهم فقال بسرعة:

-أنا لا أريد الموت.. لا أريد الموت.. لقد كنت أحمقا، حاولت لعب دور القائد هنا لتتحسن فرصي في النجاة.. كما ظننت أن تلك القوى الخفية ستساعدني مجددًا.. الرحمة يا سيدي.

وهنا أشار نحوه (الرسول) بعصاته التي تألقت في قوة، فارتفع رغما عنه حتى التصق ظهره بأحد الهوابط الصخرية المدببة، والتي آلمته بشدة وأدمت حافتها ظهره، وهو ينظر نحوه باستهزاء، قبل أن يقول بخيبة أمل:

-لم أعهدك بمثل هذه الحماقة أيها الطبيب النفسي العتيد، ألم تفهم بعد؟ لا توجد قوى خفية تساندك في هذه الحياة.. هل توقعت أن يصطفيك الكون من بين كل البشر، ويختصك بقواه الخفية الحامية، ويبارك خطواتك الآثمة وحدك.. هيهات أيها الأحمق.. كل شيء من البداية كان يدار من خلالي.. كل القوى الخفية هي أنا.. من قبل أن تولد وبعد أن تذهب.

شهق (منير)، وتمتم في صدمة:

-إذا هو أنت.. كان على أن أتوقع هذا، لا شيء يحدث في هذا الكون عشوائيا حتى الشرور.

وبصعوبة منع دموعه أن تنهمر، وتقلصت ملامحه، وبدا مهزوزا بعد أن ذهبت شجاعته، وهو يقول في ضراعة:

-الرحمة.. الرحمة.. لا أريد الموت.. أنا رهن إشارتك يا سيدي.

وهنا أنزل (الرسول) عصاته إلى جانبه بشكل مفاجئ، فخفت ضيائها دفعة واحدة، وسقط (منير) من ذلك الارتفاع الكبير ليكسر ذراعه، ويصرخ من الألم، ليعيد (الرسول) قلنسوته الداكنة لتغطي رأسه وجبهته، فتألقت مقدمة عصاته بضوء أشد، وازدادت سرعة الرياح المحيطة به، وتحول الوهج المضيء إلى إعصار من الضوء، راح يتوهج، ويتوهج، ويتوهج، حتى آلم عيونهم، فأغمضوها، وصوت (الرسول) يتردد في المكان:

-موعدنا غدا.. ولتستعدوا جميعا لمغادرة الكهف، فالجزء السهل من رحلتكم انتهى.. وأنت يا (منير) لدي لك هدية خاصة، احتفاء بالأيام الخوالي التي لم تشهدها.

وفي اللحظة التالية ظهر من العدم أمامهم كلب (منير) الأليف، الذي ما أن رآه ساقطا على الأرض يبكي من الألم، حتى هرع نحوه، وأخذ يتمسح فيه في حب، ليتردد صوت (الرسول) الذي اختفى من أمامهم:

-أنا أيضا أكافئ الفتيان الجيدين.. وأنت كنت شيطان بما يكفي.. لعل روحك الآثمة تلهم رفاقك .

وبعدها عاد الهدوء إلى الكهف، إلا من صوت ضربات القلوب الواجفة، وصوت تنفسهم اللاهث.

وفجأة انهارت (ندى) وأخذت تبكي، وهي تهتف في استنكار:

-لماذا يحدث لي كل هذا، أنا لست مثلكم.. أنا لم أفعل أي شيء شرير في حياتي أستحق عليه مثل هذا العقاب.. لقد كنت دوما الضحية، فلماذا أعاني وأتعذب مثلكم.. هذا ليس عدلا.. ليس عدلا؟.

ضمتها (سعاد) التي كانت ترتجف هي الأخرى إلى صدرها بقوة وهي تربت على ظهرها، ولا تعرف إن كانت تمنحها السكينة أم تستمدها منها، في حين قالت (ريم) في قنوط:

-عن أي عدالة تبحثين أيتها المعتوهة.. متى كانت الحياة عادلة مع أي شخص.. إننا لم ننجو من الموت، إلا لنصير عبيدا للرسول وأفكاره الشاذة، لقد وقعنا عقد عبودية، وليس عقد طاعة.

قالتها ثم غادرت الكهف، في حين أخذ (ياسين) يحاول مساعدة (منير) الذي صار بين يديه كطفل صغير، بعد

أن زالت عنه ملامح القسوة، والصلف، والغرور، وصنع له جبيرة بدائية أحاطت بذراعه المكسور، ثم أعانه على العودة والجلوس على فراشه الحجري العجيب وقال في شفقة:

-الآن لتخلد إلى الراحة يا رفيق، وكرة الضوء ستساعد عظامك على الالتئام، كما ساعدت فتحي من قبل على الشفاء، عندما أصيب أثناء أداء تمريناته العنيفة.

وبعين كسيرة منحه (منير) نظرة ممتنة، وهو يضم قدميه ليتمدد فوق الفراش المريح، فتركه (ياسين) وتبعه (وائل) وغادرا الكهف، وفي قلوبهم ألف سؤال وسؤال..

وعندما اجتمعوا جميعا في مكان لقائهم اليومي أمام مدخل الكهف، والذي كان يطل على أرض صخرية منبسطة، تنتهي بهوة عميقة لا قرار لها، بادرتهم (شيري) قائلة في حزن وأنفاسها تتسارع:

-صدقوني عندما خيرني (الرسول) بين الاستمرار والموت، كدت أن أختار الموت، لولا أن تذكرت آلام الاحتضار، ووجع (بيري) المشترك وروحها تزهق، إن الموت سحقا كان أبشع ما يمكن أن يحدث لنا، ولا أعرف لماذا أتمناه الآن؟ لدرجة أني أفكر بجدية أن ألقي بنفسي في هذه الهوة السحيقة.

صرخت بها (بيري) في رعب:

-بماذا تفكرين أيها المجنونة، نحن توأم ملتصق سنعيش سويا، وسنموت سويا، وأنا لا أريد الموت.. لا أريد أن أكرر تلك التجربة المؤلمة قبل أن أستنفذ كل فرصي في الحياة.. فبرغم ما قاسيناه سويا إلا أنني أحب الحياة، وطعم الآيس كريم بالفانيليا، ورائحة يود البحر، والكتب الرومانسية، لن أتخلى عن كل هذا، ولا تجبرينني عليه في لحظة حماقة.

انهمرت الدموع من عينا (شيري)، وهي تنظر لرفاقها الواجمين، تتلمس منهم العون، فقالت (سعاد) بأسى:

-الآن لم أعد أدري إن كانت الحياة أفضل أم الموت، كل شيء أصبح كئيبا ومقبضا، ولا يوحي بأمل .

صرخ (وائل) في غضب وقال:

-لقد وقعنا جميعا على العقد الجهنمي، بعد أن اقتربنا كثيرًا من الموت، وعانينا سكراته، وقررنا جميعا –دون اتفاق- أن نهرب منه، ألم تفهموا حديث (الرسول) وكنه تهديداته.. إن عبارته كانت واضحة ومحددة، كل من سيخالفه سيتعذب بالموت ألف مرة قبل أن يحظى بالموت الأخير..

كفاكم حماقة، ودعونا ننسى كل ما حدث، ونعود للكهف وننشط أبداننا وعقولنا بذلك الضوء المنعش، لنحظى ببعض الراحة والسكينة قبل أن تبدأ هذه الرحلة المشؤومة، ربما

كان لـ(منير) مكانه خاصة لدى (الرسول)، ولذلك لم يعاقبه واكتفى بتحذيره، ولكن من يضمن أن يكون لأي منا نفس المكانة، نحن هنا لا نصير لنا ولا شفيع.

وهنا هتفت (ريم):

-هل تعتقد أن (منير) يعمل معه، وأن ما قام به مجرد اختبار، هل يكافأ أحد على عصيانه، لقد أعاد له كلبه؟.

أشاحت (سعاد) بيدها في يأس وقالت في قنوت:

-لا أعتقد هذا، فالاختبار للأحرار، ونحن مجرد عبيد تابعين له، ولا ينتظر منا قرارات أو نتائج، (منير) مجرد دمية أخرى كانت تظن أن لها قيمة أكبر من حجمها ومكانتها لمجرد أنه طبيب نفسي محترف، ويعلم بواطن النفوس، فصدمه (الرسول) وأعاده لحجمه الذي يستحقه برفق غير معهود منه، إن في الأمر شيء غامض ستكشف الأيام عنه لا محالة.

وبغضب ضرب (وائل) قبضته في راحة يده، وهو يقول في ضيق:

-هل ستعودون معي إلى الكهف الآن، أم ستظلون هنا كالحمقى تبكون على الأطلال، إن ما حدث قد حدث، ولا أحد قادر على تغييره؟.

تبادلوا جميعا النظرات المترددة الحيرى، ثم قاموا واحدا تلو الأخر بكل هدوء، وتبعوا (وائل) صوب الكهف، ورؤوسهم منكسة، وكأنهم في جنازة لدرجة أن التأثير المنعش للضوء لم يكن سريعا كما تمنوا.

ولكن مع الوقت بدأوا يتناسون بإرادتهم كل ما حدث ويتماهون مع الضوء المخدر المنعش، وعادت ضحكاتهم ترج الكهف رجا، وداعبت (ندى) الضيف الجديد، فتعلق بها الكلب، وصار يشاكسها، فانشغلت به، وغمرها إحساس طاغ بأنه مسؤول منها، فطلبت له طعام مخصص للكلاب من كوة الطعام. وعندما انتهى من تناوله بنهم غير مسبوق حتى أتخمه، راحت تلاعبه وتلاطفه، ثم اشترك معها باقي الرفاق، وكأنهم نسوا كل شيء عن رحلتهم غدا، ومصيرهم المظلم..

وأثناء لهوهم الهستيري، الذي تجنبته (ريم) والتي كان تأثير الضوء عليها متدنيا، ظلت عيناها مسلطتان على (منير) النائم، الذي كان يتقلب في نومه وكأنه يعاني من كابوس شنيع..

لا تعرف لماذا تتردد في عقلها فكرة أنها مرت بكل هذا الجحيم من قبل؟ شيء ما في أعماقها يخبرها أن ما تمر به ليس جديدًا عليها..

هل هي ظاهرة (ديجا فو) الشهيرة؟

إن عقلها في حيرة شاملة.

وبرغم الضجيج الذي تصنعه (ندى) ورفاقها مع الكلب الذي أصبح يهيم بها في لحظات كعادة كل الذكور، إلا أنها تجاهلت كل شيء وأخذت تتأمل ملامح (منير) المكفهرة في فضول وشفقة، وقوة خفية تدفعها للاقتراب منه..

ولم تشعر (ريم) بنفسها إلا ويدها المرتجفة، تمسح على يده المتعرقة، وكأنها ترغب في مؤازرته، ولكن ما حدث في اللحظة التالية كان رهيبًا..

فعلى حين غرة قبض (منير) على يدها في قوة وكأنه يشعر بوجودها، ليسرى في جسدها تيار رهيب من الطاقة الباردة جعلها تتسمر في مكانها، وجعلت (وائل) ينظر نحوها في خبث من مكانه، ويقول في عبث:

-عاشقان جديدان في الكهف، الكئيبة والمتمرد.. يا له من عنوان يصلح لفيلم سينمائي.

أنهي عبارته فراح يقهقه، وانطلقت الضحكات والهمز واللمز من رفاقه، قبل أن يعود كل منهم لنشاطه السابق، ويعود (وائل) لمحاولاته المكشوفة للفت نظر (ندى)، التي استغرقها اللهو مع كلب (منير) الذي كان لطيفا بشكل كبير بعد أن تشبع بطاقة المصباح.

بينما كان وعي (ريم) يسبح في عالم أخر بعد أن أمتزج بوعي (منير) النائم، وأطاح بها في سيل من الذكريات العاصفة التي تعود لزمن بعيد جدًا، قبل أن يولد أي منهم أو من آبائهم، ذكريات لا تخص (منير) بل تعود إلى ذاكرته الجمعية الممتدة التي تصل لجده السابع الذي لا يعلم عنه أي شيء..

كان الأمر بالنسبة لها مذهلا ومخيفا في نفس الوقت، فكل شيء كان محاطا بظلام ثقيل دامس، غير طبيعي، وكأن كل الموجودات غلفت بنوع ثقيل من المخمل الأسود فأظهر حدودها وأخفى تفاصيلها..

وأمامها كان (الرسول) يرقد على الأرض مصابا في صدره إصابة فادحة، وفي قلبه انغرس ناب حاد طويل يسيل منه سائل عكر أصفر اللون، وبجواره رجل في الأربعين من عمره يبدو عليه الوقار برغم ثيابه البدائية، يعمل على مداواة إصابته بعناية، ويحاول بمهارة نزع ذلك المخلب الحاد من صدره.. والغريب أن دماء (الرسول) نفسه كانت فضية في لون الزئبق، ولزجة بشكل غريب، وهيئته تظهره أكثر شبابًا، والمريب أن الرجل الوقور الذي كان يشبه (منير) إلى حد كبير، وكأنه النسخة الأكبر سنا والأكثر وسامة منه..

ظل الرجل الوقور بجوار (الرسول) دون نوم أو راحة،

يرعاه حتى الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم البعيد، وهو يكافح النعاس بشكل مرهق، وعلى فترات متباعدة تدوي أصوات عواء مخيف وصراخ، وكأن هناك معركة هائلة تدور رحاها خارج هذا المكان العجيب غير محدد المعالم.

حاولت (ريم) أن تستدعي ذاكرة المكان، وتعلم تفاصيل أكثر، ولكنها عجزت عن ذلك بشكل تام، فهي ليست أكثر من مشاهدة متطفلة على تلك الذكريات، وليست متحكمة في تسلسلها أو مجراها، فعادت تركز في المشهد من جديد، وزاد انتباها، في نفس اللحظة التي استفاق فيها (الرسول) من غيبوبته، وقبض على ذراع الرجل الوقور في قوة، وقال في امتنان:

-أنا مدين لك بحياتي أيها السيد.. وهي المرة الأولى منذ وطئت قدماي أرض هذا العالم، التي أحظى فيها بمساعدة من أي مخلوق.. لقد أنقذت روحي من التسمم، والهلاك على أيدي هؤلاء الأقزام المتوحشين، الذين لا ينجو من براثنهم أحد، ومقابل حياتي أهب لك حياة.

رد عليه الرجل الوقور في يأس:

-أنا أفعل ما يمليه عليّ ضميري فقط أيها (الرسول)، لو عاملتك بمثل معاملتك لنا، لتركتك لتموت دون شعور واحد بالذنب، وربما لقتلتك قبلها بنفسي، وبعدها لن يهمني لو

قضيت بين مخالب تلك المخلوقات الرهيبة التي ورطتنا معها بسبب أطماعك.

وبهدوء وببطء، اعتدل (الرسول) في مكانه على الرغم من إصابته ثم قال في ثقة غير مفهومة:

-لا تدع أمر هذه المخلوقات ترهبك بعد الآن، لقد عبرنا الجسر، وانتشر الظلام الحامي، وحققت النصف الأول من مهمتي واستعدت المقتنيات المقدسة التي فقدتها منذ زمن بعيد على يد ذلك الساحر الفرعوني الحقير الذي أوقف مسيرتي وقوض مهمتي، هلم أجمع من تبقى من رفاقك.. فقد انتهت مهمتكم، ونجحت هذه الدورة، وأحفادكم سينهون مسيرتكم.

صرخ الرجل الوقور قائلا:

-الموت أشرف لي من نقل هذه اللعنة عبر الأجيال و..

قال (الرسول) بصرامة:

-هو قدرهم، ولا يمكن تبديله، أنتم جميعا مرتبطون معهم برباط الدم، ولقد أرتبط قدري بقدركم وقدرهم، وبدوران عقارب الساعة والأفلاك، وما أعدك به، أن حفيدك سيكون له الأفضلية، و..

وقاطع حديثهم اندفاع مجموعة من الأشخاص المذعورين نحوهم، وهم يحملون في أيديهم أسلحة بدائية مغطى نصالها بذلك السائل المصفر الداكن، وهم يلهثون منهكين، ليصرخ أحدهم:

-أين نضع المصابين؟.

هب الرجل الوقور من مكانه على الفور، وأشار لمكان خال من الأثاث بالقرب من الحائط الأيسر، فتعاونوا جميعا على إرقاد المصابين، الذين شملتهم جميعا رعشة رهيبة، وأخذت حرارتهم ترتفع، وقد ظهر اليأس والإعياء على مرافقيهم..

مما دفع شخص نحيل، متوتر الأعصاب ليصرخ في غضب، وهو يلوح بخنجره في هستيريا:

-ألن ينتهي هذا الجحيم.. إن تلك المخلوقات الوحشية القزمة خلفنا، إنها لا تكل ولا تمل من المطاردة.. لقد نجونا منها بصعوبة بالغة، وليس دون خسائر فادحة، لقد فقدنا عشرين من رفاقنا حتى الآن، وبعضهم مزقوا إربا أمام أعيننا، ونحن سنلقى نفس المصير لو لم نغادر في أسرع وقت، لقد كانت رحلة مشؤمة تلك التي قادتنا إلى هذه الجزيرة الملعونة.

لم تعرف (ريم) لماذا شعرت بالحميمية تجاه صاحب هذا

الصوت، فأخذت تتأمل ملامحه للحظات، ثم تركزت نظراتها على عينيه الشبيهتين بعينا أبيها، وشيء غامض يلح عليها أن تأخذه من يديه وتطمئنه أن كل شيء انتهى.

ولكن صوت (الرسول) عاد يدوي في المكان، فأخرجها من أفكارها، وهو يقول بصوت يموج بالقوة على عكس الصوت الواهن الذي كان يتحدث به مع الرجل الوقور منذ دقائق:

-لقد انتهت رحلتكم ومهمتكم في هذا المكان الموحش، وبفضل تضحياتكم وما بذلتموه من جهد، استعدت عصاتي، ومقتنياتي، وقدراتي على التجدد.. والآن ستعودون جميعا لأوطانكم.. لن تذكروا شيئا مما حدث.. ولن تحذروا أحد.. ستتزوجون وتنجبون، وسيتواصل العهد مع أحفادكم.

صرخت سيدة تمزقت ثيابها، وكشفت أجزاء عديدة من جسدها الذي اكتسى مع كل كيانها بالوحل، وإن لم يستطع إخفاء جمالها أو فتنتها:

-اللعنة عليك أيها المشعوذ البغيض.. ما ذنب أحفادنا، ما ذنبهم؟ .

قبض (الرسول) على عصاته في قوة، فشعت بضوء رهيب أعمى عيونهم للحظات، وغمر كيانهم كله قبل أن يقول في صرامة:

-الآن سيعود سبعة منكم لنفس مكان غرق سفينتكم، وستنتشلكم فرق الانقاذ التي دفعتها دفعا للذهاب في موقع غرق سفينتكم، فكل المصابين سيموتون خلال دقائق، وعلى أن أحظى بأرواحهم الثمينة، فالسم الموجود بأنياب الأقزام لا ترياق له ولا علاج، وأنا سأعود لكموني بعد أن أحصد الأرواح التي ستعينني على أداء الجزء الأهم من مهمتي، وحتى يحين الوقت أنتم في أمان.

وبعدها ردد كلمات غير مفهومة، فتحول المكان كله إلى كتلة من الضياء، وشعروا بأجسادهم ترتفع عن الأرض إلى عنان السماء، والبرد يحيط بهم من كل اتجاه، وأنفاسهم تختنق في صدورهم، قبل أن تظهر السماء بنجومها المعتادة، وقمرها الساطع، ويعودون للسقوط أمام عينا (ريم) في مياه البحر الباردة، وهم يكافحون الموج للنجاة..

لتنطلق صفارات عديدة من حولهم، وتقترب منهم قوارب نجاة تعود لعدة سفن مختلفة، يحمل رجالها العديد من المصابيح الزيتية، وصوت يقول في حماس:

-لقد عثرت على بعض الناجين.. لقد عثرت على بعض الناجين.

وفي اللحظة التالية، شعرت (ريم) بتيار من الطاقة الباردة يسري في كيانها ويجمد خلايا عقلها، ثم عاد الظلام ليغلف

عقلها، فشهقت بقوة وهي تنتزع يدها من يد (منير) بسرعة، ثم انحنت، وغثيان رهيب يهتك معدتها، قبل أن تقيء كل ما تناولته منذ وقت قصير، لتلوث أرضية الكهف.

وبسماجته المعتادة قال (وائل):

-قصة حب فاشلة أخرى.

وعندما رفعت (ريم) رأسها، وانتصب عودها، ظهر على وجهها نظرة ذهول، وملامح ألم عاتية استفزت (سعاد) لتنفصل عن رفاقها وتقترب منها وتسألها في دهشة:

-ماذا حدث يا (ريم) هل أنت بخير؟!.

وبصوت ملتاع، وبجمل غير مفهومة أو مترابطة، هتفت (ريم):

-لقد عرفت كل شيء.. إنها لعنة.. لعنة ممتدة عبر الأجيال، تمتد لأجدادنا.. لم يكن الأمر عشوائيا لحظة واحدة كما قال (منير).. نحن ملعونون من قبل أن نولد نحن وآباؤنا.. كل ما نفعله هنا أننا نكمل مهمتهم البغيضة، التي نجحوا في اتمام الشق الأول منها بعد تضحيات لا تعد ولا تحصى.

كانت النشوة تسري في عروق (سعاد) وحنينها للارتماء بين ذراعي (ياسين) يتضاعف، وشيطان اللهو يجري في عروقها

مجرى الدم، مع تزايد ذلك الإحساس المنعش في كيانها، والذي تبثه كرة الضوء العجيبة، فلم تتفاعل معها بجدية، هي أو رفاقها، مما جعلها تصرخ صرخة رهيبة أعادتهم لوعيهم للحظات، وجعلتهم ينظرون نحوها في ترقب، فعادت لتقول بصوت منهك:

-إن خطايانا لم تقودنا إلى هذا المكان الملعون.. بل قادنا هذا الخبيث الملقب بـ(الرسول) والذي يحيا على الأرض منذ زمن سحيق.. لقد كان هو الشيطان الذي وسوس لنا جميعا، وهو الذي جعلنا نسير في كل تلك الطرق المظلمة.. إننا ملعونون.. حتى الموت لم يعد خيارًا متاحًا.. إننا هالكون لو لم نستفيق من غفلتنا هذه.

ما أن انتهت من حديثها المنفعل، حتى توهج المصباح، فسرت في جسد (سعاد) طاقة منعشة فرمقتها بلا مبالاة شديدة، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة بلهاء، في حين رمقها رفاقها لبعض الوقت في فضول، ثم هز بعضهم رؤوسهم بلا اهتمام وعادوا للهوهم وصخبهم، فصرخت فيهم (ريم) بكل قوتها:

-لقد كشف لي (منير) السر.. وعرفت نقطة ضعف (الرسول)، هناك فرصة للنجاة والهروب من المصير الأسود الذي يعده لنا ذلك الخبيث، لقد ضحى بركاب سفينة كاملة

دون أن يهتز له جفن، ليتم الجزء الأول من مهمته الغامضة، ونحن الضحايا الجدد للجزء الثاني منها.. استفيقوا.. فالموت قادم.

وضاع صوتها وسط ضجيهم، وضحكاتهم..

ولم يجيبها إلا نباح الكلب المبتهج.

حاصد الأرواح

أشرقت شمس الصباح وألقت بضيائها على الكهف الصامت وما حوله، ولأول مرة منذ تم إحضارهم إلى الكهف، يخبو ضوء كرة الضوء العجيبة، ثم تتلاشى في العدم كما ظهرت منه، وإن لم يشهد أي منهم حدوث الأمر، لأنهم جميعا كانوا نائمين، عدا التوأم الملتصق العجيب(شيري) و(بيري)، واللذان لم يقضيا ليلتهم في الكهف من الأساس، ففاتتهم تلك اللحظة الفارقة، والتي تعني أن رحلتهم الحقيقية على وشك البدء.

فبالقرب من الهاوية العميقة، وعلى حافتها الصخرية وقف التوأمان بشكل متهور، يفتقر للأمان والحكمة.. فأقل هبة ريح قادرة على الإطاحة بهم لأعماق الهاوية المظلمة..

وبتركيز شديد راحت (شيري) تتطلع باستمرار إلى الهاوية التي لا قرار لها.. ثمة أثر لبعض الدموع على وجنتيها جففتها الريح وأشعة الشمس، وكان من الواضح أنها لم تشعر بها، وهي تواصل النظر إلى أعماق الهاوية، وكأن هناك شيء يجذبها إليها باستمرار، ولا سيطرة لها عليه، في حين ظهر على ملامح (بيري) هلع رهيب متعاظم، وكأنها تحتضر أو تشاهد بعينيها لحظاتها الأخيرة في هذه الحياة.

ففي هذه اللحظات المتوترة، كانت (شيري) هي المسيطرة على الجسد المشترك، ف(شيري) و(بيري) حالة خاصة بين التوائم الملتصقة المعروفة، فهما يتشاركان معظم أجهزة الجسم الحيوية، كالجهاز التناسلي، وجهاز الاخراج، والجهاز العصبي، والدورة الدموية، ولديهم قلبين ورئتين وأربع كلاوي، وقفص صدري واحد، ولهما مريئان مما يجعل كل منهما تتناول الطعام بشكل منفصل، ولكل فتاة رأسها الخاص، ومشاعرها الخاصة، وأفكارها المختلفة.

وبرغم أن لديهما القدرة على قراءة أفكار بعضهما البعض بكل بساطة وسهولة، إلا أن لكل منهن شخصيتها المميزة التي تختلف عن الأخرى بشكل جذري، وإعجازي في نفس الوقت؟

وهذا جعلهما يتسألان كثيرا، هل لهما روح واحدة أم روحان؟

وهل الجسد البشري قادر على احتواء أكثر من روح؟!

أسئلة وجودية عويصة وتقود لمسارات فكرية مخيفة ليس مجالها هنا، لأنهما في هذه اللحظة كانتا منفصلتان في التفكير، وهي قدرة عكسية يمتلكانها، فبإمكان أي منهما حجب بعض من أفكارها عن الأخرى.

ف(شيري) كانت متشبعة بفكرة الموت وإنهاء حياتها بشكل سريع، كي لا تخوض تلك الرحلة المشبوهة التي بشرهم بها (الرسول) الذي أصبحت تكرهه كالأبالسة.

فهي على يقين تام بأنها ستكون رحلة الأهوال، وأن الموت بأبشع الطرق هو مصيرهم في النهاية..

بينما (بيري) الأقل عمقا ورزانة، تشعر بخوف عميق، لأن ما تنوي عليه (شيري) واضح ومحدد وطرحته أمام الجميع، ولم يكن يحتاج منها أن تقرأ أفكارها لتعرفه، وبالطبع كانت ترفضه بشدة، فهي ما زالت تتشبث بتلك الحياة، التي لم ترأف بها لحظة، وكأن هناك هاتف مجهول بأعماقها يخبرها أنها ستنجو في النهاية.

موقف شديد التعقيد والحساسية الذي تمر به (بيري)، بل ومفارقة شديدة السوداوية، عندما لا يكون جسدك ملكك ولا تستطيع التحكم في مصيرك، لأن هناك من يشاركك هذا الجسد..

ومع مرور الوقت وصمت (شيري)، أصبحت (بيري) في حالة مضاعفة من الهلع مع عجزها عن إثناء شقيقتها عن أفكارها المخيفة، وبعد أن تحكمت بيأسها وغضبها في جسدهم المشترك..

لم تكن المرة الأولى التي تستغل فيها (شيري) ضعف قدرة (بيري) على التحكم في جسديهما، ولم تكن المرة الأولى التي تستغل هذه القدرة بشكل بشع، فقد حدث الأمر منذ فترة طويلة، عندما وقع الاثنان في حب نفس الشخص، وكأن الدنيا كلها قد خلت من الرجال إلا هو..

بل وتعاركا من أجله وتعذب كل منهما بعشق الأخرى لهذا الشخص الذي أختار (شيري)، وتقرب منها أكثر..

لم يبالي هذا الحقير بأنهما شقيقتان، وتوأمتان، وملتصقتان، وأسقطها الوغد في شباكه، فسلمت له (شيري) نفسها بكامل رغبتها بعد أن فعلت مثل ما فعلت الآن وسيطرت على هذا الجسد، ومنحته للوغد ليمنحها الحب وحدها ويهتك عذريتهما، رغم صراخها واحتجاجها الصامت، بعد أن أغلق فمها بشريط لاصق قوي، وإن لم يستطع إغلاق عقلها، لتعيش بقلب دامي، مأساة اللقاء الحميمي بين شقيقتها وحبيبها..

كانت تجربة عنيفة مهينة، كسرت قلبها لم تشفى منها بسهولة، وجعلتها تشمت في شقيقتها من كل قلبها، عندما هجرها ذلك الوغد بعد أن أخبرها أنه لم يحبها قط، فقط كان يرغب في تجربة ممارسة الحب مع امرأة برأسين..

ومن حسن حظ الوغد وسوء حظها أن (شيري) كانت

جامحة، وتتوق للأمر بشكل ملح، وشهوتها كانت أعلى وأكثر سيطرة من كل تعقل لديها، ومن نصائح شقيقتها التي لا حول لها ولا قوة.

ووقتها حمدت الله أن شقيقتها لم تتورط أكثر وتحمل منه، وهو ما كانت تتمناه بشدة، وإلا صار عذابها مضاعفا، خاصة بعد أن تركا البلدة وهجرا المكان، كهجرة ثانية بعد تلك الجريمة التي أجبرتها (شيري) على فعلها مع زوج أمها الوغد.

إن حياتهم مأساة، ما بين هيئتهم الغريبة، وتعرضهم للتحرش والسخرية المستمرة، وفشلهم حتى في التسول، ولجوؤهم للسرقة، ومن بعدها للأسوأ منها، والذي لا ترغب في تذكره..

واليوم شقيقتها تفكر في الموت، دون أن تحفل بها أو برغباتها، بل وستجبرها عليه كما أجبرتها على كل شيء في حياتها.

كيف لم ترى من قبل، كم أن شقيقتها أنانية، وربما لا تحمل لها أي حب؟

لقد أحبتها من كل قلبها، وأحبت شخصيتها المتناقضة، وعقلها الكبير وقدرتها على التفكير العميق، ومناقشاتهم التي كانت تجعل أيام وحدتهم بعد أن نبذهم المجتمع تمضي

أسرع..

فلماذا لا تبادلها نفس الحب؟

وهنا صرخت (شيري) في عقلها وقالت في غضب وكراهية:

-لأنني مجبرة على كل شيء منذ فتحت عيني على هذا العالم يا (بيري)، ولم أنعم بلحظة خصوصية واحدة طوال حياتي، ولم أحظى يوما بدش دافئ مع أفكاري الخاصة، ولم أمارس مراهقتي وشبابي دون رقيب، ولم أستطع أن أحظى بشخص طبيعي يحبني ويضمني لصدره كل مساء ليزيل عني عناء اليوم.. ولأني لم أكن يوما وحيدة أو طبيعية، هل فهمتي الآن.. أم أن عقلك الصغير يكتفي بأدنى شيء من كل شيء، أنا لم أعد أرغب في حياة مماثلة، وتشبثك المرضي بها يثير غثياني، أنا لا أريد إلا الموت.

صرخت بها (بيري) في لوعة:

-لقد حظيت بفرصتك الأولى للموت، وركلتيها بقدمك، وسعيت نحو الحياة، فلماذا الآن يا (شيري)؟.

صرخت بها (شيري) قائلة:

-لأني خائفة يا (بيري).. بل مرعوبة من القادم.

ردت (بيري) بنفس الصوت الملتاع:

-لأنك خائفة من الموت، تقتلين نفسك، أي حماقة هذه؟.

انهمرت دموع (شيري)، وأخذت سيطرتها وتحكمها في الجسد التي تستحوذ عليه تقل، وقد بدأت أعصابها في الانهيار، وهي تقول بصوت مضطرب:

-عندما تهاوى على رؤوسنا بيت الدعارة الذي كنا نعمل فيه بعد أن تصدعت أساساته، واندفنا أسفل أنقاضه عراه مع جثث هؤلاء الزبائن الأوباش، بعد أن أفقدنا عذريتنا ذلك الوغد الحقير الذي هجرني، وأجبرتك معي على ممارسة أقدم مهنة في التاريخ، وأن نكون أعجوبة بين يدي هؤلاء القوادين وزبائنهم، بعد حالة السخط التي تملكتني بعدها لعدة أشهر.. وتيقنت أن الموت قاب قوسين أو أدنى مني، تملكني شعور هائل بالإثم، وبأني أرتكب ذنب عظيم لا يغتفر، وتمنيت حينها ولو أتمكن من العودة بالزمن لساعة واحدة؛ ساعة واحدة فقط أتمكن فيها من التوبة والاستغفار عن ذنوبي، وأتضرع لخالقي قبل أن ألقى وجهه الكريم، فلم أكن أرغب في أن أتعذب في الدنيا والأخرة، ولم يكن خوفا من الموت نفسه يا (بيري).

قالتها ثم صمتت قليلا لتنظم أنفاسها وأكملت:

-أما الآن فأنا أشعر بأني أكثر إثما ونجاسة مما كنت في ذلك البيت اللعين، وبأن ذلك (الرسول) الداعر سيجعلنا نفعل ما هو أكثر حقارة من كوننا مجرد عاهرتين منبوذتين، وسنغضب خالقنا حتى اللحظة الأخيرة التي يتخلى عنا فيها، ويتركنا للموت، لذلك فلا أشرف من الموت على الفور ودون تأخير، كي لا أرتكب المزيد من الذنوب والمعاصي..

فلا تنسي يا شقيقتي العزيزة أن ممارسة الفحشاء ليست وحدها هي ذنبي الوحيد، فقد سبقها الحادث المتعمد الذي كانت نتيجته كسر ظهر زوج أمنا، والذي أصيب على أثره بشلل رباعي، وتتسول أمنا عليه حتى الآن، ولا تلك العجوز القبيحة التي دفعتها تحت عجلات الأتوبيس بعد أن طلبت مني صدقة، ورددتها بكلمة طيبة، فنعتتني بأقذع الألفاظ، أنت تعلمين ولا ترغبين في الافصاح عن ذلك، لأنك تعلمين أن هناك شيطان زنديق يتلبسني، ويدفعني لكل شر.

وهنا صمتت (بيري)، وكأنها تدير الأمر في رأسها، ثم ظهر على وجهها ملامح، صراع رهيب، واهتزت شفتيها، وكأنها تنتزع الكلمات من أعماقها انتزاعا، وقالت بصوت باك مبحوح:

-أنا لا أرغب في الموت يا (شيري)، أنا لم أحيا حياة سعيدة إلا بقربك برغم كل مساوئك، وأخشى أن يفرقنا الموت، كما

أنني أشعر بأننا سننجو في النهاية، وربما نحيا حياة سعيدة.

قالتها ثم صمتت وهي تتطلع للهوة العميقة برهبة، ثم تنهدت وأضافت:

-لقد كنت أكتم في أعماقي حلمي الكبير، بأن ذلك الساحر الرهيب الذي استطاع ايقاف الزمن، وقهر الموت، بإمكانه أن يفصلنا ويمنح لكل منا جسد خاص به، ويكون لكل منا حياته وخصوصيته وأطفاله، ألم تري كيف كافأ (منير) وأعاد إليه كلبه؟.

انطلقت ضحكة عصبية من بين شفتي (شيري) وقالت في يأس:

-نحن مجرد مجموعة من العبيد الخاضعين له، سيستنزفنا حتى أخر قطرة حياة فينا، ويلقي بنا في الصحراء لتنهش جيفنا طيورها الجارحة، وحيواناتها الكاسرة، أفيقي من أحلامك الرومانسية التي يأتي فيها البطل في النهاية لينقذ ست الحسن، فلا أنت ست الحسن، ولا يوجد بطل هناك ينتظرك، الشيطان لا يفي بوعوده حتى عندما تتحقق أهدافه، لا أمل في نجاة صدقيني، دعينا نذهب بأقل قدر من الآثام، و..

وهنا قاطعهم صوت (ريم) الكئيب، والتي جذبها صراخهم

وحديثهم الصاخب بعد أن استيقظت من النوم، وهي تقول في مقت:

-ولكن هناك أمل ضئيل في النجاة يا (شيري) بالفعل، فأنا بطريقة جهنمية مجهولة أمتزج وعيي بوعي (منير) الفاقد الوعي، وانتقلت من خلال ذاكرته عبر الزمن، ورأيت أجدادنا الذين تمتد هذه اللعنة لعصرهم، وعاصرت ذلك الوغد (الرسول) في شبابه، وكان مشرفا على الموت بالفعل، وأنقذه جد (منير) لذلك لم يعامله بالشدة المطلوبة عندما تمرد عليه في الكهف، وخالف اتفاقه و..

قاطعتها (شيري) في غضب:

-جد ذلك الأحمق هو الذي أنقذه، لأي سبب، وبأي دافع حقير فعل هذا؟ لو أطول رقبته الآن لمزقتها بأسناني.

قالت (ريم) في حيرة:

-إنه ميت الآن على كل حال، ربما فعل ما فعل لأنه طبيب، وقد ألتزم بقسم الأطباء في مداواة الجرحى من الأصدقاء والأعداء.. إنه ذلك النوع من المبادئ المطاطة البغيضة التي تفسد حياة الآخرين دوما.

عقبت (شيري) في امتعاض:

-لو حدث ورأيت هذا البغيض مصابا في أي لحظة لأجهزت عليه، إن الموت للأعداء قانون ثابت لا يجب تميعه.

تنفست (ريم) في قوة ثم قالت بصوت مرهق:

-سبق السيف العزل يا (شيري)، إن هذا البغيض حي يرزق الآن، ويسرق أرواح البشر ويحيا بها.. لا أعرف نوع السحر الذي يمارسه، ولكنه قادر على هذا كما رأيت في عقل (منير).

هتفت (بيري) في دهشة:

-هل يمتص الأرواح كما يمتص مصاص الدماء دماء ضحاياه؟.

هزت (ريم) رأسها بطريقة تنم عن جهلها التام، ثم قالت:

-لا أعرف الوسيلة، ولا كيف يستطيع فعل هذا الأمر المنافي لكل نواميس الطبيعة، ولكني متأكدة من أنه غير خالد، وبأنه يمكن قتله والتخلص منه كأي مخلوق أخر.. وأعرف الوسيلة، فقط لا أعرف كيف يمكن الحصول عليها، ولا أين؟.

ردت عليها (شيري) بقنوط:

-إذا ما الفائدة منها؟.

هزت (ريم) رأسها في حيرة مجددا، ثم قالت في حماس:

-المهم هو الأمل يا (شيري)، الخيط الرفيع الذي تتمسك به (بيري)، وعلينا أن نتمسك به نحن أيضا، لقد ارتكبنا في حياتنا من الموبقات، ما يجعل الجحيم يتزين خصيصا للقائنا، ثم حصلنا على فرصة ثانية للحياة، فلما لا نأمل في فرصة ثالثة؟.

هتفت (شيري) في عصبية:

-هراء.. كل هذا هراء، كل ما أريده الآن هو فرصة ثانية للموت، فرصة أحظى خلالها بالسكينة والراحة، بعد أن تابت روحي عن أفعالها المشينة، وتاقت للقاء ربها.

وهنا كانت (بيري) قد استعادت سيطرتها على الجسد المشترك، بعد أن فترت عزيمة (شيري)، وتلاشت سيطرتها عليه، فابتعدت به عن الهوة العميقة بسرعة، وهي تقول في حذر:

-ولماذا لا تكفرين عن ذنوبك بالقضاء على هذا (الرسول) الداعر؟ ساعتها لن تكون مجرد توبة، بل توبة وعمل صالح.

هزت (شيري) رأسها، وقالت في ضيق:

-لا أحب هذا العبث الغير منطقي يا (بيري)، وماذا لو لم نستطع أن نقضي على هذا (الرسول) الملعون؟ بل وساعدناه

على التمادي في غيه وضلاله، أنا متأكدة من أنه يعدنا لكارثة عظمى، ستكون عواقبها وخيمة.

ردت (بيري) بسرعة:

-لنستمع إلى (ريم)، لعل هناك أمل ووسيلة تجنبنا الوقوع في تلك الكارثة العظمى التي تتوقعينها.

ابتلعت (ريم) ريقها وقالت في تردد:

-إنها وسيلة عجيبة وخطرة ومجهولة و..

وهنا كان (وائل) قد استيقظ، ومن مكان قريب راح ينصت لحوارهم العجيب لبعض الوقت، قبل أن يقرر الانضمام إليهم، وهو يكافح الصداع العنيف الذي يدير رأسه، ويقاطعها قائلا:

-من الواضح أن تأثير ذلك المصباح المنشط العجيب قد انتهى باختفائه، إن (الرسول) يسحب بركاته من حولنا.

أشاحت (شيري) في حنق، وكأنه تستهزأ بحديثه حول بركات (الرسول)، فعاد ليكمل بطريقته المستفزة:

-ما هي الوسيلة العجيبة المريبة التي كنت ستخبريننا عنها يا (ريم)؟ أتمنى أن تكون شيئا حقيقيا ومجربا؟.

ظهر التردد مجددا على وجه (ريم)، لكنها استجمعت شجاعتها وقالت:

-ملخص القصة أن وعيي اندمج مع وعي (منير) لسبب مجهول، وعاصرت (الرسول) في فترة شبابه، وأدركت أن أجدادنا ساعدوه في استعادة بعض مقتنياته، بعد أن جرده منها ساحر فرعوني خطير، أجبره على الكمون لفترة طويلة، وأن نتيجة مغامرته هذه أصيب إصابة خطيرة، وأدركت منها أنه غير خالد، وغير محصن، وأن له نقطة ضعف كبيرة، و..

حدجها (وائل) باهتمام ثم قال بحذر وهو يتلفت حوله، وكأنه يتوقع أن يفاجئهم (الرسول) في أي وقت كما فعل مع (منير):

-وما هي نقطة الضعف هذه؟.

أجابت بحماس على عكس ترددها السابق بعد أن رأت اهتمامه:

-إنه السم الزعاف الذي يقطر من أنياب تلك المخلوقات القزمة المتوحشة، الموجودة في تلك الجزيرة المجهولة التي أنقذت أجدادنا في الماضي من الموت والغرق.

كان باقي الرفاق قد انضموا إليهم وأخذوا يستمعون في غير فهم للحوار العجيب الدائر الذي لم يحضره أحدهم من البداية..

وظهر هذا جليا على وجه كل من (ندى) و(سعاد) و(ياسين)، بينما هز (منير) رأسه دليلا على الفهم، وهو يحاول تهدئة كلبه الذي كان يتقافز من حوله في محاولة منه لإجباره على اللهو معه، بينما هو يكافح الصداع العنيف الذي أحاط بعقله..

في نفس اللحظة التي احتقن فيها وجه (وائل)، واحتبست أنفاسه، قبل أن يقهقه في قوة، وهو يشير بيده إلى الجبال التي تحيط بهم من كل جانب، والهوة العميقة التي أمامهم، ثم قال في سخرية:

-لقد توقعت أنك معتوهة من أول لحظة يا (ريم)، أي جزيرة تتحدثين عنها، ونحن في قلب الصحراء، وأي سم زعاف هذا الذي نستخلصه من أنياب الأقزام المتوحشين الذين كادوا أن يصرعوا (الرسول) في شبابه، وأي أجداد اللذين أنقذتهم الجزيرة، هل أصبت بالخبال فصرت تتوهمين الحكايات الخيالة أم ماذا؟.

ثم صمت لبرهة، وعندما لم يجد منها رد، أضاف مستنكرا:

-أي مستشفى مجانين هذه التي تجمعنا فيها.. واحدة تحدثنا عن بئر مجهول يسكنه الجن وتتوقع أن يرسلنا (الرسول) إليه لاستخراج كنز ملك مدفون في أعماقه، وأخرى تتحدث عن جزيرة مجهولة يسكنها أقزام متوحشون

قادرون عن الفتك بساحر عتيد كـ(الرسول)؟.

وهنا تنحنح (منير)، وكأنه يخشى ممارسة نفس الدور الذي حذره منه (الرسول)، وقال في تردد:

-إنها صادقة في كل ما أخبرتكم به يا رفاق، هناك وسيلة للتخلص من (الرسول) بالفعل والحصول على حريتنا، وليس معنى أننا لا نملكها أنها غير موجودة، أو لا يوجد غيرها، علينا فقط أن نتكاتف معا، ونزيل ذلك الحاجز النفسي الذي وضعه (الرسول) بينه وبيننا، لأن تلك الذكريات التي استفزتها (ريم) في عقلي، تخبرني دون شك أن القادم مفزع ومروع.

وهنا تبادلوا النظرات القلقة، فقالت (ندى) وهي تمسح أثر النوم عن عينها:

-أنا لا أفهم شيئا، لقد حذرنا (الرسول) من الثورة والتمرد، وها أنتم تعقدون مجلس حرب ضده، وتتحدثون عن أشياء عجيبة وخرافية، فهل يتفضل أحدكم ويخبرني ماذا يحدث؟.

وهنا دوى صوت غريب في المكان، يقول بصوت مضطرب، كصوت مدمني المخدرات:

-أنا سأخبرك بما تريدين معرفته، بل سأخبركم بكل شيء.

وما أن وقع بصر (ندى) على وجه هذا الشخص، حتى صرخت من أعماقها، وهي تشيح بيدها، وسقطت من فورها فاقدة الوعي وعلى وجهها ملامح رعب شديد، وكأنها رأت الشيطان نفسه، أو أكثر شيء مفزع في العالم، ولم تتحمل أعصابها الموقف.

وبهدوء شديد قال صاحب الصوت المضطرب:

-أنا (إياد) شقيق (ندى)، أنا البديل.

وشهق الجميع.

الصدمة

بعد أن انتهى (إياد) من حقن نفسه بالمخدر الجديد، حبس أنفاسه لأكثر من نصف دقيقة، ثم أطلق شهقة عميقة، وهو يهتف بصوت منبهر:

-يا للروعة.. ما هذا الصنف الأسطوري؟!!

هذه المرة كان الصنف الذي ابتاعه (إياد) عالي الجودة بشكل لا يمكن تجاهله أو تخيله، لقد اعتاد (إياد) على تعاطي مخدر الميث أو الشبو كما يشتهر في مصر، ولم يكن له منذ فترة مثل هذا التأثير الفوري، أو هذه الأعراض شديدة القوة، ومعنى هذا أن الديلر السابق كان يغشه، ويمنحه مخدر مغشوش أو مخلوط في أفضل الأحوال.

إنها المرة الأولى منذ زمن طويل التي يسرى فيها المخدر في دمائه بهذا الشكل العجيب، بل ويظهر تأثيره في جسده بهذه السرعة والقوة، والمرة الأولى أيضا التي يمنحه فيها هذه الطاقة الهائلة، وهذا النشاط العظيم.

بل وزاد من غرابة الأمر أن ضاعف من شهوته ورغبته الجنسية على عكس تأثير المخدر القديم الذي كان يدخله في حالة من الهدوء والسكينة وارتخاء العضلات، مما دفعه للذهاب من فوره لأم عبير القوادة وأخبرها أنه يريد عاهرتين

معا لقضاء الليلة معه، بعد أن دفع لها ثمن الليلة خاتم والدته الثمين الذي سرقه من دولابها دون أن تدري.

لم تكن المرة الأولى التي يسرق فيها (إياد) أو يتناول هذا المخدر الذي يطلقون عليه في الولايات المتحدة أم المخدرات أو الطاعون الأبيض أو مخدر الشيطان، ذلك المخدر الرهيب الذي قد يؤدى تعاطيه لفترات طويلة إلى الإصابة بالذهان والتلف الدماغي والشلل الرعاش، والذي أنتج مسلسل عظيم حول صناعته تحت عنوان Breaking Bad أو (اختلال ضال).

وما لا يعرفه أيضا أن مدمنو هذا المخدر معرضون لخطر الإصابة بالغيبوبة والجلطات، ويتعرض المتعاطون له بالحقن أيضاً لخطر الإصابة بفيروس الإيدز، وهو ما أصيب به (إياد) ونقله إلى شقيقته التي تجهل كل شيء عن هذا الأمر المخيف، بل ولمعظم عاهراته دون أن يدري، خاصة وأن فترة حضانة فيروس الايدز المميت، تمتد من ستة أسابيع لستة أشهر.

وكان (إياد) قد تعرف على هذا المخدر القاتل بواسطة أصدقاء السوء، الذين أقنعوه بالتجربة، ثم أدمنه فيما بعد، بعد النشوة العظمى التي يمنحها لمتعاطيه في البداية، وكان من أثار هذا المخدر عليه، أن أنحرف سلوكيا وبدأ يعامل

والتي تحول فيها من مدمن مخدرات إلى مجرم عتيد، كان الأب والأم في عالم أخر..

فالأب يقطع الشوارع والأقسام والمستشفيات ليل نهار بعد أن أخذ إجازة مطولة من عمله بحثا عن ابنته الغائبة.

والأم التي تطلقت بالثلاثة، تصطلي بين نار حياتها المنهارة، ولوعة هروب ابنتها التي أصبحت ترى نفسها مشتركة في جريمتها..

بينما (إياد) يقضي نهاره في النوم في غرفة حقيرة مستأجرة، وفي الليل يعود ليرتدي قناعه الصوفي، ويعتدي على الفتيات والعجائز ليسرقهن ويروعهن..

لقد دمر المخدر حياة (إياد)، ومزق شمل أسرته.

بالطبع لم يكن أحد يدري أن (ندى) قد غادرت دولتها بالكامل بصحبة (الرسول)، وأنها تقضي حياتها مع مجموعة من الغرباء، في أحد الكهوف الجبلية باليمن.. وأن ما ينتظرها هو مصير مروع لا تدري له سبب..

حتى جاءت تلك الليلة..

فـ(الرسول) بسبب اختلال ما في حساباته أو قدراته، أكتشف أنه قد اختطف الشخص الخطأ من نسل الرجل

الوقور..

لم تكن (ندى) المقصودة بل شقيقها (إياد)..

خطأ لا يغتفر، ولكن الأخطاء تحدث، خاصة عندما يقترب من استنفاذ أحد الأرواح التي استولى عليها من قبل..

وهو خطأ يمكن إصلاحه ببساطة، ولكنه كان ينتظر جريمة (إياد) الكبرى..

أن يسفك الدماء بيديه، وأن يعتم من الداخل ويسيطر عليه الشر تمامًا، ليكون صالحا لخوض رحلته.

ولأن الوقت ليس في صالحه، والتوقيت عنصر هام في مهمته هذه، فقد راح (الرسول) كشيطان خسيس يوسوس له دون أن يمنحه الفرصة ليراه، وكأنه شيطان حقيقي.

وفي الليلة الموعودة، تعاطي (إياد) كمية شديدة الخطورة من مخدر الميث المرعب، وتوترت أعصابه وصار أكثر نشاطا وتهورا وتحفزا..

ولم يجعل (الرسول) هذه الفرصة الثمينة تفلت من بين أصابعه.

مجرد اختلاف بسيط بين (إياد) وبين أحد رفاقه على غنائم الأمس، أذكى (الرسول) جذوته بوساوسه، وقدراته

العقلية الفائقة، فأشعل معركة هائلة بين اللصين، فاشتبكا بالسلاح الأبيض، كعدوين لا كشركاء في هذا العمل الحقير..

وبتناغم رائع من (الرسول)، ارتفع السلاحان القاتلان، وهبط كل منهما ليخترق صدر الأخر..

نهاية مستحقة للطرفين، لولا أن (الرسول) عاد ليتدخل من جديد.

وبكل هدوء وثقة، استولى (الرسول) على روح اللص الغافل، وتركه جثة هامدة خالية من الحياة، ثم ظهر لـ(إياد)، وعرض عليه الصفقة..

وكانت أسهل عملية تفاوض جرت بينه وبين شخص محتضر، فـ(إياد) لم يكن لديه ما يخسره أو يبكي عليه، بعد أن وصل للدرك الأسفل من مستنقع قذارته.

ووافق (إياد) على كل شروطه دون اعتراض، وعلى الثمن الذي سيدفعه دون جهد، ووقع العقد الدموي الجهنمي مع الرسول.

ذلك العقد الذي تجبره على استخدامه تلك العلوم السوداء القديمة التي أصبح يتقنها من زمن بعيد من أجل تفعيل الروابط والسيطرة على ضحاياه.

والعجيب أنه أثناء ابرام الصفقة، حدث لـ (إياد) تجلي عقلي رهيب، جعل وعيه يمتزج بوعي (الرسول)، وانهمرت على عقله معلومات رهيبة تخص (الرسول) ومدينة جوف الأرض، والأرواح التي استولى عليها، لدرجة أنه علم أن أفراد عصابته كانوا يستعدون للإطاحة به بعد أن زاد طمعه.

بل وعلم بأشياء رهيبة عن (الرسول) وعشيرته وقدراتهم المذهلة، وعن رحلته السابقة والحالية، والفخ الزمني الذي التي علق فيه الرسول، وأسباب كمونه، والساحر الفرعوني الذي كاد يفتك به، بل وعن إصابته هو شخصيا بالإيدز، ونقله هذا المرض اللعين لكل من مارس معهم الجنس، ومن ضمنهم شقيقته.

وكل هذا بسبب المخدر النقي الذي أطلق قدرات عقله الكامنة، عندما حدث بينهم الاتصال العقلي الفائق.

وبرغم كل ما أحاط به (إياد) من أهوال، إلا أنه قرر الاستمرار في عقد الصفقة، فأي خيار غير الموت أفضل بالنسبة له..

وبالطبع علم (الرسول)، بنتائج ذلك الاتصال العقلي، ومن لهجته الغاضبة، أدرك (إياد) أن ما حدث لم يكن له يد فيه..

فـ(الرسول) برغم قدراته المذهلة، يمر بمرحلة من الوهن

وعدم الاستقرار الخلوي، لدرجة أن مقدرته على حفظ أسراره لم تعد بتلك القوة، كما أنه يزداد تأثرا بالمشاعر البشرية، ويفقد جزء من ذاته في كل مرة يستولي فيها على روح جديدة، واستيلائه على مزيد من الأرواح قد يفقده هويته، وبالتالي مهمته.

ظل (إياد) برغم ما حاز من معرفة، يؤمن بكون الأمر يحتوي على خدعة ما.. حتى نقله (الرسول) بقدراته الخارقة إلى الكهف، وقابل شقيقته، وضحيته، وهناك تأكد أنه نجا من موت محقق، ولكن أبواب الجحيم كلها قد فتحت من أجله.

كان اللقاء بينه وبين شقيقته لقاء عاصف، ومؤذي نفسيا وروحيا، فبكل ما بداخل شقيقته من قهر وغضب ومقت حاولت بضراوة أن تنشب أظافرها بعنقه، وهي تنعته بأقذع الألفاظ، وكانت الفكرة التي سيطرت عليها، أنها ترغب في رؤيته ميتا.

صدم تحولها، وثورتها العاتية الجميع، وتضاعفت صدمتهم أكثر، عندما صرخت (ندى) في شقيقها بغضب مستعر:

-أيها الحقير، أيها الفاجر.. لماذا تبعتني إلى هنا؟ ألم يكفيك ما فعلته من فضائح؟ ألم يكفيك أن تعتدي على شقيقتك وتغتصبها، وتجعل سيرتها على كل لسان؟ ليتني استطعت قتلك في ذلك اليوم، ولم أتمكن من رؤيتك بعدها، ولكن

وعدم الاستقرار الخلوي، لدرجة أن مقدرته على حفظ أسراره لم تعد بتلك القوة، كما أنه يزداد تأثرا بالمشاعر البشرية، ويفقد جزء من ذاته في كل مرة يستولي فيها على روح جديدة، واستيلائه على مزيد من الأرواح قد يفقده هويته، وبالتالي مهمته.

ظل (إياد) برغم ما حاز من معرفة، يؤمن بكون الأمر يحتوي على خدعة ما.. حتى نقله (الرسول) بقدراته الخارقة إلى الكهف، وقابل شقيقته، وضحيته، وهناك تأكد أنه نجا من موت محقق، ولكن أبواب الجحيم كلها قد فتحت من أجله.

كان اللقاء بينه وبين شقيقته لقاء عاصف، ومؤذي نفسيا وروحيا، فبكل ما بداخل شقيقته من قهر وغضب ومقت حاولت بضراوة أن تنشب أظافرها بعنقه، وهي تنعته بأقذع الألفاظ، وكانت الفكرة التي سيطرت عليها، أنها ترغب في رؤيته ميتا.

صدم تحولها، وثورتها العاتية الجميع، وتضاعفت صدمتهم أكثر، عندما صرخت (ندى) في شقيقها بغضب مستعر:

-أيها الحقير، أيها الفاجر.. لماذا تبعتني إلى هنا؟ ألم يكفيك ما فعلته من فضائح؟ ألم يكفيك أن تعتدي على شقيقتك وتغتصبها، وتجعل سيرتها على كل لسان؟ ليتني استطعت قتلك في ذلك اليوم، ولم أتمكن من رؤيتك بعدها، ولكن

الوقت لم يفت ستموت اليوم وعلى يدي.

توقعت (ندى) أن يظهر شقيقها بعض الندم، أو يعتذر بأي سبب، ولكنه كان في حالة من عدم الاتزان بسبب المخدر الذي يتعاطاه، فصرخ فيها:

-وهل تعتقدين أن رؤيتك تسعدني أيتها النحس، لقد أحضرني (الرسول) هنا لأنه قرر استبدالك لأنك أنقى وأطهر، وصرت أنا ضحيته الجديدة ذات الروح الأثمة المظلمة، وما لا تعرفونه أنني تواصلت مع (الرسول) عقليا، وأحطت علما بالهول القادم، وبالخدعة التي يمارسها معنا في كل مرة يفشل فيها، إنه قادر على إعادة الزمن وليس إيقافه فقط، وأخبركم الآن أن مصير أسود من قلوبكم ينتظرنا جميعا، وأنه لا يوجد بينكم من هو أفضل مني، إن ما ينتظرنا هو شيء أبشع من الموت.

توتر الجو مجددًا عندما حاولت (ندى) أن تهاجمه مرة أخرى، وتشبثت بها النساء، في حين اقترب منه (وائل) وعلى وجهه ملامح غضب شديد، وبكل ما يمتلك من قوة، انقض عليه، وهو يقول في كراهية ومرارة:

-أي شيطان لعين أنت لتعتدي على شقيقتك، هل وصلت بك السفالة والنذالة لتقوم بمثل هذه الفعلة الشنعاء؟.

وقبل أن يجيبه (إياد)، كان قد منحه ضربة عنيفة برأسه أسقطته أرضا، ثم انقض عليه بعدها، وجثم فوقه، وأخذ يكيل له اللكمات حتى شوه ملامحه وأغرق وجهه بالدماء، دون أن يتحرك لنجدته أي من الموجودين في المكان، وكأنهم جميعا قد اتفقوا على أنه يستحق ما يحدث له وأكثر، في حين أخذ كلب (منير) ينبح في قوة، وكأنما أعجبته المعركة الدائرة، والتي هزم فيها الزائر الجديد.

ومن شدة غضب (وائل) استمر في ضربه حتى بعد فقدانه الوعي، وكأنه ينتقم منه لسلبه حبيبته، ولفعله هذا الفحش المحرم، الذي لن يجعله يستطيع تقبل وجودها في حياته، كعادة كل الذكور الشرقيين، لو كتبت لهم نجاة من هذه الرحلة المشؤومة.

وعندما كلت يد (وائل)، صاح في غضب:

-لو كان الأمر بيدي لقتلته، ولكني لن أحمل إثم حقير مثله.

وهنا تملصت (ندى) من بين الأذرع التي تمسكها، ثم انقضت على جسد أخيها الممدد، فاقد الوعي، وأخذت تركله بكل قوتها، وهي تصرخ في ثورة:

-بل أنا التي ستقتله إنه لم يعد شقيقي.. لم يعد شقيقي.

وبرغم حركته البطيئة، الناتجة عن وزنه الزائد، ولكن

(منير) أخذ المبادرة وأحاطها من وسطها بذراعيه، وهو يحاول تهدئتها قائلا بصوت مؤازر:

-توقفي يا (ندى).. توقفي.. أنا مقدر كل ما عانيتيه، ومن كون هذا الحقير شقيقك، ولكنك ستقتلين مصدر معلوماتنا الوحيد، إنه يملك من المعلومات ما لا نملكه جميعا.

صرخت (ندى) بوحشية، وهي تحاول التملص من بين يديه، قائلة:

-إنه لا يستحق إلا الموت، لقد دمر حياتي ومستقبلي، وقادني القدر إلى هنا بديلا عنه لأتعذب وأدفع ثمن جرائمه، إنه ليس أخ.. ليس أخ.. بل لعنة يجب أن تنتهي الآن.

وقبل أن يتخذ أي منهم أي رد فعل أو ينطق بكلمة تهدئ من ثورتها، انبثق النور من العدم، وظهر بينهم (الرسول)، بنفس الطريقة المبهرة، وهو يصرخ في صرامة:

-كفى.

وعلى أثر صرخته تجمد المشهد لعدة ثوان، وازدادت ضربات القلوب، قبل أن يغلب (ندى) ثورتها وغضبها، لتنقض مجددا على شقيقها الفاقد الوعي رغبة منها في التهام حنجرته بأسنانها.. ليشير نحوها (الرسول) بعصاته في غضب أكبر، فتطير كأن لا وزن لها، لترتطم بجانب الكهف في

عنف شديد، وتصاب برضوض عنيفة، وهو يقول بصرامة مضاعفة:

-قلت كفى.

سقطت (ندى) على أرض الكهف الصخرية وهي تتلوى من الألم، وهم (وائل) وبعض النساء بالاندفاع نحوها لمساعدتها، ولكن (الرسول) صرخ بهم:

-اتركوها إنها لم تعد أحد أفراد فريقنا، لقد أتى البديل.

وهنا هزم (وائل) خوفه، وبصق على الأرض وهو يهتف:

-لن أذهب مع هذا الحقير إلى أي مكان.

وكأنما فجر قنبلة من الصمت في المكان، فساد صمت رهيب، حتى الكلب الذي وترته الأحداث السابقة توقف عن نباحه، وتوجهت جميع النظرات نحو (الرسول) الذي لم يغير من وقفته وهو يشير إلى (وائل) وعيناه تشتعلان بنيران الغضب ويقول:

-اركع.

للحظة اجتاحت (وائل) فورة شجاعة مفاجئة، وكاد أن يعود من جديد إلى تمرده، ثم تذكر تحذير (الرسول) السابق، فمنح (ندى) نظرة منكسرة، ثم جثا على ركبته وركع أمام

(الرسول)، الذي ازدادت ملامحه ظلاما، وهو يشير بعصاته نحوهم، ويقول بصوت مهدد:

-جميعكم.

وبدون لحظة تردد ركع الجميع أمامه في مشهد رهيب، يعبر عن أعتى درجات الذل والاستسلام والمهانة، ثم استدار نحو (ندى) وقال في مقت:

-لا أحد يعصي أوامر (الرسول) مهما كانت، لقد انتفت الحاجة لوجودك، وحكمي عليك نافذ.. وقبل أن تتهوري أو تفكري في المقاومة، فلتعلمي أن شقيقك بفعلته الرهيبة معك، لم يمنحك العار والفضيحة فقط، بل نقل إليك أبشع أمراض عالمك، وحياتك خلال عدة أسابيع كانت ستتحول إلى جحيم من الألم والنبذ والمعاناة، و..

قاطعته (ندى) في ذهول صارخة:

-ماذا تقول؟ أي مرض هذا؟.

أدار (الرسول) بصره بين رفاقها الذين حبست أنفاسهم، قبل أن يستقر على وجهها ويقول بكل هدوء:

-الإيدز.

شهقت في قوة، وتراجعت إلى الخلف غير مصدقة، في

حين هتفت (سعاد) في جزع:

-يا إلهي.

بينما سلط (وائل) بصره على وجه (إياد) المهشم، وأخذ ينظف آثار الدماء عن يده في جنون، وهو يصرخ في غضب:

-أيها الحقير.

في حين عاد (الرسول) ليقول بصوت مخيف:

-وأنت الآن أيتها الجميلة، مجرد جثة تسير على قدمين، ولن يسمح الوقت بأن أعيدك إلى لحظة موتك، لذلك تنتهي رحلتك هنا.

صرخت في هلع:

-لا.. الرحمة.. لا أريد الموت بتلك الطريقة المؤلمة.

وقبل أن تتحرك، أو يتحرك أي من رفاقها لنجدتها، رفع (الرسول) عصاته نحوها، فانبثق منها شعاع من الضوء المركز، أصابها في صدرها، فأخذت تصرخ بشكل غير آدمي، وهي تشعر بجسدها يحترق من فرط البرودة التي أصابتها..

وبعيون خائفة مذهولة، شاهد رفاقها ما يشبه الطيف النوراني ينفصل عن جسدها، ويحتويه ضوء العصا المتوهج، قبل أن يصرخ (الرسول) صرخة مكتومة متألمة، ويحتوي

في جسده هذا السيل من الضياء، وهو يقول في ظفر ونشوة:

-الآن نبدأ رحلتنا.

ثم أشار بعصاته إلى جسد (إياد) الممدد على الأرض كجثة فقدت الحياة، فأحاطت به هالة أخرى من الضياء، وأخذت تتوهج بقوة بضوء متصاعد، وإصاباته الدامية تختفي تدريجيا حتى عادت بشرته لحالتها الأولى، لينتفض في مكانه ويشهق في قوة ليسمح للهواء البارد أن يمر عبر رئتيه..

ليتلاشى ضوء العصا تدريجيا، ويهب (إياد) واقفا على قدميه، وجميع الأنظار مثبتة على وجهه، ليستدير بعدها (الرسول) مغادرا الكهف، وهم يتبعونه كقطيع من الأغنام لا إرادة لها، وجميعهم يرمقون جثة (ندى) الفاتنة، التي انتزع منها الموت كل جمال وفتنة.

وبعدها أصابته نوبة شرود عميقة استمرت لعدة دقائق، وعندما استفاق منها أشار إلى جانب أحد الحوائط الصخرية المجاورة لمدخل الكهف، فأخذت الطبقة العلوية من الصخور تتقشر وتتساقط كطلاء قديم تعرض لضربات عاتية.. ليظهر من أسفلها نقش دائري بارز لتلك الأفعى المجنحة الصارخة التي تزين وشم رأسه.

فرد يده، ووضع كفه في منتصف النقش الحجري، وهو يدمدم ببضع كلمات، وعلى أثرها انشقت الصخور العملاقة التي يقاس وزنها بالأطنان، وتباعدت فيما بينها، وهي تصدر صريرًا مرتفعًا، وكأن مزاليج بوابة قديمة صدئة تفتح بعد عدة قرون من الكمون، لتكشف عن طريق جبلي ضيق شبه ممهد، يمتد ورائها إلى مدى البصر، ويطل على الهاوية من الجانب البعيد من الجبل، والرسول يقول في جدية:

-هذه البوابة هي بداية رحلتنا الحقيقية، وهي رحلة ليست بالهينة، وما يربطنا الآن هو شيء أقوى من كل الصلات، فهلاكي لأي سبب من الأسباب، يعني هلاككم، وفشلكم يعني موتكم، وكل ما مضى كان مجرد إعداد للقادم، والآن كل منكم مهيأ ليكتسب قواه الخاصة التي ستمهد لنا الطريق عبر المتاهة، إلى المدينة المقدسة الأخيرة.

رمقوه جميعا بنظرات تحمل من عدم الفهم، أكثر مما تحمل من الخوف، ثم تشجع (منير) وقال:

-هل تتحدث عن أطلانتس، لقد غرقت هذه المدينة في أعماق المحيط، فلماذا نبحث عنها في قلب الصحراء، ما معنى هذا الكلام؟.

تقدمهم (الرسول) نحو الطريق الضيق، وقد استطالت

العصا في يده، وأخذ يستخدمها كمجس يتأكد به من صلابة الطريق الذي يسيرون فوقه، وهو يقول بصوت عميق:

-معناه أني أنتظر منكم الكثير، فاتبعوني.. أطلانتس لم تكن كما تعتقدون، ولكن المدينة المقدسة حقيقة تتخطى خيالكم.

وهنا هتف (ياسين) دون تفكير:

-هي إذن بئر برهوت الملعونة!.

وعلى أثر كلماته تجمد (الرسول) في مكانه للحظة قبل أن يقول:

-لو أن تفكيركم أوصلكم لهذه النقطة، فنحن على الطريق الصحيح، ليس البئر هو وجهتنا، بل ما تحته.

وساعتها ترددت فكرة واحدة في رؤوس الجميع: لقد نجت (ندى) من هذا الجحيم بموتها.

وبكل استسلام حملوا على ظهورهم تلك الحقائب التي ظهرت لهم من العدم، وتبعوه نحو الطريق المخيف، الذي يحتاج فقط لبعض الريح القوية، لتبلعهم الهاوية في أعماقها..

أصابهم المشهد برهبة عظيمة، وتبادلت (شيري) و(بيري) بعض الأفكار السوداء عن المصير والنهاية، وهم يتقدمون

جميعا في طريقهم عبر ذلك الفخ الحجري، دون أن ينتبه أحدهم إلى أن الصخور التحمت من خلفهم وكأنها لم تنشق، ولم يعد هناك أي طريق للعودة.

زواحف بشرية

تقدم الرفاق السبعة صامتين، واجمين، قاطعين ذلك الطريق الجبلي المنحدر خلف (الرسول) بخطوات بطيئة حذرة، وفي المؤخرة كان (منير) يلهث، ويفكر بعقله الذي لا يهمد عن الكيفية التي سيقودهم بها هذا الطريق الخارجي المنحدر، إلى أعماق بئر برهوت الملعون، وما تحته؟!

فالطريق برغم منظره المفزع، مجرد شريط صخري جانبي ممهد بالقرب من قمة أحد الجبال المجهولة، والطريق إلى البئر المقصودة معبد ويمكن الوصول إليه بالسيارة، كما علم من محاولات استكشافه..

فهل سيقفزون في مرحلة ما إلى أعماق الهوة السحيقة؟

إنه طريق مثالي للموت، ويمكن لأرواحهم المظلمة العبور إلى قلب البئر ببساطة، لو صدقت الإشاعات التي تدور حوله..

ولما لم يجد إجابة منطقية، أخذ ينظر للهوة السحيقة في قلق، وخوف غامض يتسلل إلى أعماقه، ويزيد من معاناته، عندما فاجئه صوت (ريم) الصارخ، وهي تهز رأسها في جنون، وكأنها تحاول طرد أفكار عديدة لا تستطيع السيطرة عليها أو إيقافها وهي تقول في حيرة واستنكار:

-لا يمكن أن تكون كل هذه المشاهد التي تتدفق إلى عقلي مجرد أوهام، إنها ليست المرة الأولى التي أعاصر فيها كل هذا الهول.. ليست المرة الأولى! لقد مررت بكل هذا الجحيم من قبل، وعبرت هذا الطريق بصحبتكم من قبل، وقمت بكل ما أقوم به هنا بشكل متكرر مستفز، وهي ليست تخيلات أو محض هلاوس، فهناك شيء يتربص بنا، لا أعرف ما هو ولكني أشعر به يقترب، ولن ننجو منه جميعا.

كادوا أن يتوقفوا ليناقشوا ما تقول، فنهرهم (الرسول) وصرخ بها في غضب:

-اصمتي أيتها الثرثارة، وإلا تحققت كل أوهامك.

ألجم حديثه لسانها، ولكن رؤى مفزعة غارقة في الدماء هاجمتها، رأت فيها رفاقها يتمزقون على قارعة هذا الطريق الصخري الملعون، ورأت نفسها تصاب إصابة فادحة وتحتضر، و(الرسول) يهاجمه مخلوق عجيب غير محدد الملامح، ويجهز عليه، ويسقطان معا في الهوة العميقة، كل هذا مع حديث (الرسول) أرعبها، فانكمشت في نفسها، وواصلت الطريق وهي تتوقع في كل لحظة أن تختطفها قبضة الموت، لدرجة أنها لم تلحظ (منير) الذي كان يختلس النظر إليها على فترات، وهو يدير حديثها في ذهنه، ويسترجع عبارة محددة قالها (إياد) قبل أن يهشم (وائل)

وجهه:

(وما لا تعرفونه أنني تواصلت مع (الرسول) عقليا، وأحطت علما بالهول القادم، وبالخدعة التي يمارسها معنا في كل مرة يفشل فيها، إنه قادر على إعادة الزمن وليس إيقافه فقط).

وفي اللحظة التالية تجمعت في ذهنه كل الخيوط، وبرق الحل في رأسه، كما يحدث مع أبطال الروايات البوليسية، ووجد نفسه يشهق، وهو ينظر لظهر الرسول في غضب ممزوج بالدهشة.

فقدرة (الرسول) على إعادة الزمن – لو صدق (إياد)- وهو لا يملك أي أسباب ليكذب، تجعله قادرًا في كل مرة على إعادة الرحلة من البداية في حالة فشلها، أو عدم تحقيق أغراضها، أو حدوث خطأ ما، مع إصلاح هذا الخطأ، وهذا معناه أنه قد يكون قد أجبرهم على القيام بهذه الرحلة المشؤومة عدة مرات من قبل، ولذلك هو شديد الحزم معهم، لأنه لا يرغب في المزيد من الأخطاء، لأن الوقت لسبب ما ليس في صالحه، وهو لا يفهم هذه النقطة فقط، ولكنه لو فكر فيها لوجد أن تكرار الرحلة قد يكون له أثر سيء على (الرسول) أو عليهم جميعا.

وما يدعم فكرته أن (ريم) متيقنة من مرورهم بهذه الرحلة من قبل، وهذا معناه أن الأخطاء واردة، وأن الفشل متكرر،

وكل ما يشغل تفكيره الآن، هو مصيره في كل رحلة سابقة..

كان يرغب في مشاركة الأمر مع رفاقه، ولكنه جبن عن كشف أسرار (الرسول) القادر بلا جهد على دفنه حيا بأعماق الهاوية، ولذلك لاذ بالصمت، ونكس رأسه وسار بجوار الجدار الصخري بعد أن صار لديه فزع غير مبرر من السير بالقرب من الهاوية..

وفي الوقت الذي كانتا فيه (شيري) و(بيري) تناقشان فكرة إصابة (ريم) بالجنون أو الخبال، كان (ياسين) يتحسس الجدار الصخري العجيب الذي يسيرون بجواره، هابطين نحو سفح الجبل أو ما هو أسوأ، والذي ظهر أمام بصره أملسا بشكل لا يمكن أن يوجد في الطبيعة، وكأنما تم صقله منذ فترة ليست ببعيدة، وإن شوه مظهره العديد من الخدوش العشوائية العميقة، والغائرة مجهولة المصدر في أماكن متفرقة منه، والتي بدت لعينيه وكأنها صنعت بعشرات من الآلات المسننة الحادة.

المكان كله عجيب ولا يعرف كيف لم تلتقطه الأقمار الصناعية التي تجوب العالم بلا انقطاع، وكيف لم يسجل وجوده كحدث أثري فريد من نوعه، فحجم الجدار هائل ولا يمكن إخفائه، وسيظهر من على بعد عدة كيلو مترات للناظرين، وربما مع بعض التدقيق يظهر للفاحص أنه ليس

من صنع الطبيعة، فالطبيعة عشوائية في تعاملها مع الصخور والتضاريس، بينما الجدار، والشريط الصخري الذي يسيرون فوقه مصقولان وممهدان بشكل لا يمكن أن يحدث في الطبيعة، لقد تم بفعل فاعل، فهل كانوا الجن؟

لا يعرف لماذا تبدوا له الفكرة غريبة، ولكنه لو وضعها بجوار فكرة أن من حفر بئر (برهوت) هم الجن، فستكون أقل غرابة، وربما هذا طريق سري للوصول إلى كنوز البئر، وإن جعلته فكرة أن المكان محاط بالجن يتوتر أكثر.

وهذا دفعه ليعيد مسح المكان ببصره، وهو يتخيل نفسه يعود إلى الحضارة والمدنية حاملا معه هذا الكشف العظيم، ولكنه شعر بوحشة كبيرة، فالمكان على الرغم من هدوئه، يحمل طاقة سلبية هائلة، مما جعل شعور عارم بالغربة يتسلل إلى أعماقه، وكأنه حبيس كوكب مهجور، أو أرض منسيه لم تطأها أقدام البشر منذ عشرات القرون.

وبكل رعب نظر (ياسين) بطرف عينه إلى الهاوية ثم قال بتوتر:

-أي طريق هذا؟.

اقتربت منه (سعاد) بخطوات حذره متلهفة، وبدون خجل أو تردد، قبضت على أصابعه الباردة، فتشبث بها كطفل خائف

ينشد من أمه الحماية، وهي تقول في احباط:

-إنه الطريق نحو مدينة الموت.

وبرغم ما يغشاه من خوف وقلق وأفكار، ضغط (ياسين) على يدها برفق، وقال بصوت حاول جعله طبيعيا:

-لا تفقدي الأمل بسرعة يا (سعاد) إنني أعتمد عليك، لقد نجونا حتى الآن، كما أننا معا.

حاولت (سعاد) أن تبتسم من حديثه الرقيق، ولكنها لم تستطع، في حين أشار (ياسين) نحو الطريق الممهد، وقال مشجعا:

-سيكون كل شيء على ما يرام يا حبيبتي.. فقط لو قهرنا خوفنا، ودعمنا بعضنا البعض، فبرغم حديث (ريم) الجنوني وتحذيرات (الرسول) المفزعة، فمن الواضح أن هذا الطريق المهجور آمنا إلى حد كبير، وربما حرص من أنشأه في العصور الغابرة على سريته، فغطوا مدخله بهذه الصخور ذات النقوش درئا لخطورته، كي لا يغري أحد بعبوره، إنه على كل حال مجرد شريط صخري ويتجاوز المتران عرضا، وهو كاف لعبور آمن..

تنهدت (سعاد) ورددت في يأس:

-عبور آمن إلى أين يا (ياسين)؟.

حار (ياسين) في العثور على الإجابة، وفكرة أن الجن يحيط بهم تلعب بأعصابه، فاكتفى بأن ضغط على أصابعها بطريقة حميمية، دون أن ينبس ببنت شفه، فلم يكن يمتلك أي إجابة مريحة أو شافية، وبأعماقه تضاعف إحساسه بالوحشة، وهذا جعله يتطلع في يأس نحو رفاقه السائرين أمامه في صمت، وكل منهم يحمل تلك الحقيبة التي منحها لهم (الرسول) وكأنهم في موكب جنائزي، محاولا إبعاد أفكاره السيئة عن رأسه الذي يكاد يشتعل من تضاربها.

وعندما وقع بصره على (الرسول) الذي يتقدمهم بخطوات ثابتة، بدا له من ظهره، مجرد عجوز بشري واهن لا حول له ولا قوة، يتوكأ على عصاه، ويكفي دفعة بسيطة لتستقر جثته في قرار الهاوية وتنتهي مشاكلهم..

ولكنه لم يجرؤ على التصريح بأفكاره هذه، وعاد يتفحص الجميع ببصره..

فخلف (الرسول) كان الحقير (إياد) الذي حاول أن يتجنب أي احتكاك بينه وبين باقي الرفاق، الذين كانوا يعاملونه ككلب أجرب بعد أن علموا بإصابته بذلك المرض الخطير، في حين كان (وائل) يمشي خلفه بطريقة ميكانيكية مثيرة للشفقة، وكأنما فقد إحساسه بكل شيء حوله، تلاهم (شيري)

و(بيري) و(ريم) اللائي كسى الرعب وجوههن، وفي المؤخرة كان (منير) الذي بات يلهث بسبب وزنه، وثقل الحقيبة التي على ظهره، ومشاكسات كلبه التي لم تنقطع، والذي يتبعه كظله.

لم يكن الطريق مريحا برغم كونه ممهدًا، ومع سيرهم البطيء الحذر انتشر التوتر بينهم كالوباء، خاصة مع انفلات أعصاب (ريم)، والتي صاروا يتشاءمون منها كالبومة.. والتي لا تنفك تردد أنها عاصرت كل هذا من قبل، وأن الموت قادم، وهذا دفع كل منهم ليفكر في أن (الرسول) يخفي عنهم شيء مروع بخصوص هذا الطريق..

ولكن بعد مرور أكثر من ساعتين في أمان تام؛ صار الطريق أقل رهبة، وأكثر تشجيعا للسير بخطوات أسرع، وحثهم هذا الأمان الزائف على تجاهل ريم وعدم مناقشتها، كما أن الشمس التي استدارت حول الجبل وأصبحت بمحاذاتهم، أشعرتهم ببعض الحميمية، فواصلوا رحلتهم المرهقة.

الشيء المحير في الأمر، أن الطريق كان يبدو أطول من المعتاد بشكل غير مفهوم، وكأنهم كلما قطعوا متر منه إلى أسفل زاد طوله متران، واستطال أكثر، وكأنهم لا يتحركون عبره بشكل حقيقي، ولا يحققون أي تقدم ملموس.

بينما الشي المخيف، أن (الرسول) بات يتوقف كل نصف

ساعة لعدة ثواني، ويتحسس الجدار الذي بدأت خدوشه وندوبه تتضاعف وبدأ يفقد مظهره المصقول، ويضع أذنه على الجدار الصخري منصتا لشيء مجهول، أثار فزعهم دون معرفته..

وعلى الرغم من خوفهم الداخلي المتصاعد حاولوا استغلال فترات توقفه لالتقاط أنفاسهم، ولكنهم قبل أن يتمكنوا من هذا، يعود (الرسول) ويستحثهم على مواصلة السير، مشددا على ألا يصدروا أدنى صوت، وأن يتحركوا بخطوات هادئة محسوبة، وكأنه لا يرغب في كشف موقعه لعدو مجهول يخشاه بشدة.

وبدون نقاش نفذ الجميع تعليماته بمن فيهم (وائل) الذي غاب عنه شروده أخيرا، وعادت له نظراته الطبيعية، وإن كسا وجهه حزن لا مثيل له، لدرجة أن (بيري) لمحته يمسح دمعة فارة من عينيه، فترحمت في سرها على (ندى) التي تركوها خلفهم في الكهف جثة هامدة، وهي ترمق شقيقها الوغد الذي يمشي بخطوات غير متزنة بنظرة كراهية عميقة.

مع مرور المزيد من الوقت، وظهور التعب والإرهاق عليهم، بدأوا يفقدون توترهم، وتتوقف عقولهم عن أفكارها المضطربة، ليوفروا طاقتهم من أجل أقدامهم التي تئن من قطع هذا الطريق الذي أصبح أكثر انحدارا.

بل وبدأوا في تجاهل تعليمات (الرسول) المشددة، وتبادلوا بعض الأحاديث العامة بشكل هامس، دون أن يتبادلوا أفكارهم أو مخاوفهم أو وساوسهم بشأن الطريقة الغريبة التي يتفحص بها الرسول الجدار، فبرغم مضي أكثر من ست ساعات، لم يحدث شيء أو يظهر ذلك العدو الوهمي، الذي أوحت إليهم بها أفعاله.

وفجأة، ودون مقدمات، انتفض جسد (ريم) في قوة، وكأنما أصابتها صاعقة خفية، وأطلقت شهقة عميقة، ثم سقطت أرضا، وقد انقلبت عيناها التي اختفى سوادها، وأخذت تزوم، كليث محتضر، وقد أحاطت رأسها بيديها، وقبل أن يهم أحدهم لنجدتها، هبت واقفة على قدميها وصرخت بكل قوتها، وهي تشير نحو الجدار بجنون:

-احترسوا، إنني أراهم.. إنهم حولنا في كل مكان، يزحفون فوق الجدار الصخري.. إنهم مخيفون.. مخيفون جدًا.

ساد التوتر على الفور في أجساد رفاقها، وطفقوا يتلفتون حولهم في هلع، متوقعين هجوم العدو الغادر الذي تجاهلوا وجوده بحماقتهم، دون أن تقع أبصارهم على أي شيء مما تدعي (ريم) وجوده..

فلا شيء حولهم غير الصخور..

والمزيد من الصخور..

ولكن (ريم) عادت لتصرخ كالملسوعة، لتثير جنونهم:

-إنهم يزحفون بأجسادهم الضخمة كالسحالي على الجدران الحجرية صعودا وهبوطا دون أن تأثر عليهم الجاذبية، إنني أراهم الآن بوضوح أكثر، يا إلهي.. إنهم يتجمعون، وبعضهم ينظر نحونا بعدائية.

ثم أنهت عباراتها، وأخذت تحدق صوب الجدار في رعب متصاعد، قبل أن تقول بصوت ملتاع:

-رباه.. لقد رصدوا وجودنا.

توتر (ياسين) في مكانه وعيناه تفحصان مرارا الجدار الصخري الخالي، في حين التصقت به (سعاد)، التي شعر بدقات قلبها ترتفع لأقصى مدى، وهو يهتف في جزع:

-إنه ليس وقت العبث يا (ريم)، كفي عن أحاديثك المخبولة هذه، من هؤلاء الذين يزحفون كالسحالي، وكيف لا يراهم أحد غيرك؟.

صرخت (ريم) في قوة، وهي تشير بيدها إلى مكان خال على أطراف الجدار الصخري، وهي تتراجع نحو حافة الهاوية بغير وعي:

-احترس أيها (الرسول) إنهم يتوجهون نحوك، إن يحاولون النيل منك، إنهم يتذكرونك.

لم يتحرك (الرسول) من مكانه قيد أنملة، وهو يسألها بلهجة حازمة:

-صفي لي أشكالهم بسرعة، وأخبريني ما لون أعينهم؟.

تأرجحت (ريم) أثناء تراجعها المضطرب على الحافة الصخرية، فاندفع نحوها (ياسين) وجذبها من يدها لتبتعد عنها، ولم تنتبه هي لما حدث وعيناها معلقتان بتلك المخلوقات الحرشفية الخفية التي لا يراها أحد غيرها، ثم وجهت حديثها للرسول، بصوت يحمل كل فزع الدنيا:

-إن لهم هيئة محيرة أيها (الرسول)، فهم عمالقة يشبهون في تكوينهم الخارجي البشر، بأطرافهم الأربعة طويلة الأصابع التي تنتهي بمخالب حادة يتشبثون عن طريقها بالجدار الصخري، ولديهم بشرة لامعه مكسوة بحراشيف خضراء كالأسماك، وعيونهم خضراء زاهية ومشقوقة طوليا كالزواحف، وكأنهم سحالي بشرية.

هز (الرسول) رأسه بطريقة تنم عن سابق معرفة بما تتحدث عنه، ثم قال في اهتمام، وهو يتشمم المكان من حوله:

-ألا يوجد بينهم من يحمل أعين حمراء؟.

عادت (ريم) تتفحصهم في رعب مضاعف، ثم قالت باضطراب وهي تتحرك بطريقة عصبية، وكأنها تتفادى عدو مجهول:

-لا.. جميعهم عيونهم خضراء مشقوقة بشكل مفزع، وجميعهم يتطلعون نحونا بغضب وكراهية تامة، ومازالوا يحتشدون باتجاهك، وكأنك تجذبهم بشكل خاص.

قالتها ثم صمتت للحظات تلتقط فيها أنفاسها، ثم عادت وسألته في توتر:

-من هؤلاء أيها (الرسول)، وماذا يريدون منا، ولماذا لا يراهم أحد غيري؟.

تجاهلها (الرسول) لبعض الوقت، وهو مستمر في تشمم الهواء من حوله، وهو يتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة كعادته، قبل أن يشير بعصاته نحو الجدار الصخري الذي تتجمع عنده تلك الزواحف البشرية والتي أصبحت عيونها تلمع في جشع ووحشية، وكأنه يراهم، لينطلق منها سحب من بخار فضي كثيف أحاط بتلك الزواحف، وأجهض تقدمهم نحوه، وأصابهم بجنون هادر.

راحت (ريم) تشاهد ما يحدث بذهول، ورفاقها يتابعون

ما يقوم به الرسول في رعب عظيم، وانتفضوا جميعا حينما دوى صوت يشبه هزيم الرعد، وسرت بين سحب البخار الفضي نفسه شرارات كهربية صاعقة تشبه البرق، جعلت للجو رائحة احتراق كهربي كريه..

وتوتر الهواء من حولهم، وكأنما صار هو نفسه مشحونا بالكهرباء، ثم انطلق ألعن وأبشع خوار وصرخات وحشية متألمة يمكن أن تسمعها في حياتك، وكأن سحب البخار تحرق تلك الكائنات الخفية التي تدعي (ريم) وجودها..

وعلى أثر تلك الصرخات المروعة دوت فرقعة عنيفة أخرى تردد صداها في المكان، وتشتت البخار للحظات خاطفة، وانكشف الحجاب الذي يخفي تلك الزواحف البشرية، وظهروا لعيون الجميع..

وشهق الجميع في فزع.

كانوا أكثر بشاعة وضخامة مما تخيلته عقولهم، بعد وصف (ريم) لهم..

وقريبين منهم بشكل مرعب..

ولم تكتفي تلك الزواحف البشرية الغاضبة بالدفاع عن نفسها، ومحاولات الهرب من بخار (الرسول) الصاعق، بل انتقلت على الفور وبوحشية هائلة للهجوم..

ما يقوم به الرسول في رعب عظيم، وانتفضوا جميعا حينما دوى صوت يشبه هزيم الرعد، وسرت بين سحب البخار الفضي نفسه شرارات كهربية صاعقة تشبه البرق، جعلت للجو رائحة احتراق كهربي كريه..

وتوتر الهواء من حولهم، وكأنما صار هو نفسه مشحونا بالكهرباء، ثم انطلق ألعن وأبشع خوار وصرخات وحشية متألمة يمكن أن تسمعها في حياتك، وكأن سحب البخار تحرق تلك الكائنات الخفية التي تدعي (ريم) وجودها..

وعلى أثر تلك الصرخات المروعة دوت فرقعة عنيفة أخرى تردد صداها في المكان، وتشتت البخار للحظات خاطفة، وانكشف الحجاب الذي يخفي تلك الزواحف البشرية، وظهروا لعيون الجميع..

وشهق الجميع في فزع.

كانوا أكثر بشاعة وضخامة مما تخيلته عقولهم، بعد وصف (ريم) لهم..

وقريبين منهم بشكل مرعب..

ولم تكتفي تلك الزواحف البشرية الغاضبة بالدفاع عن نفسها، ومحاولات الهرب من بخار (الرسول) الصاعق، بل انتقلت على الفور وبوحشية هائلة للهجوم..

وانقضت عليهم دون هوادة، في محاولة للفتك بهم..

وعلى الفور تراجع الرفاق بشكل عشوائي، لدرجة أن (منير) أوشك أن يدهس كلبه، و(سعاد) كادت تسقط في الهوة العميقة، وطاح (وائل) ليسقط على وجهه بعد أن أصابته مخالب أحد تلك المخلوقات المروعة في صدره، والتي حاولت أن تكثف هجومها ضده بعد أن أثارتها رائحة دمائه، ولم يحول بينه وبينها إلا سحب البخار الصاعق..

وبرغم الألم البادي على وجوه تلك الزواحف العملاقة، وصرخاتهم التي تصم الآذان، ولكنهم كانوا يحاولون دون هوادة أن يتخطفونهم بشتى الطرق، والبخار الصاعق يدفعهم بعيدًا، وكأنه يتفاعل مع ما يحدث، أو أنه بخار ذكي يبدل استراتيجيته مع تطور الهجوم.

وبعد محاولات عديدة من تلك الزواحف البشرية، وركض وصراخ وتقهقر عشوائي بين الرفاق، أصيبت (سعاد) هي الأخرى في كتفها بمخلب أحد هذه الزواحف، وإن حمتها الحقيبة التي تحملها على ظهرها من عدة إصابات أخرى، حاول أن يلحقها بها نفس الزاحف.

وكاد الأمر أن يمر بأقل الخسائر، لولا أن نجح أحد تلك الزواحف المخيفة في انتزاع كلب (منير) من وسطهم،

وهرب به وسط صراع رهيب بين الزاحف وأقرانه للظفر بقطعة من جسد الكلب المذعور، وسط دهشة وذهول من الجميع، ومحاولتهم البائسة للهرب هابطين في ذلك الطريق الضيق المنحدر شديد الخطورة..

ويبدوا أن ظفر تلك الزواحف البشرية بالكلب قد أثار شهيتهم، فكثفوا هجومهم على الجميع، بعد أن أسال لعابهم رائحة دماء الكلب، ولكن البخار الذي عاد وأطلقه (الرسول) أخذ يصنع بينهم وبين الرفاق المذعورين درعا كثيفا لا يمكن اختراقه، ثم اندفع يطارد تلك الزواحف البشرية بعد أن تضاعفت تلك الصواعق التي تتفجر من خلاله، مما أجبر الزواحف المهاجمة على الهرب في النهاية، وأنهى المعركة الدائرة، ليعود الصمت الرهيب إلى المكان..

الصمت الذي يحمل تلك الرائحة الكريهة..

رائحة الخوف..

وبعد أن اختفت تلك الزواحف، وتلاشى البخار المخيف، ظل (منير) يتطلع في ذهول إلى الجدار الصخري الخالي، وفكرة واحدة تلح في رأسه، أن (الرسول) أعاد إليه الكلب ليعاقبه، وأنها كانت مكافئة خادعة، مما جعله يتوتر وهو يقول في صدمة:

-لقد فتكوا بكلبي.. وكادوا أن يفتكون بي، أنت فعلتها أيها النذل؟.

رد (الرسول) بغضب:

-لقد افتدى الكلب عنقك أيها الغر الساذج، لا شيء عشوائي، لقد نجحنا في تخطي هذه العقبة بأقل الخسائر.

قالها متجاهلا نظراته الغاضبة، ووجه حديثه إلى (ريم) قائلا:

-منذ هذه اللحظة عليك أن تكوني أكثر يقظة وانتباها، فأنت العين التي سنرى بها كل ما يهددنا في رحلتنا هذه.

ثم استدار ليواجه رفاقها وقال بصرامة:

-ولتعلموا جميعا، أن ما واجهناه الآن، هو أقل أنواع المخاطر التي يمكن أن تهدد وجودنا.. فالزواحف البشرية كما أطلقتم عليها، هي كائنات بدائية بلا ذكاء، وتستخدم قدرتها على الاختفاء للإطاحة بضحاياها، وهم حرس المتاهة، وأول عقبة نتخطاها نحو المدينة المقدسة، واشتباكهم معنا يعني أننا بالفعل بالقرب من المدخل الحقيقي، لا تلك المداخل الزائفة التي تنتشر عبر المتاهة التي صنعها السيد الأعظم، لمنع المتسللين من ولوج عالمه دون إذن أو إخطار..

تلك المتاهة التي حولها أعدائه لشرك مخيف، منع الجميع من الصعود أو الهبوط عبرها من وإلى عالم جوف الأرض، لتتحول المدينة إلى مقبرة مغلقة على من فيها.

ونحن مجدودي الحظ لأننا قابلنا الزواحف ذات الأعين الخضراء عند هذا المدخل، ولم نقابل أي من السلالات ذوات الأعين الحمراء؛ فهم شديدو البأس والفتك، ولا يمكن قهرهم، وتمنوا من قلوبكم ألا نقابلهم في رحلتنا هذه، فهم كالدببة لا يكتفون بالفتك بضحاياهم، بل يلهون بهم ويعذبونهم، قبل أن يهشمونهم بقبضاتهم التي لا ترحم، ولو حدث وقابلناهم فستكون هذه علامة النهاية، والفشل الذريع، وسأضطر للانتظار قبل أن أعيد الدورة كاملة.

حاولوا جميعا هضم ما أخبرهم بها من معلومات، ولم يفهم أحد معنى جملته الأخيرة، إلا (منير) الذي لمعت عيناه في حسرة وهو يفكر أن إعادة الدورة الزمنية كلها قد تعيد له كلبه، ولكن الثمن أن تفتك به تلك الزواحف البشرية في الدورة الجديدة..

ثم إن هذا السعي الدؤوب من (الرسول) لإعادة الدورة برغم مخاطرها، يجعله على يقين تام بأن ما تحتويه مدينته المقدسة المزعومة، والتي أغلق أعدائهم كل السبل إليها بتلك الشراك المميتة، تحتوي شر رهيب لا يمكن قهره، أو

كنز علمي أو معرفي قد يجعل (الرسول) نفسه سيد الكوكب والزمن، وإلا لماذا يوجه كل قدراته ومجهوده عبر الزمن، نحو هذا الأمر وحده.

إنه مدرك أن الأحداث الخارقة التي يخوض غمارها، تسببت في انحراف تفكيره وجعلته خياليا إلى حد كبير.. ولكن هذا الخيال هو الأقرب للمنطق، وإلا لماذا يقدم (الرسول) كل هذه التضحيات للعودة لتلك المدينة المحاطة بكل هذه المخاطر، بل ويكرر الأمر دون هوادة أو ملل.

والسؤال هنا:

ماذا يوجد فيها أكثر مما يمتلك؟

وهل هو من قاطنيها، ويسعى للعودة إلى هناك، وما سبب مغادرته لها من الأساس؟

أم أنه طمع وطموح بشري قاتل؟

إن (الرسول) يبدو له بشريا أكثر من أي شيء أخر، فأفعاله وردود أفعاله لا تختلف عنهم كثيرا، وحتى عندما طبق عليه نفس خطوات التحليل النفسي التي طبقها من قبل على مرضاه ورفاقه، وجد أن (الرسول) برغم ما يدعيه من قوة يعتريه الكثير من الخوف والتوتر، وبرغم قسوته وقدراته العجيبة، إلا أن هناك قلق وغضب متصاعدان يسيطران عليه

طوال الوقت، مع لمحة من انعدام الثقة.

ثم إن اصراره على لفظ كلمة السيد الأعظم في معرض حديثه يعني أنه لا يحوذ القوة المطلقة التي يحاول إيهامهم بها، ويعني أن خيوط اللعبة جميعها ليست في يده..

وشروده الملحوظ يدل على أنه ليس وحيدًا، وأنه على تواصل مع شخص ما أو كيان ما، يبلغه بالتطورات أو يوجهه..

وبالطبع لم يكن يعلم كيف يستفيد من هذا الكم من المعلومات، التي وصل إليها بتفكيره المنظم، فهي لم تقلل من خطورة وضعه، ولا من أنهم أصبحوا جميعا أمام فوهة المدفع يواجهون المخاطر.

وهذا يعني أنه لا مجال للتراجع الآن، فأمامهم سبيلين فقط!

الموت أو المضي قدما..

لذا فإنه نحى تلك الأفكار جانبا، ووقف يتطلع إلى رفاقه، فمن الواضح أنه وعلى الرغم من الرعب الذي سيطر على الجميع، بعد تلك المعركة الرهيبة مع الزواحف البشرية، إلا أن هذا لم يمنعهم من التكاتف والإسراع لتضميد جراح كل من (وائل) و(سعاد)..

كانت جراح (سعاد) سطحية، وغير ذات خطورة، فتم الأمر بسرعة، بينما جراح (وائل) كانت أعمق وتحتاج لعناية أكبر، وإن ساعده جسده القوي على تحملها، ولم يبدي هو أي اعتراض، وظل على صمته، وإن ظهر ألمه على وجهه المحتقن.

وعندما اتجهت العيون نحو (الرسول) طمعا في المساعدة باستخدام علاجه السحري، رد بلا مبالاة عجيبة:

-منذ هذه اللحظة، لن أستطيع استخدام قدراتي الشافية، كي لا ترصدها المتاهة، وتفسد كل ما خططت له.

سرت همهمات عديدة مستنكرة بينهم، ثم ساد الصمت، فعادت (ريم) توجه حديثها إلى (الرسول) متسائلة في حيرة:

-لماذا أنا أيها (الرسول).. لماذا لم يرى أحد غيري هذه الزواحف القاتلة؟.

أجابها (الرسول) وهو يهيأ نفسه لمواصلة السير:

-لأن هذه هي قدرتك الخاصة التي استنفرها من أعماقك، وجودك طوال الفترة السابقة في الكهف وتعرضك لتأثير المصباح.. إنك أكثرهم استعدادا، وظلاما، والحقن

(بالأدريناكورم) كما تعرفين يا دكتورة، يزيد من قدرات العقل، ألم تدركي هذا عندما تواصلت مع (منير)، وامتزج وعيك بوعيه، تحت تأثير قوة المصباح.

صرخت (ريم) في توتر، عندما أدركت أنها كانت مراقبة طوال الوقت، وأنه يعلم سرها الملعون، وقالت بصوت غاضب:

-أي تجارب ملعونة أخرى أجريتها على أيها الحقير؟.

رمقها بنظرة أخرستها، وهو يقول في غضب:

-لم تكن المرة الأولى التي تدخلي فيها الكهف يا (ريم)، أو تتعرضي لقوة المصباح، وتحظي بتلك التغيرات التي تثير رهبتك الآن، لقد مررنا بهذا الموقف مرات لا تحصى، ولقد استنتج هذا (منير) منذ فترة ولكنه يكتمه بأعماقه، ولكنها المرة الأولى التي نصل فيها إلى هذه المرحلة بهذا القدر المتدني من الخسائر، وهو ما سأحافظ عليه للنهاية، ولن أضيع الوقت في الحديث عنه مجددا، فالوقت ليس في صالحنا تمامًا.

شهق (منير) الذي أحاطت به النظرات عندما أدرك أن (الرسول) يحيط علما بمكنون عقله، ولكنه آثر الصمت على عكس (ريم) التي غلب فضولها خوفها وهي تسأله:

-كنت أعلم أنني على حق، وأننا خضنا هذا الجحيم مرارا وتكرارا من أجل الوصول للمدينة المقدسة الملعونة، ترى من يسكنونها، وكيف يعيشون في جوف الأرض الحار، ولماذا يحملون هذا اللقب، هل هم الجن الذين يسكنون البئر.. بئر برهوت؟.

أشاح (الرسول) بيده في ملل، ثم قال بصوته العميق:

-ومن قال إن الجن وحدهم هم من يسكنون البئر!.

ولم يضف حرفا واحدا بعدها..

وبعد استراحة قصيرة لم تكفي حتى لالتقاط أنفاسهم، أو لمناقشة وجودهم بداخل تلك الدائرة الزمنية المغلقة، ولا محاولة استجواب النساء لـ(ريم) عن سر نعته لها بلقب الطبيبة، بعد مواجهتهم الدامية مع تلك الزواحف البشرية، عادوا يقطعون الطريق الصخري الذي أصبح أكثر انحدار، بحذر أكثر وتوتر أكبر، وقلق لا ينتهي..

وعندما اقترب الوقت من منتصف الظهيرة، هتف (منير) في ضراعة، وبصوت مفعم بالإرهاق والتعب:

-لن أستطيع الاستمرار أكثر من هذا، أنا متعب وجائع وأحتاج إلى الراحة.

كان (منير) يتوقع أن يطبق (الرسول) القاعدة الشهيرة التي تقول: أن القافلة تسير حسب جهد أضعف أفرادها.. ولكن صوته الحازم تردد في رؤوسهم جميعا، وهو يحذرهم من التوقف، قبل أن يوجه حديثه لـ(منير) قائلا:

-لم يحن وقت الطعام أو الراحة بعد، لو كنت ترغب في أن تحظى بمصير كلبك، فلتتقاعس الآن.

وبرغم ما يعتري (منير) من تعب وإرهاق وجوع، إلا أن التهديد أثار كل مخاوفه، وهو يتخيل نفسه مكان الكلب، وتلك الزواحف المخيفة، تتخطفه من بعضها، وتمزقه إربا، وتلتهمه، فعاد ليجرجر قدميه، ويتبع (الرسول) في صمت.

وبعد مرور ساعتين إضافيتين، كان التعب قد حل بالجميع، وأخذ معظمهم في التذمر، وهم يتعجبون من ذلك (الرسول) العجوز الذي لا يتعب ولا يكل، ولا يظهر عليه الإرهاق أبدا.

وعلى مضض سمح لهم (الرسول) بالراحة، وتناول الطعام، وإن أمرهم أن يسرعوا؛ لأن عليهم قطع هذا الطريق قبل حلول المساء، مما دفع (ياسين) ليسأله قائلا:

-ألن تشاركنا الطعام؟.

أشار له (الرسول) بحزم أن يصمت، وهو يضع أذنه على الجدار، مما دفع (ريم) لتتوقف عن إفراغ الطعام من

حقيبتها، وهي تمسح بعينيها المكان لتتأكد من خلوه من أي مصدر تهديد، وبلا وعي قلدها رفاقها، وقد ظهر على ملامحهم الخوف والتوتر، ثم تنفسوا الصعداء عندما عادت (ريم) لنشاطها في افراغ الحقيبة، في حين تمتمت (بيري) في سخط:

-أشعر وكأن وجودنا في الكهف مر عليه ألف عام.

نكزتها (ريم) لتصمت هي الأخرى وهي تتابع ما يفعله (الرسول)، وعندما وجدته يتوقف عن الانصات للصخر وتشمم الهواء، انشغلت في تناول الطعام..

وبعد مضي وقت قصير، شرعوا في السير الحثيث عبر الطريق الصخري الضيق المنحدر، إلى أن تفاجأوا بانتهائه، وأنهم وصلوا إلى حافة لا شيء بعدها إلا الفراغ، فأخذوا جميعا ينظرون نحو (الرسول)، في تساؤل..

ولكنه ظل على صمته، مستندا على عصاته التي استطالت مجددا، وهو يرمقهم بنظرات صقر متحفز، وكأنه هو من ينتظر منهم الإجابة، فقاموا بخلع حقائبهم والجلوس وظهورهم للحائط الصخري، ووجوههم للهاوية التي أصبحت أكثر ظلاما في أعماقها، مع الشمس التي بدأت رحلة المغيب.

مضى الوقت ثقيلا، بطيئا، مما شجع (منير) الذي أجهده

السير والحقيبة التي يحملها، والتفكير في تلك المعضلة الرهيبة التي يعيشونها الآن على التمدد ومحاولة الحصول على قسط من النوم يحتاجه جسده بشدة.

ولكن عقله لم يتوقف، كان يفكر في أنه لو مات الآن ونجحت مهمة (الرسول) فسيكون موته أبدي، بينما ينجوا رفاقه ويحظون بفرصتهم الثانية في الحياة.

أما لو فشلت، فسيعني هذا نجاته، ولكن هل تتكرر الأحداث كل مرة بنفس التفاصيل، أم أنها تتغير، وهل الرسول يكون على علم بها أم لا؟

جعلته هذه المسألة المعقدة يشعر بالنعاس، وعندما هم بالاستسلام للنوم، دوت الصرخة التي جمدت الدماء في عروقه، هو ورفاقه، فهب من مكانه مفزوعا يصرخ:

-ماذا حدث؟.

وأمام عيناه المتسعتان، وعيون رفاقه المذعورة، رأى الهول يتكرر، فما حدث لـ(ريم) قبل مواجهتهم تلك الزواحف البشرية، يحدث الآن لـ (ياسين) بنفس العنف والطريقة المفاجئة، فتركز بصره على وجه (ياسين) الذي أكتسى بملامح ألم عظيم، وقد انقلبت عيناه وتاه سوادها.

دوت نفس الفكرة في رأس (شيري) فشعرت (بيري)

بالفزع، وهي تتساءل في هلع:

-هل ستعود الزواحف لمهاجمتنا؟.

كانوا مرهقين ومنهكين، ولم يتحملوا مجرد الفكرة، وليس حدوثها، فروعت قلوبهم عندما سقط (ياسين) أرضا يتلوى على الأرض الصخرية، وكأنما يمر بنوبة صرع مزمنة، قبل أن ينهض من مكانه، ليتابعوه في توتر، وهو يسير نحو حافة الطريق، وقد شخصت عيناه.

وعندما أدار ظهره للهاوية، ووقف أمام جزء محدد من الجدار الصخري، أحتبس الهواء بصدورهم.

وشهقوا في ذهول، عندما رأوه بقبضته العارية يبدأ في لكم الجدار الصخري في نقاط محدد بضربات مهولة، وكأنه يمتلك يدا خارقة من الصلب.

والمثير للدهشة والعجب، أن الصخور لانت له، وراحت تتهشم، وتتفتت تحت وطأة ضرباته المتتالية، وكأنها مجرد زجاج هش.

حاولت (سعاد) منعه من المضي قدما فيما يفعل خوفا من أن يصيبه الأذى، ولكنه دفعها بعنف غير واعي، واستمر في سحق الصخور، حتى برز أمامه نفس النقش الدائري للحية المجنحة الصارخة التي بدأ بها الطريق، فربت (الرسول) على

كتفه بهدوء، فتوقف عن لكم الجدار من فوره، وعادت عيناه لسابق عهدها، وشهق في عنف، وهو يتطلع للجدار الصخري المحطم أمامه، قبل أن يهتف في ذهول:

-ماذا حدث؟.

وبكل ما يعتمل بداخلها من مشاعر، اندفعت نحوه (سعاد)، وضمته إلى صدرها في حنان، قبل أن تبعده عنها وتمسك يداه الباردتان بشكل لا يتناسب مع المجهود الذي بذله بهما، لتفحصهما في لهفة، وهي تشير نحو النقش الدائري البارز، والصخور المهشمة من حوله، وتجيبه قائلة:

-لقد أصابك ما يشبه نوبة صرع كالتي أصابت (ريم) وبعدها نهضت على قدميك، ووقفت أمام الجدار الصخري، وسحقت صخوره بقبضتيك العاريتين، وعثرت لنا على مدخل جديد، و..

وقاطع حديثها صوت صرير عنيف، والصخور تنشق كما حدث في المرة الأولى، بعد أن وضع الرسول كفيه على النقش، وتمتم بتلك الكلمات العجيبة، ليظهر خلفها مدخل ضيق له أعمدة مرتفعة، يؤدي إلى قاعة متوسطة الحجم، أضاءها ضوء الشمس التي يكاد أن يبتلعها الأفق والظلام.

وعلى الفور تبادلوا النظرات مع (الرسول) الذي أشار لهم أن

يحملوا حقائبهم، ويتبعوه.

تقدمهم (الرسول) عابرا المدخل ذو السقف المرتفع، ثم توقف عند حدود القاعة الخارجية بحذر، وهو يفحص أرضيتها ببصره، فتبعوه ووقفوا حوله دون أن يجرؤ أي منهم على التقدم خطوة واحدة زائدة، وهم يمسحون بأعينهم القاعة الخالية، التي كانت جدرانها مصمتة، وكأنها مقبرة.

وعلى ضوء الشمس الآفل لمحوا بأحد جوانب القاعة التي بدأ الظلام ينسحب إليها مجموعة من الدرجات الحجرية الهابطة التي تنحدر إلى مالا نهاية نحو الظلام الدامس، دون أي مخرج أخر، فتساءلت (ريم) في قلق:

-إلى أين يقودنا هذا الدرج الحجري أيها (الرسول)؟.

أجاب (الرسول) باقتضاب:

-إلى الموت.

فهتفت (ريم) في هلع:

-وأين الطريق الصحيح؟.

وهنا أشار (الرسول) لـ(ريم) لتتقدمهم..

وعندما وجد التردد على ملامحها قال بصرامة:

-إنك عيننا وبصرنا الآن يا (ريم)، ووحدك من سترشدينا إلى الطريق الصحيح، إن المتاهة السرية التي تقود إلى المدينة المقدسة تغير مكان المداخل طوال الوقت.

وبتردد كبير، وفزع غير مسبوق، تقدمتهم (ريم) إلى داخل القاعة الخالية، وتبعوها جميعا، معتمدين على ضوء عصا (الرسول) التي تألقت بشدة، حتى أصبحوا في منتصف القاعة الهادئة، الخالية من أي مظهر من مظاهر الحياة.

وفجأة دوى في المكان صوت هسيس مرتفع، وغمرت المكان رائحة معدنية ثقيلة ومنفرة.

عبقت الرائحة المعدنية الكريهة رئتا (ريم)، فشعرت ببرودة رهيبة تغزو جسدها، واحتبس الصوت في حلقها للحظات، قبل أن تشهق لتشعر بأنفاسها كلها تتشبع بتلك الرائحة الثقيلة، وعندما استعادت سيطرتها على أحبالها الصوتية، صرخت بصوت متحشرج سمعه الجميع:

-إنهم هنا.. الزواحف البشرية ذات الأعين الحمراء هنا.

قبل مليوني عام

تعالت صرخات الجميع، وكأنهم يقاسون آلاما رهيبة، ثم أخذوا يتحركون بطريقة هستيرية، وكل واحد منهم يتحدث عن شيء مرعب مختلف يراه، ويواجهه، ويثير هلعه لأقصى مدى.

فـ(إياد) رأى أمامه شقيقته المغدورة (ندى) تطارده والدماء تغرق وجهها وثيابها التي كانت ترتديها في أخر مرة رآها فيها، ومن فزعه ورعبه منها أخذ يتخبط في أرجاء الكهف كالملسوع، حتى كاد أن يطيح من فوق الدرج إلى قراره المظلم.

في حين راحت (ريم) تهتف كالمجنونة بأن الزواحف البشرية ذات الأعين الحمراء تحيط بهم من كل اتجاه، وأنهم سيفتكون بالجميع، وسيمزقونهم إربا كما فعلوا مع كلب (منير)، وجلست بعدها على الأرض تولول وتنتحب وتصرخ بأن الصبية مهشمي الرؤوس خرجوا من أسفل الدرج ليقتصوا منها.

بينما أخذ (وائل) يصرخ في هلع رهيب وهو يشيح بيده: (لن يتمكن أحدكم من تعليق رقبتي في حبل المشنقة؛ أنا المتر (وائل)، أنا من سأجعلكم جميعا تتدلون منها) وأخذ

يقاتل أشباحا وهمية لا يراها أحد غيره، قبل أن يبدأ في لكم الصخور بقوة أدمت أصابعه.

في نفس الوقت الذي كانت فيه (سعاد) منزوية في أحد الأركان، تواجه طفلها الذي يشبه الحرباء برؤوسه الثلاثة، وهي تستجديه كي لا يعتدي عليها فهي في النهاية أمه..

أما عن (ياسين)، فقد وقف جامدًا مغمض العينين، وكأنه ينتظر من شخص ما، أو شيء ما أن يجهز عليه، وقد كسى وجهه رعب عظيم، وسط استسلام تام لقدره.

في حين كانت (بيري) تخوض حربا ضروسا مختلفة، فبكل قوتها كانت تقاوم شقيقتها (شيري) كي لا تستحوذ على جسدهما المشترك، وتدفعها نحو الهاوية ليلقيا سويا مصرعهم.

كل هذا و(الرسول) على وقفته الصامتة المتحفزة، مستندا إلى عصاته التي تمددت لتدعم وقفته المتصلبة وجسده العجوز، متجاهلا كافة الصراعات المروعة الدائرة من حوله، وعيناه وكامل تركيزه منصب على شخص واحد فقط..

على (منير).

(منير) الذي أخذ يتلوى على الأرض وكأنما أصيب بالصرع، وقد انقلبت عيناه، وصارتا بيضاء من غير سوء، وهو يزوم

في قوة وكأنما يعاني من آلام مميتة تجتاح كامل كيانه البدين المتعرق، قبل أن ينتصب في منتصف المكان كغوريلا غاضبة، ويصرخ بصوت رهيب، مزلزل.

دوى صراخه في أرجاء القاعة كقرع آلاف من الآنية النحاسية، هادرا، كاسحا.. وهز جدرانها هزا، وأسقط العديد من أحجارها التي كادت أن تسحق بعض الغافلين منهم، وجعل نقش الأفعى العملاق يتشقق في عدة أجزاء منه، وبث الرعب والروع في قلوب كل من سمعه، لدرجة أن رفاقه، تناسوا ما يهددهم واستداروا نحوه، وقد توقفوا عن حركاتهم الجنونية، وهم يحاولوا غلق أذانهم التي صُمت من الصوت.

وعندها عاد الصراخ ليدوي من جديد موحشا، مزلزلا..

صراخ لا يمكن أن يصدر عن حنجرة بشرية..

وعلى أثره صُعق الجميع، وراحت الدماء تتدفق من أنوفهم وآذانهم، قبل أن يسقطوا جميعا أرضا فاقدي الوعي.

ليطلق (منير) عواء مرعبا، وعيناه تجحظان من الألم، وهو يقبض بيديه على رقبته في قوة، وكأنه يمنع قوى خفية من نزع حنجرته، ليدور جسده نصف دورة أمام عينا (الرسول) المتألقة، وينهار دفعة واحدة ليلحق بباقي رفاقه مفترشا

الأرض الصخرية المصقولة.

ليتوقف بعدها الهسيس، مما جعل نظرة ظفر واضحة تلمع في عيني (الرسول)، الذي أخذ يتأمل الأجساد الممددة أمامه في هدوء لا يشيء بما يدور في أعماقه، وهو يجتر أخر ذكرى يحملها لهذا المكان البغيض، وهو ويرمق الجزء البعيد من جدار القاعة والقريب من الدرج المنحدر، والذي ظهر عليه أثار احتراق ودماء جافة كادت أن تختفي.

ثم هز رأسه ليمحوا تلك الذكرى السيئة من عقله، وهو يشعر بالانتشاء، فلم تكن هذه هي زيارته الأولى لهذا المكان، ولكنها كانت الزيارة الأنجح من بين كل الزيارات التي قام بها، وخطوة مثمرة نحو هدفه الأعظم.

لقد خاض هذه الأهوال مسبقا، لمرات لا يمكن حصرها، ودائما ما كان يعود مهزوما مدحورا، بعد أن تنال منه ومن رجاله المتاهة..

وبرغم مرور الزمن، وفشله المستمر، لم ييأس أو يفتر حماسه، أو يتراجع، أو يمل من المحاولة..

ولقد حرص هذه المرة على أن يكون استعمال أدواته المتفوقة، وفنون السحر الأسود التي أتقنها بعد صراعه مع الساحر الفرعوني محدودة، كي لا يثير غضب المتاهة التي

صممت بعلوم متقدمة، لتبلغ درجة ذكاء غير مسبوقة، في رصد أي محاولة تسلل.

لقد درس الأمر جيدًا هذه المرة، وخطط لكل خطوة قبل أن يخطوها، وبات يلم بكل ألاعيب المتاهة التي خاض غمارها آلاف المرات، بل واستخدام علوم السيد الأعظم المتقدمة، فغير التركيبة النفسية والجسدية لأفراد فريقه، الذين أصبحوا يحملون في قلوبهم شرا خالصا، قادر على التفاعل مع قوى المتاهة الحيوية المظلمة.

بل وجعلهم أسلحة قاهرة، بعد أن أطلق قواهم الحبيسة باستخدام قوة المصباح الخارقة، أخطر مقتنيات السيد الأعظم، مستغلا قدرات العقل البشري الكامنة والتي بلا حدود.

فلم يكن وجودهم في الكهف مجرد محطة انتظار للمرحلة التالية من خطته التي نسجها عبر القرون، بل كانت محطة إعداد وتجهيز، بعد فشل مرير أقسم ألا يتكرر.

وها هم رهانه الأخير يعبرون طريق الموت الذي غص بالزواحف البشرية، ويفتحون البوابة الصحيحة التي ستقوده عبر المتاهة للمدينة المقدسة، ويتخطون فخها المميت.

صحيح أنه ساعدهم في تخطي هذه الأخطار، ولكن هذا أقصى ما يمكن أن يفعله في هذه المرحلة..

إنهم لا يعلمون أن قدرته على التجدد لم تعد كما كانت من قبل، ولم يعد قادرا على الاستيلاء على الأرواح بسهولة، إنه يتغير من الداخل، ويكاد أن يصبح بشريا بشكل يهدد كل مخططاته، وعليه أن يصل للمدينة المقدسة، القابعة في أعماق ذلك البئر الملعون بأي ثمن وفي أقرب وقت، لينهي مهمته السرية، قبل أن تتفكك خلاياه.

وبهدوء أخذ يتطلع إلى الأجساد الفاقدة الوعي بتركيز، ثم أخذ يجري بعض الحسابات المعقدة في عقله المنهك، وبدأ مهمته المجهدة، في حمل الأجساد فاقدة الوعي واحد تلو الأخر مستنفرا عضلاته التي أعدها لهذه اللحظة، ونقلهم إلى مكان أخر متخطيا دائرة الخطر التي حددها في ذهنه، وهم في أدنى منحنى حيوي لهم، كي لا يعمل على استفزاز الأليات الدفاعية الخفية في المكان، إذا استخدم تقنية العصاة المتطورة.

لقد غامر بفريقه كاملا ليتخطى هذه العقبة الخطيرة، ووضع ثقته فيهم، رغم معرفته بما سيحدث فور انطلاق ذلك الهسيس المروع، وأنهم جميعا سيصابون بحالة من الجنون الوقتي، ولكنه كان مجبرا على مسايرة الأمر! فالخوف وقود

المتاهة، وهو لم يرغب في حرمانها من بغيتها كي لا يثير غضبها، فتطلق كامل دفاعتها ضدهم مرة واحدة، أو تجعل دفاعتها مفعلة إلى الأبد، لقد تعلم من فشله السابق، كيف يروض ويرشوا المتاهة.

فالهسيس لم يكن إلا وسيلة دفاعية تعود لزمن بناء المتاهة الأول، وبرغم هذا ظلت بقوتها وعنفوانها، وهي عبارة دفقات من غاز مخلق من عناصر نادرة لم تعد موجودة على الأرض، تنطلق فور رصد المتاهة للعلامات الحيوية القوية للمتسللين، ومن يستنشق أقل قدر من هذا الغاز، تتجسد أمام عينيه أعتى مخاوفه وأظلمها، وتظل تطارده حتى يقتل نفسه أو يصاب بالجنون.

وهو مدرك أن هذا الغاز الفتاك تظل فاعليته مستمرة لعدة ساعات في جسد الضحية، ولا يمكن نجدة من استنشقه إلا بإفقاده الوعي قبل أن يتلف جهازه العصبي، وبعدها يقوم الجسم بمعركة عاتية للتخلص منها، ولا يربحها في معظم الأحيان..

ولكنه يعلم نتيجة هذه المعركة مسبقا، ويعرف أن (منير) عندما أطلق تلك الصرخات الصاعقة، فإنه أنقذ حيوات رفاقه جميعا بعد أن تشربت المتاهة من مخاوفهم، وإن كان باستحواذه على هذه القوة المروعة قد تبدل مصيره، لأن

تلك القوة كانت من نصيب (وائل) في معظم المحاولات السابقة.

وعلى كل حال، فالخسائر متوقعة، وكل منهم لا قيمة له بعد أن يتم مهمته التي أعد لها، وهم قد وصلوا إلى تلك المرحلة، ونجحوا في تخطي الفخ القاتل، وهو انجاز عظيم، ولكن عليهم أن يستفيقوا قبل أن يطبق عليهم الفخ الثالث، فالمتاهة قد تمكر بهم، وتخرج وحشها قبل موعده، هو لم يحدث من قبل، ولكنه وارد الحدوث.

ولما كان على (الرسول) أن ينتظر عودتهم جميعا من عوالم الغيبوبة، فقد جلس بكل هدوء، وهو يضع عصاته التي خبى توهجها، واستعادت طولها المعتاد بجواره، ليريح جسده على الأرض، ربما للمرة الأولى منذ زمن طويل، وعندما أغمض عينيه، بدأت تتداعى في رأسه ذكريات عاصفه، جعلته يتساءل: كم مر على وجوده على هذه الأرض؟

هل مضى المليون عام الثاني حقا، أم أنه تخطاه منذ زمن بعيد؟

لقد توقف عن العد والإحصاء، واكتفى بتنفيذ خطته التي منيت بالفشل الذريع لمرات تعب من حصرها.

وهذا جعله يفكر متى كانت البداية؟!

الرائحة الثقيلة ذات النكهة المعدنية ما زالت بقاياها تعبق المكان، وتصيبه ببعض التشوش..

وهي تذكره برائحة أخرى تسللت إلى أنفه من زمن سحيق، زمن يسبق العصر الجليدي، والفناء العظيم الذي سبق خلق مخلوقات هذه الدورة من الحياة.

تلك الرائحة التي كان تنبعث من تلك القاعة الملكية التي انعقد فيها لقائه الأخير بالسيد الأعظم، وهم تحت وطأة هجوم متوحشي العالم العلوي وسحرتهم، الذي لا يعرف أحد كيف استطاعوا عبور المتاهة إلى عالم جوف الأرض، ولا كيف تخطوا دفاعتها، التي ظلت مفعلة رغم عبورهم منها ببساطة.

والذين حاصروا جميع مدن جوف الأرض ودكوها دكا، وأبادوا معظم سكانها في زمن قياسي، لتبقى المدينة الأخيرة التي أمر السيد الأعظم أن يستخدموا أعظم علومهم ويحولوها إلى ملاذ سري خاص يتحوصلون ويكمنون فيه، حتى تنتهي الحرب، ويعود ما تبقى من أجناسهم الناجية للحياة مجددا بعد انتهاءها.

كان (الرسول) ينتمي لعشيرة مقاتلة، شديدة البأس، كانت تسكن في المنطقة الوسطى، قبل أن تُسحق، ويتجه الناجون منهم للمدينة الأخيرة.

ويطلقون على عشيرتهم المقاتلة في عالم جوف الأرض لقب (رسل الموت) لأن شعارهم في كل معركة، الموت أو النصر، وهم الحرس الخاص للسيد الأعظم، حاكم مدن جوف الأرض سابقا، الوحيد من نوعه، الخالد الذي يمنحهم القوة ويتوجهون له بالعبادة.. وهم يده الباطشة، ومنفذي القوانين، وحماة الكنز الأعظم والسر المقدس..

ولذلك عندما انتهى علماء جوف الأرض من إخفاء مدينتهم، ووضع من نجا من شعوب جوف الأرض في حالة من السبات الصناعي، وكلف السيد الأعظم (الرسول) ومن تبقى من مقاتلي عشيرته، بأن يكونوا هم حفظة السر، وأن يكونوا هم من يوقظوهم، ويعيدونهم من سباتهم عندما يحين الوقت المناسب، وجعلهم يقسمون القسم الأعظم أمامه، ومنحهم طريق سري عبر المتاهة لم يعلم به أحد غيره، ليصعدوا عبره إلى العالم العلوي، ليكمنوا هناك، لأن وجودهم في جوف الأرض قد يعرضهم لخطر أكبر، ويفشل الخطة بأكملها.

وبلا تردد وافقوا على الخطة، وشرعوا في مهمتهم حاملين معهم أعظم ما وصلت إليه علوم عالمهم التحت أرضي من أدوات، وأسلحة، ومعارف، وبدأوا في قطع طريقهم عبر المتاهة، التي لم يدركوا وقتها أن متوحشي العالم العلوي قد

سيطروا عليها سيطرة كاملة، بكل ممراتها المعتادة والسرية.

وعندما اصطدموا بهم في أحد مراحل فرارهم، دارت بينهم، وبين مهاجميهم، معركة حامية الوطيس، أثبتوا فيها فعلا أنهم (رسل الموت) فلم يتراجع أو يتقهقر فرد منهم، ولكن زبانية العالم العلوي، لم يكونوا أقل منهم قوة أو قسوة فاجتاحوهم بهجوم كثيف كاسح، تجاهلوا فيه كم الخسائر الفادحة التي وقعت في صفوفهم، ومزقوا رفاقه إربا واستولوا على معظم أسلحتهم، ونجا هو بمصادفة لا تتكرر في العمر مرتين، عندما سقط في جب عميق، وانقطعت مؤشراته الحيوية التي تقودهم إليه..

وبعد أن استفاق، وعلم أن الأعداء منتشرون عبر المتاهة، وأن المتاهة قد انقلبت على بني جنسه، وأنه ليس أمامه إلا سلوك الطريق السري الذي يحتله الأعداء.. فإنه تحوصل وكمن في مكانه وجعل مؤشراته الحيوية في أدنى مستوى لها كما يفعل الآن، مما أطال من فترة كمونه وسباته، فاستيقظ بعد مرور زمن طويل، ليجد أن كل الأمور تغيرت، والمتاهة تحولت بعلوم متوحشي العالم العلوي لفخ قاتل ومميت، وأن قوة مظلمة احتلتها، واندمجت بشكل مذهل مع تقنيات المتاهة، وأصبحت تقتنص أرواح ضحاياها بلا هوادة.

وكاد هو أن يفقد حياته في المرات العديدة التي حاول

فيها عبورها، لأنها في كل مرة كانت تغير من استراتيجيتها وأماكن شراكها المميتة، ولم يستطع التغلب على علوم هؤلاء المتوحشين العجيبة، التي تتخطى الفيزياء والمنطق، والتي علم فيما بعد أن البشر يطلقون عليها لقب السحر، وبالتالي أصبح يحتاج لإتقان هذه العلوم، وانتقاء مساعدين من نوع خاص، يستطيعون التفاعل مع القوى المظلمة المسيطرة على المتاهة..

فكمن في كهفه السري الذي أودعه كل ما استطاع العثور عليه واستنقاذه من تقنيات عالمه، منتظرا أن تتبدل الأمور، وأن يحظى بمن يعينه على اتقان هذه العلوم المذهلة، عندما تفاجأ بالكارثة الكبرى.

فوجوده في ذلك العالم الوحشي البدائي بدأ يضعفه ويستنزف قواه، وأجبره أن يلجأ إلى التحور والكمون مجددا، ففقد جزءا مهما من التاريخ، ومن وقته وعمره الطويل، فهو ليس خالدا كما يظن كل من يقابله، بل دورة حياته تظهر للكائنات الأقل عمرا بأنها الخلود عينه.

إلى أن قابل ذلك الساحر الفرعوني العتيد، الذي كشف حقيقته بعلومه المذهلة، وسيطر عليه بقدراته الخارقة، وانتزع منه كل مقتنياته الثمينة، التي لن يستطيع بدونها اتمام مهمته.

وعندما أحاط علما بحقيقة قصته بعد صراع عقلي رهيب، عقد معه الساحر صفقة من نوع خاص، أو أجبره عليها، لو أردنا الدقة.

وكان من بنودها أن على الساحر أن يعيد له مقتنياته التي أخفاها بسحره في أرجاء الأرض، مقابل أن يكشف له (الرسول) عن سر الانتقال عبر الزمن، وأن يقدمه للسيد الأعظم الوحيد من نوعه والخالد، وكانت هذه هي أعظم هزائمه، فقد حنث بقسمه، وكشف سره المقدس، ولم يغفر هو هذا الأمر.

وكانت خطة الخداع الكبرى التي مارسها على الساحر طوال عشر سنوات كاملة أقنعه خلالها بأنه تابعه وتلميذه المطيع، لدرجة أن الساحر بدأ يثق فيه وجعله يتقن على يديه تلك الفنون المظلمة شديدة الخطورة، وعندما تأكد (الرسول) بأنه ليس لدى الساحر ما يمنحه له، دس له ثعبان قاتل في فراشه، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة سرق روحه.

ولكن الساحر لم يذهب دون خسائر، فبموته فقد (الرسول) كل مقتنياته، وأضطر لخوض مغامرات رهيبة حتى استعادها، و.

وقبل أن يسترسل (الرسول) في ذكرياته، وبلا مقدمات، أو تمهيد، استفاق (منير) من غيبوبته، وجلس على الأرض

في هدوء، ثم أدار عنقه بزاوية حرجة، لتلتقي عيناه بعينا الرسول، الذي هب من مكانه كالملسوع، محاولا منع ما يعرف أنه سيحدث، بعد أن خدعه حصول (منير) على تلك القوة الغاشمة لا (وائل) الغاضب..

ولكن (منير) سبقه، وحدد مكان (إياد) الذي كان قد بدأ في استعادة وعيه، وأطلق من فمه صاعقة صوتية مركزة، أصابت نصف جسد (إياد) العلوي، فحولته إلى أشلاء، وسط نظرات (الرسول) الذاهلة، أمام هذا التطور أو التدهور الذي لم يحسب له حساب.

فالمتاهة مازالت قادرة على العبث به وبرجاله.

وبكل ما يعتمل في أعماقه من غضب صرخ (الرسول) في حين جلس (منير) ذاهلا، وعيناه على ما تبقى من (إياد) وهو يسمع تباعا شهقات كل من يستيقظ من غيبوبته على هذا المنظر البشع، ولم ينتبه للرسول الذي تغضنت ملامحه، وهو يفكر في غضب لا حدود له.

إن ما يحدث مؤشر خطير على أنه لا يحكم قبضته على كل الأمور..

وأنه يضعف..

والضعف غير مسموح به في هذه المرحلة..

غير مسموح به أبدا..

أدرينا كورم

لم يحزن أي من الرفاق على مصرع (إياد)، الذي تحول نصفه العلوي إلى أشلاء متناثرة، واستقر نصفه السفلي على الأرض وسط بركة من الدماء المتخثرة، كما أن غياب الشمس واعتمادهم على ضوء عصاة (الرسول) أخفى معظم معالم المشهد الموتر للأعصاب، وأيضا لم يترك لهم الرسول أي فرصة ليخوضوا في تفاصيل ما حدث، بل نهض من فوره، وعلى وجهه العجوز نظرة مخيفة مقلقة، ووجه حديثه لـ (ريم) قائلا:

-عليكِ الآن أن تكتشفي لنا المسار الصحيح، لن نظل في هذه القاعة الملعونة إلى الأبد.

لم تكن (ريم) تعرف ماذا تفعل، أو ما هو المطلوب منها، فحاولت أن تجتهد، وتبحث حولها بتركيز، إلى أن لمحت تلك البقعة المشعة في الجدار الأيسر للقاعة، والتي راحت تتوهج بشكل منتظم، وتتبدل أضوائها بين الأحمر والأخضر، وكأنها ترسل لها وحدها رسالة ضوئية لا تفهم مغزاها.

وعندما ركزت فيها أكثر، شعرت بوعيها يتسرب منها، وبظلام ثقيل يغمر عقلها، مع شعور عارم بالراحة، قررت أن تستسلم له..

وفجأة شعرت بصاعقة من طاقة باردة تصدمها، وتقتلعها من مكانها، وتطرحها أرضا، وصوت (الرسول) يدوي في عقلها:

-لا تستسلمي أيتها اللعينة لألاعيب المتاهة، ربما لو أمعنت النظر أكثر لعثرت عليه، لن تتركنا المتاهة لوقت أطول من هذا، لابد وأنها تستعد لإطلاق الوحش القابع أسفل الدرج الآن، فحاولي أكثر، فنجاتنا جميعا تعتمد عليك.

لم تكن (ريم) من ذلك النوع من النساء، الذي يعمل بشكل جيد تحت الضغط، وهي قد تعرضت في هذه الرحلة لكل أنواع الضغوط، فنجت منذ فترة وجيزة من موت محقق، وعلى بعد أمتار منها جثة فقدت نصفها العلوي، وكادت منذ لحظات أن تقع فريسة لوسيلة مخيفة من وسائل السيطرة العقلية الجهنمية، ونجت منها بصاعقة باردة زلزلت أعصابها، وما زالت تتألم من أثارها، والمطلوب منها بعد كل هذا أن تتجاهل وجود ذلك الوحش القابع أسفل الدرج، وتبحث لهم عن مخرج.

لذلك شعرت بحنق شديد، وسرت في كيانها موجة غضب عاتية، جعلتها تصرخ بكل قوتها، في محاولة منها لإفراغ ما بداخلها من انفعالات ليكتسي كل شيء أمامها فجأة باللون الأخضر، لترى بعده الطريق الذي تبحث عنه يتوهج بشكل

مختلف، وكأنها تنظر عبر نافذة إلى عالم أخر.

لم تكن تعرف إن كان ما يحدث لها نتاج للسحر أم للعلم، ولكنه كان مخيفا ويثير أعصابها، خاصة وهي ترى تلك الأطياف المخيفة تتجول حولهم، وتعبر من خلالهم دون أن تكترث بهم، وقبل أن تعلق على ما يحدث، ردد (الرسول) بصرامة:

-تجاهلي تلك الأطياف العابرة، إنهم من قاطني البئر القريبة، ولا خطر منهم.

شهقت في رعب، وقالت في ذهول:

-هل أصبحت أرى الجن الآن.

صرخ (الرسول) في غضب:

-لن أخوض هذا الحوار مجدًا، الجن لا خطر منهم، الخطر أصبح قاب قوسين أو أدنى منا، وسيخرج في أي لحظة، فأكملي مهمتك.

تجاهلت (ريم) في صعوبة، تلك الأطياف العابرة، التي وقف أحدها بسحنته المخيفة يتابعها باهتمام وكأنه يراها، ثم سارت خلف الوهج الزمردي، بقلب واجف، ثم تجمدت في مكانها عندما أدركت أنه يقودها صوب الدرج.. وحيث يقبع

الوحش..

وبيد مرتعشة أشارت إلى الدرج وقالت:

-الطريق هنا.

شهقت (بيري) في حين قالت (شيري) بغلظة:

-أي طريق هذا الذي هنا؟ لن أخطو خطوة واحدة فوق هذا الدرج.

ودون تعليق من (الرسول) وبحركات عصبية، وكأنه لم يتوقع الأمر، وتفاجأ بموقع المدخل، دفع (الرسول) (ريم) بغلظة نحو الدرج وهو يقول في حنق:

-تحركي أمامنا فالوقت يداهمنا.

ثم ضغط على عصاته، فتوهجت أكثر بضوء رقراق غير مؤذي، وهو يقول بصوت مرتفع:

-هيا أيها الحقراء.

كان لصرخته مفعول السحر، فقد بخرت على الفور كل أفكار التمرد من عقولهم، وجعلتهم جميعا يهبطون خلفه الدرج، دون تأخير.

ذلك الدرج الذي كان يلتف حول نفسه، هابطا إلى قلب

الجبل المظلم.

وراحت (ريم) تتقدم الجميع، وقلبها يكاد ينخلع من الهلع، والطريق يتمدد أمامها وكأنه بلا نهاية، ولكنها استمرت بالنزول حتى لم تعد تشعر بقدميها، وظل الدرج أمامها بلا نهاية..

وبعد مرور ما يقرب من ساعة، توهج بصرها، ورأت على أحد جدران الدرج، تجسد لباب مصمت بلا مقبض، فتوقفت عن اندفاعها، وهي تصرخ:

-لقد عثرت على المدخل أيها (الرسول) لقد عثرت عليه.

وفي نفس اللحظة، دوى من الأعلى صوت باب أخر يفتح بعنف، وبدأوا يسمعون صوت زئير الوحش الذي نهض من غفوته التي استمرت لقرون طويلة، ليفتك بهم.

فصرخ بها (الرسول) في غضب:

-هيا افتحي الباب أيتها اللعينة.

كانوا قد تكدسوا جميعا خلفها، مع صوت خطوات الوحش الثقيلة، التي أشارت إلى أنه قد حدد مكانهم، وبدأ مسيرته في النزول إليهم، فصرخت في (الرسول) وهي تقول في عجز كامل:

-اللعنة.. لن أستطيع فتحه إنه بلا مقبض، كما أنه ليس باب بالمعنى الحرفي، بل تجسد له.

كانوا جميعا ينظرون نحو الحائط الذي توقفت أمامه، دون أن يروا ما تتحدث عنه كعادتها، وعندما همت (سعاد) بمحاولة تهدئتها، صرخت (ريم) في حماس كبير:

-لقد ظهرت كتابات متألقة على الباب.

زم (الرسول) شفتيه بضيق بعد أن أدرك أن المتاهة قد بدلت قواعد اللعبة، وأنه سيخوض الآن موقف دموي عنيف لم يكن يفضل أن يخوضه في هذه المرحلة، ولكنه مجبر عليه، فسألها بسرعة:

-وماذا تقول هذه الكتابات؟ أسرعي الوحش يقترب.

صمتت للحظات، ثم شهقت وقالت في جزع:

-يا إلهي.. لا يمكن هذا.

عاد (الرسول) يصرخ:

-أقرئيها أيتها اللعينة، وأنت يا (منير) مهمتك عرقلة الوحش، لأطول وقت ممكن.

وبدون أن يعترض أو يحاول أحد منعه، عاد (منير) ليصعد الدرج وكأنه إنسان آلي مبرمج، في حين أخذت (ريم) تقرأ

بسرعة:

-روحان في جسد واحد، روحان ينتزعان في نفس اللحظة، فيفتح الباب، روحان عاشا معا، ومعا يموتان.

كانت الكلمات الرهيبة محددة ومفهومة، مما جعل وقعها مرعب أكثر أنها تزامنت مع صوت اشتباك (منير) مع الوحش المجهول، وصرخات (منير) التي أخذت تزلزل كل شيء، وجعل هذا كل من (شيري) و(بيري) يشهقان، ويتراجعان، وبيري تصرخ في رعب:

-هل ستذبحوننا كالشياه لتفتحوا الباب، أهذه هي القوة التي هيأنا لها الكهف.. أن نموت!.

وبكل قوتها سيطرت (شيري) على الجسد المشترك، واندفعت لتتخطى جميع من حولها، وهي تهبط الدرج في سرعة، وتصرخ في غضب:

-لن تنال منا أيها الساحر الملعون.

وكعادته لم يتحرك الرسول ولم يبدو على وجهه الغضب السابق، فما أفصحت عنه الكلمات، كان يناسبه تماما، فهو توقع أن تسرق المتاهة منه روح (ريم) كما حدث في المرات السابقة، ولكنها اختارت البديل، وهو أمر مقبول، فما زالت هناك مخططات عديدة لـ(ريم).

تابع (الرسول) بأذنيه صوت هبوطهم، ثم صوت تعثره، ومن حزامه أخرج أداة دقيقة، ألقاها في الهواء، فأصدرت أزير مكتوم تردد صداه في المكان، برغم صوت الصراع الوحشي بين (منير) ووحش الدرج، وقبل أن يتلاشى صداه تماما.. صك مسمعه صوت النصال المعدنية، التي ظهرت للتوأمتين من العدم، ومزقتهما إربا، ليشع جسديهما بضوء رهيب غمر كل شيء، وأظهر حدود الباب الذي انفتح من تلقاء نفسه أمام أعينهم المذعورة، ليقول (الرسول) في صرامة:

-لم يكن الموت قوتكم أيها التوأمان، بل الحياة، لقد منحتمونا بموتكم الحياة.

قبل أن يصرخ بكل قوته:

-اتبعوني.

وعندها غادر المكان، وأندفع بسرعة يقطع ممر صخري أخر منحدر، وصرخات (منير) تجلجل المكان..

وبكل سرعتهم اندفعوا خلفه غير مصدقين ما حدث لـ(شيري) و(بيري) ولا ما يواجهه (منير) وحده بقلب الظلام.

كانت (سعاد) تسبق (ياسين) وفجأة سمع (ياسين) صوت

الدوي الرهيب، فنظر إلى أعلى، وعلى ضوء القمر شاهد الهول المندفع نحوهم، فتحرك بسرعة رهيبة صنعها خوفه على (سعاد) وجذبها من ذراعها لتتراجع إلى الخلف، وتتفادى سيل الصخور الساقطة، وهو يمنع بيديه المفرودتين، (ريم) و (وائل) من التقدم، وأمامهم جميعا، حدث انهيار صخري رهيب، دفن (الرسول) أسفله، ثم ساد الصمت، وظهر (منير) وجسده مغطى بدماء الوحش السوداء، ليقول بذهول:

-هذا الوحش لا يمكن هزيمته؟.

وقبل أن يجيبه أي منهم، خرج من الباب، ممص أسود غليظ، التف حول (منير) محطما عظام قفصه الصدري، وجذبه إلى الداخل، وهو يسمعون صوت تفريغ هواء عميق، تلاه صوت انغلاق الباب الذي دخلوا منه منذ لحظات، ثم اختفائه، ليجدوا مكانه جدارا صخريا مصمتا، عزلهم عن كل شيء، وهم ينظرون نحو كومة الأحجار التي دُفن تحتها (الرسول)، وقد ساد صمت رهيب له رائحة الموت.

وفي توقيت واحد انهارت المرأتان، ودخلوا في نوبة بكاء حادة، في حين وقف (ياسين) و(وائل) صامتان مصدومان..

وفجأة توقف (ريم) عن البكاء، وانقلبت عيناها، وهي تشير نحو الصخور وقالت في لوعة:

-إنه حي (الرسول) حي، ولكنه عاجز عن الخروج من سجنه الصخري هذا.

وبكل ما بأعماقها من غضب وثورة، قالت (سعاد):

-ليذهب هذا الحقير إلى الجحيم، دعوه حتى يموت جوعا وعطشا، لو كان يجوع أو يعطش.

كانت هذه رغبة الجميع بالفعل، ولكن (ريم) تذكرت تهديده ووعيده، وكيف أنه يربط مصيرهم بمصيره، وقالت في يأس:

-ألا تذكروا ما أخبرنا به هذا الحقير في بداية هذه الرحلة، لقد أخبرنا أن هلاكه يعني هلاكنا، وأن فشلنا يعني موتنا، وهذا يعني أننا يجب أن نعمل على انقاذه، لإنقاذ أنفسنا.

أجابها (ياسين) بغضب:

-أنا لن أساعد هذا الوغد، الموت أشرف وأفضل، لم أعد أرى الحياة جذابة بعد كل تلك الأهوال.

وبصوت حانق غاضب قال (وائل):

-انظروا حولنا، لا شيء غير الصخور والسماء، من منكم قادر على تسلق هذه الجدران الصخرية، أو يعرف مخرج أخر، لا حل أمامنا إلا إنقاذ ذلك الخبيث، لقد أمن نفسه جيدًا.

ساد الصمت بينهم لدقائق، ثم فجأة قام (وائل) من مكانه، وبدأ في إزاحة الصخور التي يستطيع حملها بعضلاته المفتولة، وكأنها إشارة، فقد قام الجميع ليتعاونوا معه، واستغل (ياسين) قدرته المفرطة في تهشيم الصخور.

واستمروا لساعات، في عملهم، حتى لم يعد أي منهم قادر على تحريك المزيد من الصخور، وتشاركوا أخر ما لديهم من طعام ثم خلدوا للنوم..

ومع أول ضوء للشمس استيقظوا، وعادوا لمهمتهم الشاقة..

وفي النهاية وصلوا لجسد (الرسول) المهشم وسحبوه بصعوبة من بين ما تبقي من الصخور، دون أن يرأفوا به، ووضعوه على الأرض، ليطلق (الرسول) صرخة عاتية صمت آذانهم، وهو يشعر بعجز تام عن تحريك أي من أطرافه، وبكل خلية في جسده وهي تئن من الألم والصدمة.

حاول أن يرفع رأسه ليتفقد موضع إصاباته، فسرى في كيانه تيار فوري من الألم أجبره على التوقف عن المحاولة، وهو يلهث ويخرج من بين شفتيه دخان أسود ثقيل أشبه بدخان مدفئة مكتومة.

كان للدخان الكثيف رائحة احتراق كريهة تشبه رائحة حرق إحدى الجيف، وكأنما (الرسول) المتألم يشوى من الداخل،

وهذا الدخان من مخلفات الاحتراق!! وهو ما جعل (سعاد) تشهق في رعب، وتهتف بصوت يحمل كل خوف وتوتر الدنيا:

-هل ترون الهول الذي أراه؟! ما معنى هذا؟! من أين يأتي كل هذا الدخان.. افعلوا شيئا إننا نفقده.

ظهرت الحيرة والدهشة على وجوه رفاقها، وهم يرمقون في ذعر وقلق شديدان الظاهرة الغريبة التي تحدث أمامهم..

فقد كان الدخان الأسود يخرج من بين شقوق وجه العجوز التي لم تنزف قطرة دم واحدة برغم فداحة وعمق الإصابات التي تعرض لها، وهذا جعل موجة من الخوف والهلع والجمود تجتاح الجميع.

لحظات وبدأ الدخان الأسود الغامض يتصاعد من كل فتحة وجرح في جسد العجوز المكوم على نفسه فوق الأرض الصخرية، بطريقة توحى أنه فقد كل عظامه أو تم سحقها بالكامل نتيجة الحادث.

وهذا دفع (ريم) التي امتقع وجهها، وتسرب الرعب إلى قلبها، بعد أن استفزها صمت رفاقها لتصرخ مجددا في غضب:

-هل يوجد إنسان طبيعي في هذا العالم، يمكن يعيش بعد

أن تهشمت كل عظامه، وينزف بدلا عن الدم دخان أسود كريه الرائحة، أم أنني جننت وأتخيل كل هذا؟.

توتر الجميع من حدة حديثها، ومنطقها، ونظروا لبعضهم البعض في توتر، مما دفع (وائل)، ليقول في نفاذ صبر وهو يشيح بيده في انزعاج:

-أنت قلتيها إنسان طبيعي، وهذا الرجل ساحر أو ما هو أسوأ، وهذا يجبرنا على أن نتقبل كل ما يحدث من أمور خارقة وخارجة عن المألوف، والأهم أن نسرع في اسعافه، وإلا فكل ما قاسيناه لن يكون له قيمة.

وكأنما يؤكد العجوز على كلامه أخذ يصرخ بطريقة غير آدمية، لا يعرف أحدهم كيف تأتى لأحباله الصوتية الهرمة أن تتحملها، وهو بمثل هذه الحالة المزرية؛ وهذا الكم من الإصابات.

لقد كانت معجزة كبرى أن يخرج على قيد الحياة بعد هذه الكارثة الكبرى.

وعندما حاول (وائل) أن يعدل من وضع جسده الحرج، تلوى العجوز من الألم؛ وظهرت إصابة جديدة كارثية في جانب رأسه الأيسر بالقرب من ذلك الوشم الشيطاني البارز، الذي تشوه! وهنا صرخت (سعاد):

-إن إصابته هذه تعني أن نجاته مستحيلة، وأننا جميعا سنلحق به.

وقبل أن يجيبها أحد من رفاقها، تحولت صرخات العجوز المتألمة إلى عواء رهيب أجبر جميع من حوله على وضع أكفهم فوق آذانهم، ما عدا (وائل) الذي استمر في محاولته المستميتة لإسعاف العجوز بطريقة تفتقر إلى أي وعي طبي، وهو ينظر للرسول المهشم الذي يحتضر أمامه في مقت وكراهية وهو يردد في غضب شديد:

-لن تموت الآن، ليس بعد كل ما قاسيناه، وأنا لن أتركك وأجازف بأن تعيد دورة الزمن بعد أن وصلنا لهذا الحد.

ولذلك استمر في محاولة اسعاف (الرسول) ونظرات رفاقه مثبتة على وجهه الذي أكتسى بالعرق والغضب، وكان من الواضح أن لا شيء سيوقفه عن محاولاته اليائسة لمساعدته، عندما حدث ما أجبره على التوقف وإغلاق عينيه هو ورفاقه!

فقد أطلق العجوز نفسه صرخة أكثر قوة وعنفا، وعلى أثرها انتفض جسده كله، وانبثق من أحشائه، وجميع جروحه وإصاباته ضوء غامض وهاج مصحوب بذلك الدخان الأسود، جعلهم يتسمرون في أماكنهم من الذهول، وكل خلية في عقولهم تستنفر بحثا عن تفسير لما يحدث.

وقبل أن تصل عقولهم المنهكة لتفسير معقول، سرت شرارات لاهبة في أماكن الكسور والعظام المتصدعة، التي لم تصلح معها الإسعافات الأولية، فراحت دون تدخل من أحد، تلتئم وتلتحم وتشفى بسرعة رهيبة، وبطريقة خارقة لا تمت لقواعد الطب والشفاء المعروفة بصلة..

مما أجبرهم جميعا على تبادل النظرات المتوترة القلقة، فاندفعت (سعاد) تتعلق في ذراع ياسين قائلة في فزع:

-اللعنة يا (ياسين).. ماذا يحدث.. أخبرني بالله عليك، أنا لا أفهم؟.

كان الأمر أكبر من تحمل (ياسين) فصرخ فيها بتوتر لا مثيل له:

-توقفي عن النواح يا (سعاد)، كيف لي أن أعرف، ستحدث مصيبة جديدة على الأرجح، ما الفارق في المعرفة من عدمها الآن؟!.

وأمام العيون المندهشة، والنفوس المحبطة، والقلوب الوجلة، وبعد كل التحولات المرعبة التي أصابته، عاد جسد (الرسول) المتكور المنسحق لينتفض في قوة وكأنما يسري في خلاياه تيار كهربي عالي الجهد، ليشتد ويستقيم، وكأن هناك يد خفية تعمل على جذبه من طرفيه وتعيده لهيئته

السابقة.

لتنتفخ بعدها عضلاته الضامرة، ليظهر أمام عيونهم المجهدة المتسعة من الرعب والذهول، كجسد مصارع روماني مشوه، بعد أن كان كومة من اللحم المسحوق.

وأما ما جعل الهواء يحتبس في صدورهم، هو منظر جلده القديم الشاحب، وهو يتشقق ويتفسخ، ثم يجف في سرعة كبيرة، ويتحلل، ويتحول إلى غبار، ويحل محله جلد جديد لامع شديد النعومة، وكأنه ثعبان بشري ينسلخ عن جلده القديم التالف ليحظى بجلد جديد..

ليقف أمامهم (الرسول) بملامح شابة قاسية شديدة النضارة، وكأنه شخص أخر، بُعث من بين رماد شخصيته القديمة المتداعية كالعنقاء الخرافية، وذلك الوشم البارز الموجود على رأسه يتوهج بشكل عجيب.

ليستدير بعدها بجسده الضخم المتخم بالعضلات، ويركز بصره على المكان الذي مازال يحتوي على بقايا الانهيار الصخري، ليردد بلغة قديمة غير مفهومة بعض الكلمات الثقيلة الوطء على الأذن، التي أدرك الجميع بسهولة أنها تنتمي لأحد دروب السحر الأسود، لتتفجر على إثرها بعض الصخور، وتتحول إلى غبار متناثر، ويبرز من أسفلها عباءته السوداء الكالحة التي كان يرتديها، قبل أن تنهار فوقه

الصخور.

لتطفوا العباءة في فضاء المكان، وتستعيد أثناء طفوها رونقها ولونها الداكن وكأنها تستمد بهائها من حالة مرتديها، وتستقر على كتفيه، لتستر بعض مما كشفته ثيابه الممزقة، ولتتدلى على ظهره قلنسوة الرأس، ليظهر أمامهم برأسه الصلعاء الموشومة كشيطان مريد، وعينيه الشبيهتان بأعين البومة تتفحصهم بقسوة، وكأنما يراهم للمرة الأولى..

كان منظره مهيبا، بعد أن أكتسب تلك البنية المفعمة بالقوة البدنية والنفسية، وقد انقلبت عيناه وأخذت تتألق بنفس الضوء الوهاج، وهو يهمهم في غضب:

-اللعنة.. لقد فقدت روحا جديدة.

تعالت الهمسات بين الرفاق على أثر عبارته الصادمة، وتبادلوا النظرات الوجلة، فأي مخلوق هذا الذي يفقد روحا فيحصل على أخرى بهذه البساطة، لقد كانوا يعلمون عن الأمر، ولكن أن تراه أمر مختلف، وكأنه قط يمتلك سبعة أرواح.

ولأن عجائب الليلة لم تنتهي، فبكل حزم أشار (الرسول) مجددا إلى كومة من الصخور المتراكمة، فتحركت من مكانها وكأنها حية، واندفعت من بينها عصاته المعدنية، ليقبض

عليها بقوة..

وبكل هدوء وثقة، أخذت يتلفت حوله، وينظر لأعلى، ثم صمت وكأنه يتلقى وحي ما من جهة مجهولة، قبل أن يرفع عصاته بحزم نحو السماء، ويشير بها إلى قرص الشمس المستعر الذي لم يستطع أي منهم النظر إليه كما يفعل (الرسول) بكل بساطة، فتألقت مقدمتها على نحو عجيب، ليصرخ بعدها في قوة، بلغة عجيبة لم يفهمها إلا (وائل) الذي وقف ذاهلا يردد مترجما، وقد انقلبت عيناه كما حدث لرفاقه من قبل:

-ثلاثة من الحجب أستدعيها وأحترم حامليها، ثلاثة من الحجب أختم بأرواحي المائة عليها.

وعلى أثرها هبت في المكان رياح ساخنة محملة بالأتربة والغبار، عصفت بالجميع.. لتنتشر في السماء بشكل مرعب ثلاثة طبقات من سحب سوداء كثيفة، أمام أعينهم المتسعة في ذهول.

وعلى الفور توارى خلف السحب العجيبة قرص الشمس بشكل كامل، وانسحب الضوء من المكان بغتة، ليتحول النهار إلى ليل معتم.

ليظلم كل شيء بداخل الممر الجبلي الضيق، عدا عينا

(الرسول) ووشمه، وعصاته، وليسقط (وائل) أرضا وكأنما أصيب بحالة من الصرع، وهو يتحدث بلغة غير مفهومة، قبل أن ينهض من مكانة، ليركض نحو أحد الأماكن في أرضية الممر، ويبدأ بإزاحة الصخور من فوقها بطريقة محمومة، والعيون مسلطة عليه في رعب، لتظهر لوحة حجرية عليها نقوش عجيبة، أخذ يقرأ ما فيها، و(الرسول) يترجم هذه المرة:

-لن تظهر العلامات، ولن تقصر المسافات، إلا عندما يختلط دم الأحياء بالأموات.

مما دفعهم ليرمقوه بفزع، ثم يرمقوا الظلام الذي أحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم، وهم يتوقعون كارثة مروعة ستحدث حالا؛ على يد ذلك المخلوق الغامض الذي لم يعد أي منهم موقن بكونه بشريا أو يمت للبشر بصلة، بعد انسلاخه عن جلده، وتألق عيناه ووشمه بهذا الشكل مريب.

كان منظر الرسول مخيفا وسط الظلام الدامس، وعيناه المفزعتين غير البشريتين تتألقان، وهو يهز عصاته، لتحيطه بهالة ضوئية أخفته عن عيونهم قبل أن يطلق صرخة متألمة مفزعة، ليعود بعدها جسده لعتمته، لتبادره (ريم) قائلة في جزع:

-هل ستقتل أحدنا الآن، أهذا كل دورنا في خطتك

الجهنمية هذه؟.

ولكنه تجاهلها، وهو يحدث (وائل) بنفس اللغة الغريبة، فاستدار (وائل) وعاد في الطريق مسافة عدة أمتار ثم توقف، وأشار لـ(ياسين) ليتقدم نحوه، ثم أشار لصخرة متوسطة الحجم، وقال شيء لم يفهمه فترجمه له (الرسول):

-حطم هذه الصخرة ليخرج الأموات.

وعلى أثر عبارته، شهقت (ريم) في حين قالت (سعاد) في رعب:

-لا تستمع إليه يا (ياسين) لا تخرج الأموات من قبرهم.

ولكن (ياسين) تقدم من المكان المقصود بكل ثبات، تدفعه قوة قاهرة لم يستطع مقاومتها، وانهال بقبضته على الصخرة التي صارت فتات، لتكشف تحتها لفافة كتانية عجيبة ملفوفة مثل اللفائف التي تحيط بمومياوات قدماء المصريين..

كان (الرسول) يدرك أنها من مخلفات أعداء العالم العلوي الذين أبادوا مدن جوف الأرض وقاطنيها، وأنها عبارة عن عمل سفلي من تلك الأعمال التي حولت المتاهة لشرك قاتل، وكان مستعد له جيدًا..

لذا فإنه شد جسده القوي، عندما ارتفع صوت (وائل) الذي أخذ يتحدث بتلك اللغة العجيبة، موجها حديثه لـ(ريم) التي ظهر عليها الفزع، وهو تصرخ فيه:

-لا أفهم.. لا أريد الموت.

في نفس اللحظة التي ترجم (الرسول) حديثه قائلا:

-ليجتمع الحي والميت، ولتختلط الدماء.

ظهر الرعب على وجه (ريم) وتلك القوة القاهرة تدفعها نحو المكان الذي توجد به اللفافة، التي كشف عما بداخلها (وائل) ليظهر هيكل عظمي محترق لكائن غريب له رأس عملاقة، وتنتهي أطرافه بثلاث أصابع، وقد علقت في كل عظامها صرر كتانية مغلقة.

وبشكل مفاجئ تقدم (وائل) من (ريم) وهجم عليها، ومزق ثيابها، وهي عاجزة عن الحركة، لتظهر أمامهم عارية كما ولدتها أمها، لتشيح (سعاد) ببصرها عنها، بينما (ياسين) على وقفته المتصلبة بعد أن أنهى مهمته بتهشيم الصخرة، ليرقدها (وائل) بعنف بجوار الهيكل العظمي المخيف، ويثبت جسده لتعود لها تلك الرؤى الدموية..

إنها تعرف أنها لم تكن الوحيدة في مصر التي سلمت نفسها للشيطان في وقت مبكر، وأنها تمارس طقوس عبادته منذ

فترة مراهقتها مع الألاف غيرها.

وأنه من ضمن هذه الطقوس أن تنضم كطبيبة ضمن تلك الشبكة الدولية، التي أحد فروع نشاطها غير المحدود هي اختطاف الأطفال والصبية الأقل من أثني عشر عاما، سواء لتقديمهم كقرابين مباشرة للشيطان، أو بوسيلة غير مباشرة لأتباعه..

إنها لا تتذكر عدد الأطفال اللذين قامت بانتزاع غددهم الصنوبرية، بعد تعذيبهم بشكل وحشي، كان يصل لأن تقوم بسلخ وجوههم أحياء دون تخدير، كي يعاني الطفل من الألم والخوف والصدمة الهائلة فينتج جسده كمية (أدرينا كورم) مركزة في الغدة الصنوبرية.

تلك الغدة التي كان يتم استخراجها أو تناولها مباشرة مع دماء الأطفال أنفسهم، لتؤخر اعراض الشيخوخة لأتباع سيدها، ولمن يدفعون ثمنها الخيالي من المشاهير والراغبين في الشباب الدائم عبر العالم، لذلك يظهر معظم الأثرياء والمشاهير، أقل من عمرهم وأكثر صحة.

كما أنها تعلم أن معظم الدول التي يتم تدميرها بالحروب والثورات والإفقار الاقتصادي هي مجرد أماكن لتفريخ اللاجئين، والذين يتم حصدهم من أجل هذه الطقوس والاغراض الشيطانية عبر العالم، وأن هناك ما لا يقل عن ٨

ملايين طفل مخطوف في العالم سنويا بشكل ممنهج، وأن أسعارهم تتضاعف مع الوقت، فهي تجارة كبيرة، والجميع متورطين فيها.

لقد كانت هي أشرهم بالفعل، ولم تحرم نفسها من هبة (الأدرينا كورم) التي دفع ثمنها الأطفال والصبية، لذلك تظهر أصغر من عمرها بعشر سنوات على الأقل، ولهذا السبب لم تستطع أن تفشي سرها لأحد، ورغم أنها أدركت الآن، أن الشيطان لن ينقذها، وأن هذه اللحظات المفزعة، هي لحظة القصاص.. ولكنها تضرعت له من دون الله..

ولكن (وائل) لم يمهلها أكثر، ولم يمنحها أي وقت إضافي لتجتر ذكرياتها، أو تتضرع لشيطانها الملعون، وهو ويتناول من جوارها صخرة مسننة، ذات مقدمة حادة، ليطعنها بها في قلبها دون تردد.

ليحدث بعدها شيء رهيب..

فقد انتفض الهيكل العظمي الرهيب، وتوهجت جميع الصرر الكتانية المعلقة في عظامه، قبل أن تتفجر منها دماء سوداء داكنة لتختلط بدماء (ريم) التي أغرقت كل شيء، وسط صرخات (سعاد) التي لم تتحمل الموقف، فصرخت قبل أن تفقد الوعي:

-سنموت جميعا.. سيتسبب في قتلنا هذا اللعين.

وفي اللحظة التي امتزجت فيها دماء (ريم) بالدماء التي انبثقت من الهيكل العظمي، ردد (وائل) بعض الكلمات بتلك اللغة الرهيبة، ولم يترجمها (الرسول) هذه المرة، لأن نتيجتها ظهرت أمام عينا (ياسين) اللتين جمدهما الرعب..

فقد ظهر خط طويل من علامات فسفورية مضيئة، بعضها ظاهر، وبعضها دفن تحت الصخور والاحجار، ولكنها كانت كافية ليشاهدوا مسارها العجيب.

ليسمعوا بعدها صوت الصخرة التي تفتت، وهي تعود لسيرتها الأولى، لتدفن تحتها (ريم) والهيكل العظمي المخيف، وليستفيق (وائل)، ليجد نفسه قابضا، على تلك الصخرة الغارقة في دماء (ريم)، ليلقيها في فزع، وهو ينظر حوله متسائلا في جزع:

-أين ريم؟.

ولم يتلقى من أي شخص أي إجابة، فتهاوى جالسا بجوار الجدر الحجري يلهث من فرط التعب، غير مستوعب ما حدث.

نهاية الضبع

عندما استعادت (سعاد) وعيها، وعادت لها ذاكرتها، وتخطت صدمتها العنيفة بموت (ريم) انطلقت في ثورة عاتية، نحو الرسول، دون أن تجرؤ على الاقتراب منه.

وبالطبع لم يبال (الرسول) بغضبها أو ثورتها، وهو يؤكد على الجميع أن يتبعوه بصمت تام، كي لا يستفزوا أطياف الجبل، القادرة على سرقة أرواحهم ذاتها، فظهور العلامات تعني تحررهم من قيودهم، وامتلاكهم القدرة على التجسد، وأنها أصبحوا الآن في كل مكان بالمتاهة.

زرعت كلماته في قلوبهم خوف بلا نهاية.

وخوفهم هذا منحهم قدرة مضاعفة على السير حتى ابتعدوا لمسافة كافية عن هذا المكان المشؤوم، وتمنوا من أعماقهم ألا يقابلونها أبدًا.

وبعد السير على الأقدام لسبع ساعات متواصلة في هذا الطريق المنحدر، دون لحظة راحة عبر ممرات جبلية منسية منذ قرون عديدة متتبعين العلامات الفسفورية، وبعد أن عبروا ممر من الأشواك، والتي لا يمكن أن تنبت في مثل هذه الأرض الصخرية إلا بوسيلة غير طبيعية..

تلك الأشواك الحادة التي نشبت في جلودهم، ومزقت

ملابسهم وأسالت دمائهم، فشعروا بالجوع الشديد، والحاجة إلى إراحة أقدامهم، ونزع تلك الأشواك الحادة من جلودهم التي تقرحت بسببها.

كانوا محبطين، ومتعبين لأقصى مدى، وغاضبين بشدة بعد أن فقدوا أكثر من نصف رفاقهم، وجوعى لدرجة أن معظمهم أصابهم الغثيان والدوار.

وفي النهاية، اكتفوا بتناول بعض الماء الذي أسكن قليلا من عواء معدتهم، من تلك القنينة العجيبة الشكل التي منحها لهم (الرسول) وهم يلعنون في سرهم أنفسهم، ومن قبلهم ذلك (الرسول) الذي لا يتوقف عن التنكيل بهم؟!

وبعد راحة قصيرة واحباط كثير، شرعوا في السير وهم صامتون، وكأن على رؤوسهم الطير، حتى أوصلتهم العلامات الفسفورية إلى مدخل نفق ضيق شديد الكآبة يخترق بطن الجبل، ذكرهم بمدخل القاعة الرهيبة التي كادوا بداخلها أن يصابوا بالجنون.

وقفوا في رعب متأملين مدخل النفق، الذي كان عبارة بوابة حجرية مغلقة تهشم جزء من الجانب العلوي لأحد أبوابها، وقد تلاشت كل النقوش التي كانت تزينها، بسبب مرور الزمن وعوامل التعرية..

كان الأمر كله عجيب، وكأنها أطلال مدينة قديمة مخفاه بمهارة أسفل الجبال..

وقبل أن ينبس أيهم ببنت شفة، وجدوا (الرسول) الذي كان يقف أمام الباب بخشوع، قد سجد أمام البوابة، وأخذ يهمهم بما يشبه الصلاة السرية لعدة دقائق، قبل أن يقف وقد لمعت عيناه بذلك الضوء المخيف، وقد وضع كفه في منتصف البوابة، ثم صمت لبرهة كأنه يتلقى الوحي..

وبعدها وجدوا البوابة تهتز، مع الأرض التي حولها، ثم دوى صوت تفريغ هواء عميق، وهبط جانبي البوابة بقلب الأرض، لتكشف خلفها عن مساحة خالية، وكأنها غرفة أو قاعة استقبال لها حوائط مصقولة، حفرت في وسطها على شكل دائري، مجموعة من النقوش بلغة مجهولة، وفي منتصفها كان هناك تمثال ضخم لتلك الأفعى المجنحة الصارخة، التي أصبحوا يرونها نذير شؤم.

وكان من الواضح أن كل هذه الأشياء الغريبة الموجودة بداخل النفق، والنفق نفسه، قد أنشأتها مخلوقات عاقلة وليس بفعل الطبيعة، وهو ما أثار مخاوفهم بشدة، وجعل (ياسين) يردد في ذهول:

-إنه كشف أثرى رهيب.. كشف لا يعرف عنه غيرنا في العالم.

وبتوتر شديد قالت (سعاد):

-كل ما يخيفني أن يكون من حفروا النفق ما زالوا يقطنون بداخله، وما يفزعني أن يكونوا هم أطياف الجبل أو ما يشبههم!.

وهنا عاد (ياسين) المبهور مما يرى ليقول:

-لا يمكن أن تصنع الأطياف مهما كانت هيئتها مكان مماثل، لابد وأنهم مخلوقات ذكية لتنشأ هذه الحضارة، ربما يكون هذا هو لقاءنا الأول مع مخلوقات عاقلة، من عالم جوف الأرض.

ردت (سعاد) في فزع:

-هل يمكن أن يكون (الرسول) نفسه من مخلوقات جوف الأرض، وهل ....

توترت (سعاد) أكثر وارتجف جسدها شديد النحول، فلم تستطع أن تكمل حديثها، فقال (وائل) في عصبية:

-وهل ماذا ؟!.

ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت:

-وهل كان في رحلة صيد للعالم العلوي، عالمنا؟.

شهق (وائل)، ثم أطلق سبة بذيئة وقال:

-وكأن الأمر ينقصه خيالاتك المريضة يا (سعاد).

كان من الواضح أن شيء ما يعبث بذاكرتهم، ويجبرهم على نسيان الأهوال التي خاضوها منذ بدأت الرحلة، وأنساهم رفاقهم الذين ماتوا بأبشع الطرق، فبدا (وائل) وكأنه استرد شخصيته القديمة بلا سبب مفهوم، في حين لم يتحدث (ياسين) أو (سعاد) عما حدث لـ(ريم)، وظل (ياسين) منبهرا بما يرى، قد عاد شغفه ليشغله عن كل ما هو آت.

وقبل أن يسترسل في حديثه عن ذلك الكشف الأثري، دلف (الرسول) كعادته إلى النفق دون تردد، لتتألق النقوش الموجودة حول مدخل النفق، وتتبدل أماكنها، قبل أن يخفت تألقها، ليداهمهم شعور مخيف، تصاعد مع رؤيتهم (الرسول) وهو يختفي بقلب الظلام، بهيئته الجديدة التي مازالت تدهشهم، وهو الوحيد الذي يملك مصدرا للضوء.

وبالرغم من تضاعف مخاوفهم مع انحسار الضوء، تبعوا (الرسول) وهم يجرون أقدامهم بتخاذل إلى داخل النفق المنحدر.

كانت أرضية النفق على عكس جدرانه المصقولة شديدة

الوعورة، ومليئة بالنتوءات الصخرية والأحجار الصغيرة والمتوسطة، بل وأكثر وعورة من الممر السابق، وإن خلى من الأشواك الحادة المؤذية، وبرغم هذا لم يكن اتساعه ميزة مع كل تلك الصخور التي تعوق مسيرتهم، وتزيد من انهاكهم ومعاناتهم.

وأثناء سيرهم في النفق ظهر أمام أعينهم عرق تخين من الذهب يخترق جدران النفق لمسافة كبيرة، ويتألق بشدة، وكأنما يسقط عليه ضوء قوي مجهول..

وحذرهم (الرسول) من لمسه، كي لا يتحولوا إلى غبار، فتأكدوا أنه أي شيء إلا أن يكون ذهبا..

ربما مخلوق وحشي أخر بهيئة غير معلومة، وبريق الذهب الذي يشع منه مجرد فخ تم نصبه لسيء الحظ مثلهم.

لذلك عبروا المنطقة التي يمتد خلالها الفخ الذهبي بحذر، وواصلوا السير الحثيث خلف (الرسول)، وهم يكادوا أن يقضوا من الجوع، وأفكارهم تزداد سوداوية وقتامة.

ظهر الاعياء على وجوههم جميعا، فزادت وجوههم تجهما، ولكنهم استمروا في التقدم، وهم يشعرون بأن أروحهم كسرت أو انطفئت.

وبعد فترة من السير البطيء، صار الهواء ثقيلا، والنفق

خانقا، ورائحة عطن وعفونة تزكم أنوفهم، وهذا جعل (وائل) يهتف في سخط،

-هل نحن بقلب مقبرة ما.. ما هذه الرائحة النتنة؟.

وهنا دوى صوت (الرسول) البعيد في عقولهم جميعا وهو يقول في برود:

-ستكون كذلك، لو لم تواصلوا السير.

ردت (سعاد) بصوت منهك:

-سأموت، لم أعد قادرا على المواصلة.

ساعدها (ياسين) على التقدم، وهو يحثها على الصبر، خاصة وأن الهواء في النفق أصبح أكثر ثقلا، وبدأ التنفس يصبح أكثر صعوبة..

مخلوق ذهبي أخر يظهر على جدران النفق، جعل أفكارهم تذهب بعيدا، وكل منهم يتخيل لحظة نهوض ذلك الوحش الذهبي، وافتراسهم..

ولكن شيئا من هذا لم يحدث فاستمروا في السير الأقرب إلى الزحف، ومعاناتهم تزداد مع كل متر يقطعونه في هذا النفق الوعر.

وفجأة قطع الصمت صوت (سعاد) وهي تقول في دهشة:

-يا إلهي.. إن هذا النفق ليس طبيعيا، لقد تم نحته بوسيلة صناعية، كل المؤشرات تدل على هذا، فالجدران مصقولة، هذا غير النقوش الباهتة التي لا تلاحظها إلا عين مدققة.

وهنا رد عليها (وائل) بلا مبالاة:

-اللعنة.. أما زال فضولك مشتعلا، أما زلت قادرة على الملاحظة، إننا نكاد ننهار من فرط الجوع والعطش.

وعلى عكس (وائل) تأمل (ياسين) الجدران بحذر، ولاحظ تلك النقوش الباهتة، فقال في إرهاق:

-على الأقل نعرف الآن أن هناك من سبقنا إلى هذا الجحيم.

همهم وائل بكلمات ساخطة، ثم ساد الصمت، ومع الوقت أخذ الوضع يزداد سوءا، والارهاق يكسر عزيمتهم، ويجعلهم جميعا يلعنون قبول تلك الصفقة الشيطانية الملعونة التي أجبرتهم الظروف على عقدها مع ذلك (الرسول) الذي لا رحمة في قلبه، والذي يتعامل معهم وكأنهم عبيد له.

وبرغم هذا عادت (سعاد) تعترض في وهن، وهي على وشك فقدان الوعي:

-ألن ينتهي هذا الجحيم؟.

ليجيبها (وائل) ساخرا:

-لابد وأننا نقترب من النصف الأخر من الكرة الأرضية الآن..
أعتقد أن رحلتنا ستنتهي عند مركز الأرض.

وهذا جعل (سعاد) تفكر أين هم بالفعل، إنها لم تسمع من قبل عن وجود أي مكان باليمن يحتوي على مثل هذه الممرات الخفية المتشعبة والممتدة إلى ما لانهاية، ولا تلك المخلوقات الوحشية التي تسكن جبالها.

وثم لماذا كل طرقهم منحدرة، وكأنها تقودهم بالفعل إلى باطن الأرض؟

هل الرسول بالفعل من سكان جوف الأرض؟

وهل لهم وجود حقيقي؟

وهل لهذا هو مختلف؟

وهل هذا بالفعل طريق سري يقودهم للبئر الملعونة؟

ثم لماذا هم بهذا الهدوء، وذلك الاستسلام للرسول، كيف تحولوا لهذه الخراف المطيعة، بعد أن شربوا من قنينة الماء التي منحها لهم؟

وقطع أفكارها تعثرها، فجاهدت كي لا تسقط أرضا و(ياسين) يأخذ بيدها، ولكنها سحبت يدها من يده، وهي تصرخ بصوت منفعل:

-لن أتحرك قبل أن أتناول بعض الطعام.

كان الجوع يقرص أحشائها في قسوة، وشعرت بأن روحها تفارق جسدها، واعتقدت أن (الرسول) سيحضر لهم بعض الطعام بطريقته السحرية، كما منحهم الماء من قبل، ولكن صوته أتى عنيفا صادما، وهو يقول في صرامة:

-لا طعام، إلا لو كان أحدكم الطعام.

سبته في سرها، ولكن صوتها جاء مرتفعا، فسمعه الجميع، مما جعل أفكارهم تتلاقى، ويفكرون في جزئية وحيدة من جملته المخيفة..

لأي مدى سيتركهم جياع؟

وهل سيأتي الوقت الذي لن يكون أمامهم إلا التهام أحدهم حقًا؟

وكيف سيتم الأمر؟

هل سيكون بالقرعة؟

أم سيكون أول من يسقط منهم؟

هل ستروي دمائه عطشهم أم سيكونون بحاجة إلى ضحية أخرى؟

دوت التساؤلات بوقع أكثر قسوة في رأس (وائل)، فهو وحده، ولم يبقى غير العاشقان، ولكنه قادر على هشم رؤوسهم دون بذل مجهود..

إن أفكاره مشوشة، وشيء ما ناقص، ويحيره، هناك فجوة عميقة في ذاكرته..

ثم أخذت أفكاره كلها تتمحور حول التهام رفيقيه أو التهام رفيقيه له.

نعم فهم الطعام الوحيد المتاح الآن، وهو جائع بشكل وحشي، وفكرة التهام اللحم البشري لم تعد مرفوضة بشكل كبير..

فقط هو ينتظر توفره..

نفس الأفكار كانت تدور في رأس (سعاد)، ولكنها كانت تقاومها، ربما لأنها لم تشرب الكثير من الماء العجيب، وتركته لـ(ياسين).

لقد أفسد تفكيرهم ذلك (الرسول) الملعون، الذي لم يأكل أو يشرب أو يستريح ولو مرة واحدة منذ بدأت هذه الرحلة المشؤومة، وحتى بعد إصابته وتحوله لهذا الشاب موفور الصحة والعضلات.

ظلت الأفكار تموج في الرؤوس دون هوادة، ولم يقطع هديرها إلا صوت (سعاد) وهي تهتف في هلع:

-أنا الوحيدة التي لم تحظى بقوة خارقة، هل قواي الخارقة أن يتم التهامي؟

وعلى الفور تصادمت الأفكار.. واتسعت العيون باستنكار..

في حين تحركت أمعاء (وائل) في عصبية.

ثم أتت كلمات (الرسول) لتثير رعبهم وتبدل أفكارهم تماما، عندما قال بصوت بارد مقبض:

-الآن توفون بعهودكم، وتقدموا قربانكم لحارس البئر، فالأن سيتحدد الطريق بالدماء، التي سيريقها بنفسه المقبل على الموت، التضحية أو هلاك من تحب، ما يبدأ بالموت ينتهي به.

وفي هلع رمقوا ثلاثتهم (الرسول) الذي أنهى حديثه في بساطة، ثم تبادلت العيون النظرات، و(سعاد) تتراجع قائلة في فزع:

-لا يا (وائل) لا تقترب مني، وأنا يا (ياسين) حبيبتك، فهل ستلتهم حبيبتك؟.

وهنا قطع حديثها صوت (الرسول) البارد، وعيناه

الخبيثتان تمسحان وجوههم المكفهرة ليقول ببرود:

-ليس أنت يا (سعاد) لم يحن أجلك بعد، (ياسين) هو المقصود، وعلى يديه سنعبر المانع الأخير.

وفور أن أنهى عبارته انحبست أنفاس (سعاد) في صدرها غير مصدقة، في حين تثبتت نظرات (وائل) على وجه (ياسين) النحيل، الذي منحهم جميعا ابتسامة مرحة لم تناسب الموقف أو ما يدور في صدورهم، وكأنما لم يعلن (الرسول) حكمه بإعدامه منذ لحظات، بينما تجاهل (الرسول) ردود أفعالهم وأكمل قائلا:

-(ياسين) يمتلك كل صفات الضباع، فعلى الرغم من كونه مقامر ذكي وصياد فرص ماهر، إلا أنه يبحث دوما عن هذه الفرص والمكاسب وسط القمامة والفضلات، ويتغذى مثل ضباع عالمكم على الجيف الميتة، لهذا أختارك يا (سعاد) فأنت جيفة ميتة، وقادرة على فعل كل الشرور وتبريرها.

وفارسك الهمام يشبهك كثيرا، إنه لم يتورع قبل الانضمام إليكم على النصب على مريضة بالسرطان، وسرقة مدخراتها، وكسر قلبها، وتركها تموت ببطء، وجعل أهلها يتحسرون عليها، برغم أنها كانت قاب قوسين أو أدنى من التعافي من ذلك المرض الخبيث، الذي يدرك جيدا، كيف ينهش في الجسد والروح؟ وكم يعذب المصاب به؟ بحكم كونه يعاني

من اللوكيميا، سرطان الدم، وهو في المرحلة الأخيرة منه، وحاول بانتحاره أنه يسبق قدره المحتوم!.

شهقت (سعاد) من هول الصدمات التي تتوالى على رأسها، في حين دوت في عقل (وائل) فكرة مختلفة، مفادها أنه كان يفضل لحم (سعاد) الطري على لحم (ياسين) الرجولي القاسي المصاب بالسرطان، ولكنه في النهاية عاد ينصت لـ(الرسول) الذي أضاف قائلا:

-لم تكن هذه أول جريمة قتل يقوم بها (ياسين)، بل سبقها جرائم مماثلة في حق فتيات أخريات انتحرت إحداهن بسببه، وجريمة قتل أخرى عن عمد ومع سبق الاصرار والترصد.

إنه قاتل بالفطرة، وكذاب ماهر، ومراوغ لئيم، ولذلك فهو يستحق مصيره، لو كان في هذا أي عزاء لكِ .

وهنا عادت كل الأنظار لتتوجه نحو (ياسين) وانهمرت دموع (سعاد) المصدومة دون أن تستطع أن تعقب، فلم تكن تتخيل أن يكون (ياسين) مهما كانت مساوئه قاتلا، ومخادعا بهذا الشكل البشع.

بينما تسمر (ياسين) في مكانه وهو ينظر نحو الأرض، قبل أن تلمع عيناه ويبتسم ابتسامة واسعة لا يتحملها الموقف،

ويقول بصوت هادئ لا حزن فيه أو ندم:

-أنا (ياسين عبد الفضيل المفتي)، الذي أحرق شمعة حياته من الطرفين، أكذب كما أتنفس، وأنتزع الفرصة من بين أنياب الليث، وأسرق من الحياة كل ما تصل له يدي، بعد أن سرقتني الحياة وكافأتني بالمرض، والعوز، والفقر.

أنا (ياسين عبد الفضيل المفتي)، القاتل والقتيل، والظالم والمظلوم، وعلى كل حال كان العقد الخبيث فرصة إضافية لأحظى بحياة حقيقية ولو لوقت قصير..

إنني هارب طوال عمري من جريمة ثأر دفعت إليها دفعا، تحت تأثير من كانوا حولي وهم أقرب الناس لي، تحت مسميات الرجولة والشرف وغيرها!!

وكأن أمي وأخوتي لن يستطيعوا الفخر أو النوم إلا لو تخضبت يدي بدماء شخص بريء..

نعم شخص بريء فمن وقع عليه الاختيار لأقتله، لم يكن هو نفسه من قتل أبي، بل أفضل شخص في عائلته، ليكون للثأر قيمة أفضل وأكبر، وهو فكر عقيم ومتخلف ومستمر، ولكن من يملك الاعتراض.

أنا (ياسين عبد الفضيل المفتي) الذي يقف له سوء الحظ بالمرصاد؛ فالمرض الخبيث يمزقني منذ ثلاثة عشر عاما،

أقاتل منذ سنوات في معركة خاسرة لم أرغب في خوضها، ووجودي معكم في هذه الرحلة منحني أكثر مما كنت أريد وأتمنى.

أنهى عبارته الأخيرة ثم استدار ليواجه (الرسول) وأشار نحوه قائلا:

-وأنت أيها المتحول البغيض منحتني وقتا إضافيا لم أكن لأحظى به عندما هممت بالانتحار وإنهاء حياتي بيدي، أنا الفائز في كل الأحوال، فقط لم أتوقع أن تأتي النهاية سريعة هكذا، خاصة بعد أن سرقت (سعاد) قلبي، وبادلتني الحب، ومن أجلها وحدها أنا مستعد للوفاء بعهدي والتضحية بنفسي، فهي كل من أحب في هذه الدنيا .

شهقت (سعاد) وحاولت أن تندفع نحوه، ولكن قوة خفية منعتها، فقالت في ضراعة:

-لا يا (ياسين) لا تقتل نفسك من أجلي، كلنا أخطئنا، وكلنا نستحق فرصة ثانية.

ابتسم لها (ياسين) بامتنان، ثم أطلق ضحكة عصبية، وقال بتوتر:

-لا يوجد زهور تنموا بقاع المستنقع يا حبيبتي، قصتنا منتهية من قبل أن تبدأ، وأنا قد حظيت بفرصتي الحقيقية يا

(سعاد) حظيت بكِ.. ولا حاجة لي بالحياة، لو كان الثمن أن أفقدك.

قالها ثم استدار مرة أخرى وغمز بعينه اليسرى، وهو يرسم على وجهه ابتسامة باهتة وأضاف:

-لا تكتئبوا هكذا يا رفاق، لقد جعلني هذا (الرسول) الخبيث.. أؤمن أخيرا أن الموت أرحم من الحياة لمن هم مثلي، وعلى الأقل سأوفر لكم الطعام .

كتمت (سعاد) دموعها، وهو تتخيل نفسها تلتهم لحم حبيبها الذي نهشه السرطان، فالحقيقة في أحيان كثيرة لا تكون مؤلمة فقط، بل مؤذية.. ومثيرة للاشمئزاز..

وبكل هدوء عاد (ياسين) ليستدير ويواجه (الرسول) الذي كان يرمقه بعين صقر وهو يقول بصوت بارد:

-أنت أيضا كذبت على أيها المتحول المخادع، فقد انقذتني من الموت، لتهبني مجددا إليه، إنك شيطان حقيقي.

رمقه (الرسول) بعينيه الضيقتين، وقال ببرود:

-الجزاء من جنس العمل أيها الضبع، أليس هذا ما يقوله بني جنسك، لا أحد يهرب من قدره، أنت ميت من اللحظة التي قتلت فيها ذلك الرجل الغافل، وفقدت روحك عندما حطمت

قلب تلك الفتاة المسكينة المصابة بالسرطان، وتسببت في انتحار أخرى، ومنتهي منذ وقعت بدمائك على العقد، أنا فقط أجلت الأمور لبعض الوقت، وقد حان وقتك، فهل أنت مستعد الآن للتضحية، أم مستعد لتقدم من تحب بدلا عنك؟!.

هز (ياسين) رأسه، وكأنه يهضم العبارات السابقة، ثم واجه رفيقيه، وقال في أسى حقيقي:

-على الأقل أصبح لموتي فائدة الآن، لم أعد مجرد فريسة أو رقم في قائمة ضحايا ذلك الوحش السرطاني الشرس الذي يسري في دمائي.. وربما هو تعويض عن كل ما ارتكبته في حياتي من موبقات، وعلى كل حال لقد حظيت بأكثر مما كنت أتمنى بالفعل.

ما يزعجني فقط هو فراقك يا (سعاد)، وموتي دون أن أعرف الهدف الشيطاني من استعبادنا، والغرض من هذه الرحلة المهلكة، لن أدعي الحكمة بأثر رجعي، وأقول إنه لم يكن علينا الموافقة على عرضك الخبيث شديد الكرم بإنقاذنا من بين براثن الموت، برغم أنه من العروض التي لا يمكن رفضها، ولكنني على يقين تام بأننا جميعا سندفع الثمن غاليا.

همهم رفيقيه، دون أن يستطع أي منهم رفع بصره إليه، فتقدم (ياسين) من (الرسول) وقال في نفاذ صبر:

-هلم إنه الأمر.. لا تجعل هذا العذاب يطول أكثر.

وهنا أشار له (الرسول) ليقترب أكثر، وقال في خبث:

-شجاعة لا تخرج من ضبع، هذا هو ديدن اللحظات الأخيرة، تُخرج من المرء بعض الأشياء غير المتوقعة، كنت أتمنى أن أمنحك بعض الإجابات، ولكن لا وقت لدينا، فالقربان يجب أن يقدم في موعده، وحارس البئر يكره الانتظار، لقد التقيته في دورة سابقة، ولكنك لا تذكر هذا.

لم يبالي (ياسين) بحديثه، ففي اللحظات الأخيرة لا تهم أي إجابات، واقترب منه بشجاعة قلما مارسها طوال رحلة هروبه، فوضع (الرسول) يده على رأسه، بعد أن ناوله خنجر حاد مرصع بجواهر سوداء وحمراء تكفي لجعلهم جميعا أثرياء بين ليلة وضحاها، ثم قال بصوته الجهير المثير للرهبة والفزع:

-البداية هي النهاية، والنهاية هي البداية، والأصل واحد، لتتوحد مع أصلك فرحلتك أوشكت على الانتهاء .

أغمد (ياسين) الخنجر الأثري العتيق في قلبه مباشرة، وأخذ يشهق وهو غير مصدق ما حدث، وعجز عن التأكد من كونه هو من قتل نفسه، أم أن قوة خفية دفعت الخنجر في أحشائه؟

وفي اللحظة التالية أغرقت دمائه صدره في الموضع الذي يحتله القلب، وأغرقت الأرض من حوله، وسط صرخات (سعاد) الملتاعة، في حين راحت الأرض تتشرب الدماء وترتجف، والهواء يتوتر، وتعصف بهم رياح ساخنة، قبل أن يدوي صوت انفجار مروع، أطاح بالجميع، ما عدا (الرسول) الذي وقف كالجبل أمام الريح العاصفة، ليتفتق جزء من الجدار الصخري الأيمن، وتنهار بعض صخوره ليكشف عن ممر مظلم بشكل غير طبيعي، يموج بأصوات رهيبة لا يمكن أن يتحملها بشر، وتخرج من داخله رائحة مروعة شديدة البشاعة، ذكرتهم على الفور بكل ما تناقشوه حول البئر، ورائحته الشنيعة، وكيف أنه يموج بأصوات الخطاة والمعذبين من الجن والشياطين..

الأمر كان مروعا ولا يمكن وصفه بسهولة، فمن يسمع هذه الأصوات لابد وأن يجن، أو يصاب على الأقل بالصمم.

(سعاد) لم تتحمل تلك الأصوات الجحيمية، وفقدت وعيها على الفور، بينما اندفع (وائل) ليقول في اضطراب، وهو يقاوم فقدان الوعي:

-كيف يكون هذا الجحيم على الأرض دون أن يكتشفه أحد، أو ترصده الأقمار الصناعية التي تجوب الأرض ليل نهار؟.

مد (الرسول) يده ليتناول الخنجر وينتزعه من قلب (ياسين)، ويمسحه في ثيابه في هدوء شديد، قبل أن يرمق (سعاد) فاقدة الوعي ويدير رأسه لـ(وائل) الذي يكاد يلحق به، ويجيبه ببرود:

-لأن المدخل ليس على هذه الأرض

قالها ثم أدار عصاته صوب جثة (ياسين) الغارقة في دمائها:

وكان ما فعله بشعا..

بل شديد البشاعة..

فمن طرف عصاته انطلق عمود هائل من اللهب، أصاب جثة (ياسين) فتأججت بالنيران على الفور، وكأنها مغمورة بسائل سريع الاشتعال، وعبق المكان رائحة الشواء واللحم المحترق.

وفي قلب الممر المظلم انطلق زئير مخيف، فقال (الرسول) بصوت يحمل الكثير من الاحترام:

-لقد أحضرت لك القربان، وطهرته بالنار، فتقبل أُضحيتي.

وهذه المرة كان الزئير المروع قريبا جدًا، فشد (الرسول) جسده في قوة، ووقف في مكانه ثابتًا لا يصدر صوتا ولا

حركة، ومن خلفه انبعث صوت شيء ما يزحف، ثم صوت سحب ثقيل، وبعدها اختفت جثة (ياسين) إلى الأبد، وأُغلق الممر المظلم، وعادت الصخور لمكانها، وساد الممر صمت رهيب معبق برائحة كريهة كرائحة الموت.

ولأول مرة منذ زمن سحيق، يفصح وجهه عن ابتسامة..

ابتسامة شيطان زنيم.

وفي اللحظة التالية، خرجت دوامة سوداء من تحت الأرض، والتفت حول (الرسول) الذي اتسعت عيناه في ظفر وراحة، وعادت لتضم معه (وائل) و(سعاد) فاقدي الوعي، قبل أن تسحبهم إلى الأعماق..

أعماق بئر برهوت..

الأعماق التي لم يصل لها بشرى قط.

المصير

استفاق كل من (وائل) و(سعاد)، ليجدا أنفسهم ممددين، بقلب غرفة مضاءة بإضاءة شديدة الخفوت، تجعلهم بالكاد يتحركون دون أن يتخبطا في بعضهما البعض، وبالكاد يبصرون حدودها المشوشة، مع رائحة كريهة غريبة أصابتهم بالدوار.

كما ساد في المكان صمت رهيب، وكأنما خلا العالم من الأصوات، أو تم وضعهم بداخل غرفة معزولة، شبيهة بتلك الغرف التي توجد في بعض عيادات الأنف والأذن، لدرجة أن أدنى حركة من أي منهم، كانت مسموعة بشكل كبير للطرف الأخر، كما أن صوت تنفسهم كان يسبب لهم الكثير من الإزعاج..

ومع عجزهم عن الرؤية الجيدة، والصمت المطبق المحيط بهم، والرائحة التي لا تطاق، أصبحوا موقنين أنهم بداخل قبر من نوع ما..

ولما تعمقت الفكرة بعقل (سعاد) وجدت نفسها بدون أن تشعر، تمد يدها المرتجفة لتقبض على يد (وائل) الباردة، والذي لم يستوعب ما تفعله للوهلة الأولى، قبل أن يعود عقله للعمل فينتهز الفرصة السانحة، ويقبض على يدها النحيلة

ليشعرها ببعض الأمان، وقد دارت في عقله أفكار لا تناسب موقفهم المزري، فقالت (سعاد) في رعب:

-هل تم دفننا أحياء.. أهذا هو مصيرنا النهائي.. أين ذلك (الرسول) الحقير، هل بعد أن أتممنا مهمتنا يلقينا في هذه الجب المظلم، ثم ما هذه الرائحة الكريهة، إنني أكاد أن ألفظ روحي خارج جسدي بسببها؟.

كانت الرائحة بالفعل مفجعة، ولكنها كانت أخر ما يزعج بال (وائل) في هذا المكان المقبض، فالمكان كله صامت لا يحمل لهم أي ود كما لو كان قبر بالفعل، كما أنه خال من كل مقومات الحياة، وكأنهم تركوا في هذا المكان الجهنمي ليصابوا بالجنون، ويقضوا جوعًا وعطشًا..

ولذلك حاول (وائل) أن يقتحم بعينيه أستار الظلام، لعله يعثر على مخرج أو على (الرسول) نفسه ليخبرهم بمصيرهم النهائي، ولكن ضعف الإضاءة حال دون ذلك، فقال بتردد:

-عقلي يرفض أن هذا هو مثوانا الأخير، وأنا متأكد إن عاجلا أو أجلا سيظهر (الرسول) اللعين، فلو كان يبغي موتنا، لما كنا نتناقش هنا الآن.

وعندما همت (سعاد) بجداله، دوى في عقليهما صوت قاسٍ مروع، فشعرا بأن أدمغتهم تكاد تسيل من الألم عبر عيونهم،

قبل أن يهدأ الأمر، ويتحول الصوت الموجع إلى صوت مفهوم يقول بلهجة عجيبة:

-لقد انتهت مهمة (رسول الموت)، ولا مانع لدي من أن تلقوا عليه نظرة وداع .

شهقت (سعاد)، وعقلها يحاول أن يترجم تلك الجملة المرعبة، التي يجهلون كل شيء عن قائلها، والتي قد تعني نهايتهم، في حين هتف (وائل) بسرعة:

-أمعنى هذا أن موعد موتنا قد حان؟.

صرخت (سعاد) في يأس:

-لا لا.. ليس بعد كل هذا الجحيم الذي خضناه.

وهنا عاد الصوت المفزع ليخترق رؤوسهم بقسوة، قائلا:

-الآن تلقوا نظرة الوداع.

وكان المشهد الذي رأوه أمامهم أبشع من كل كوابيسهم، فمع انتهاء الجملة، شفت جدران الغرفة المظلمة من حولهم، لينكشف حولها قاعة عملاقة ذات إضاءة متوهجة، وظهر في منتصفها (الرسول) ببنيته القوية، فاقد الوعي، مصلوب على قضبان فضية لامعة، خرجت منها مئات الإبر الحادة غُرست في كل جزء من أجزاء جسده، وأخذت تستنزف دمائه ببطء

شديد، وتلقي بها في مجرى معدني عجيب، ينتهي أمام أغرب وأبشع كائن وقعت عليه أبصارهم في حياتهم كلها.

فأمامهم انتصب كائن خرافي، له جسد أفعي يزيد طوله عن الثلاثة أمتار، مغطى بحراشيف لامعة، وله جناحان مشعان كبيران يخفقان بلا توقف، يعلوهم وجه شاحب بشع غير محدد الملامح في منتصفه عين واحدة مشقوقة كأعين الثعابين، وفم تخرج منه أنياب حادة مسننة.

وما أن وقع بصرهم عليه، حتى دوى الصوت القاسي في رؤوسهم:

-اسجدوا للسيد الأعظم.

الصدمة جمدتهم في مكانهم، فلم يستجيبوا لأمر ذلك المخلوق المرعب، ليشعرا بعدها بآلام رهيبة في رأسيهما، وكأن خلايا عقليهما تذوب، فسجدا على الفور دون تأخير، ليدوي في رؤوسهم ذلك الصوت القاسي قائلا:

-عدم الطاعة يعني الكثير من الألم.

واستدار بوجهه نحو (الرسول) وأضاف:

-أو الموت بنفس الوسيلة.

كان الموقف أكبر من فهمهما واستيعابهما، ولكن (سعاد)

كان قد فاض بها الكيل، فهتفت وهي ساجدة بصوت يائس:

-لتقتلنا إذن الآن.

ليصدمها الصوت القاسي:

-الآلهة وحدها من تقرر وقت الموت، لا العبيد.

وبعدها اجتاحتها و(وائل) آلام عقلية عنيفة لا يمكن لبشر تحملها، ثم بدئا يسمعان تلك الأصوات الرهيبة المزلزلة التي تحمل آلام المعذبين المحبوسين في متاهة البئر الملعون، وشعروا بزلزال من الألم يصعقهم، وقبل أن يفقدوا الوعي عاد الصوت القاسي ليسحق عقولهم قائلا:

-مازال هناك الكثير من الألم ينتظركم، لقد امتصصت كل ذكريات ومعارف (الرسول) فور عودته من العالم العلوي، ومن دمائه تعلمت لغتكم، وكل شيء عنكم وعن عالمكم، وأعرف كيف أجبركم على الطاعة!.

وهنا كان الألم قد هزم (سعاد) تماما فقالت في خضوع:

-ونحن تحت أمر وخدمة مولانا العظيم، فقط أوقف هذا الألم الشنيع، إن الرائحة وحدها تكاد تقتلنا.

وفي اللحظة التالية تضاعف الألم، مرات ومرات، وراح جسد (سعاد) ينتفض في قوة، لدرجة أنها شعرت بأن

روحها ستزهق، والصوت القاسي يدوي في صرامة:

-العبيد لا يأمرون، أو يطلبون، أو يتذمرون، العبيد فقط ينفذون.

وهنا أجبرت (سعاد) جسدها على الحركة، وتبعها (وائل) كالمغيب، وسجدوا سويا أمام السيد الأعظم، الذي راحت أجنحته تهدر في انتشاء، قبل أن يذهب عنهم الألم ببطء، وبرغم هذا ظلوا على سجودهم حتى أمرهم بالنهوض..

وهذه المرة تأملت (سعاد) وجهه الشاحب البغيض، وعيناه الوحيدة المشقوقة من منتصفها كأعين الثعابين، وقالت بدون وعي، والرعب يسيطر على روحها:

-أأنت الدجال؟.

انطلقت من المخلوق ما يشبه القهقهة، ثم عاد صوته القاسي، ليرجم أدمغتهم قائلا:

-بل أنا إلهكم، أنا الأوحد من نوعي، وأنا الخالد.

كانت هناك العديد من الأسئلة تدور في عقل (وائل) و(سعاد)، على الرغم من حالة الرعب التي تملكتهم، ثم تذكرت (سعاد) مشهد في أحد الأفلام التي شاهدتها مؤخرا، وألهمها بأحد الأفكار العبقرية، فطبقتها على الفور، بعد أن

أدركت مقدار نرجسية وغرور هذا المخلوق المروع، فقالت بكل خضوع وتذلل، ومسكنة:

-أيها السيد الأعظم، أيها الخالد الذي لا أحد من نوعه، هل تُشرّف عبيدك ببعض المعرفة، إننا لا نطلب ولا نأمر، نحن نرغب في العلم، لنخدم في تفاني، ولأننا لا نملك علمك ولا سلطانك، فامنحنا العلم لنكون طوع بنانك، فنحن ذقنا ألمك، ونطمع في كرمك.

هذه المرة بدا أن (سعاد) قد لعبت على الوتر الحساس لدى المخلوق شديد الغرور، فقد انتشى، وخفقت أجنحته بسرعة كبيرة، وتحرك ذيله في حبور، بعد أن ظفر بنصره السريع عليهما، فتراخت سيطرة صوته على عقليهما، وسمعته يقول لـ (وائل) كنوع من احتقاره لها:

-علمي المطلق يخبرني أن الإناث في عالمكم لا يتوقفون عن الثرثرة، وفضولهن أعظم من مخاوفهن، وأن كل ما ترغب رفيقتك في معرفته هو مصيرها النهائي، وربما أيضا لماذا استحق (رسول الموت) هذه النهاية التي تراها غير عادلة بعد أنا بذل كل هذا المجهود عبر السنوات، وخدم في تفاني!

ولأن كرمي لا حدود له، سأخبركم الحقيقة المجردة، الحقيقة التي لم يعرف بها أحد منذ خمسة ملايين عام من توقيت عالمكم، فقد مللت أن يكون محدثي الأوحد خلال

هذا الزمن السحيق هو (رسول الموت) الخائن.

شهقت (سعاد)، وتذكرت لحظات شرود (الرسول)، وسجوده عند كل بوابة تحمل نقش الأفعى المجنحة، وتلك الكلمات الرهيبة التي كان يرددها، في حين ندت عن (وائل) حركة استنكار وأدها في مهدها وهو يردد في غير وعي، متحاشيًا أن ينظر مباشرة لعين المخلوق الوحيدة المخيفة:

-(الرسول) خائن؟!!.

عاد الصوت القاسي ليدوي في عقولهم بصرامة:

-الفشل عندي خيانة عظمى.

وخافت (سعاد) أن يفسد (وائل) الأمر فقالت بخنوع وخضوع:

-معذرة يا مولاي، نحن لم نصل لذروة حكمتك لنحكم، ولكن عقولنا القاصرة تخبرنا أن (الرسول) قد نجح في الوصول إلى المدينة الأخيرة في النهاية، والدليل على هذا أننا هنا، وأننا في حضرتك العظيمة.

توتر ذيل المخلوق وعادت أجنحته لتخفق في قوة، وتحرك في عصبية، قبل أن يتردد صوته القاسي في عقولهم قائلا:

-نعم نجح في الوصول، ولكن متأخر جدًا، بعد أن انتهى كل

شيء، إنه أخر أفراد شعوب جوف الأرض، وبموته لن يكون لهم ذكر أو أثر، وسيجبرني هذا على إعادة بناء كل شيء من نقطة الصفر.

ساد صمت تام بعد جملته، ولم تجرؤ (سعاد) على التمادي في التساؤلات، مع هذا المخلوق القاسي، الذي ينظر لنفسه على أنه إله قادر، كما أنه قادر على عقابها بسهولة، ولكن كان من الواضح أنه هو من يرغب في الثرثرة، بعد أن تناسى عجرفته، فأكمل حديثه قائلا:

-عندما هبطت إلى هذا الكوكب قبل خمسة ملايين عام، لم يكن متوحشي العالم العلوي قد تخطوا بعد مرحلة الهمجية، ولم يبلغوا حتى أولى درجات سلم الحضارة، فعلمت أني نجوت من انفجار كوكبي، لأكون سيد هذا العالم وإلهه، ولذلك اصطفيت من بينهم أفضل السلالات، والتي تصلح للعيش في تلك البيئة التي تناسب إله مثلي في جوف الأرض، بعيدًا عن شمسه القاتلة، وجوها الغير مناسب للحياة.

ثم بدأت بتلك المجموعة المنتقاة من متوحشي العالم العلوي، أبنى هذا العالم المتكامل، وبقدراتي الفائقة استطعت أن أهيأ المكان لبدأ حضارة لا مثيل لها، فشققت الجبال، وأجريت لهم نهرا بقلب جوف الأرض.

شهقت (سعاد) وهي تتذكر ما حكته لهم (ندى) المغدورة

عن بئر برهوت، وأن كل من ذهب إليه سمع أصواتا مرعبة، وصوت نهر يجري تحت الأرض، ولكنها تركت هذه الفكرة، وأخذت تنصت للصوت القاسي:

-بعد أن وفرت لرعاياي المصدر الدائم للماء، جعلتهم يتناولون الأكسير الإلهي المُخّلق من دمائي، والذي صنع بيني وبينهم صلة عقلية دائمة، وإن كانت له أعراض جانبية عنيفة مع الجيل الأول، فمات الكثير منهم، ومن نجى أصيب بتحولات وتشوهات عنيفة، ولكنني تقبلتها منهم، خاصة وأنهم بعد الجيل الثالث أصبحوا قادرين على الحياة إلى الأبد في عالم جوف الأرض، عالمي.

ولأن العالم الوليد كان بحاجة إلى الكثير من الموارد، وبعد أن انقطعت كل صلة لرعاياي من الجيل الثالث بالعالم العلوي، وأصبح ولائهم كله لي، وانتمائهم لمملكة جوف الأرض، كونت منهم جيشي الأعظم، وبدأنا الإغارة على شعوب العالم العلوي لفترات طويلة..

وللأسف لم يكن متوحشي العالم العلوي لقمة سائغة، فدارت معارك طاحنة بين جيشي الوليد، وجيوشهم الهمجية؛ فغرقت الأرض في الدماء، وبرغم كثافة أعدادهم، وضراوة قتالهم، ولكننا حظينا بانتصارات متتالية ساحقة، دفع ثمنها خيرة جنودي، وإن طورت وثقلت من خبرتهم في مجال

القتال والمعارك.

واستمر الأمر على هذا المنوال، حتى استطعت تخليق سلالات حيوانية ونباتية تصلح للنمو بجوف الأرض دون شمس أو أي عناصر قد نحتاجها من العالم العلوي، فالجبال غنية بعناصرها ومعادنها، وثرواتها.

وفي نفس الوقت صنعت المتاهة، درع عالمي وعقابي الأزلي، والتي كانت تتطور وتتمدد وتزداد تعقيدا وخطورة مع مضي الزمن، حتى أصبحت فخا قاتلا لا يمكن لمخلوق العبور من خلاله إلى عالم جوف الأرض دون أن تفتك به، وأصبحت خط دفاعنا الأول ضد همج العالم العلوي.

وعبر الأجيال التالية، ضاعف الأكسير الإلهي من قدرات شعبي، ومنحهم ذكاء فائق بشكل يفوق كل من وجدوا في العالم العلوي، ثم بدأت عزلتنا الكاملة.

ولحقب زمنية عديدة انهمكنا في تطوير عالمنا، وقدراتنا، ومدننا، وتناسينا وجود العالم الخارجي تمامًا، والذي لم يعد يتسلل إليه أحد غيري لأتابع تطور زبانيته، فخطتي المستقبلية كانت تشمل ضمهم لحكمي وسلطاني..

وفي إحدى زياراتي لهذا العالم سريع التطور، حدث خطأ كارثي، لم أنتبه له في حينه..

خطأ كلفني كل شيء.

فقد رصد وجودي أحد كهنتهم، وهو ساحر أريب، طويل العمر، له القدرة على التحكم في عناصر الطبيعة، والذي حمل على عاتقه نشر خبر عودة سكان العالم السفلي، بعد أن صرنا أسطورة فقدت مصداقيتها لديهم.

ولأنه لم يكن فقط ساحر مملكته، بل مستشار ملكها الدموي؛ فقد أعاد بقدراته الفذة تجسيد لحظة ظهوري أمام ملكه ورجاله، ليطلق الملك النفير، ويستنفر كل حلفائه الذين لا يقلون عنه دموية وحماس، ليعيدوا نبش التاريخ البائد، ولتهيج الأحقاد القديمة لدى شعوب العالم العلوي التي كانت قد تطورت كثيرا، وامتلكوا العلوم والمعارف السوداء..

وعن طريقها، اكتشفوا وجود المتاهة الدفاعية، وبعملية نوعية تدل على دهاء كبير، أسروا بعض جنودي، واستجوبهم كهنتهم بوسائل جهنمية لغت إرادتهم، وحولتهم لجواسيس يعملون لصالحهم..

ولأنهم شعوب وحشية مقاتلة، ولأن الأحقاد القديمة طفت على السطح، وأراد كبيرهم أن يصنع مجد شخصي بالانتقام للأجداد، وهزائمهم القديمة، لذا فإنهم حشدوا جيوشا جرارة، وقام كهنتهم بتحييد المتاهة تماما باستخدام العلوم السوداء المتفوقة، وكشفوا المداخل السرية الآمنة لها، ثم هاجمونا

على حين غرة بضراوة ووحشية منقطعة النظير..

وتصدت لهم جيوشي، ولكنهم كانوا كالسيل الجارف، يقتلون ويمزقون، ويحرقون كل ما تطاله أيديهم.

وفي وقت قياسي، دمروا عالمنا، وجعلوا جوف الأرض مقبرة كبيرة.

ولم يصمد أمامهم في النهاية، إلا مدينتي شديدة التحصين، والتي كانت مسألة وقت فقط قبل سقوطها، وكأمل أخير، قررت إخفاء المدينة، وجعل كل من فيها يتحوصلون ويدخلون في سبات عميق حتى تمر هذه المحنة، وكانت هذه هي الوسيلة الوحيدة كي تنخفض مؤشراتهم الحيوية، القادرة على كشف مكان وجودهم لمتوحشي هذا العالم العلوي.

ثم كلفت هذا الخائن وعشيرته بحفظ السر، والعودة لإيقاظنا في الوقت المناسب لنعيد إعمار عالم جوف الأرض من جديد، ونعيد حضارتنا ومجدنا، ثم نستعد لانتقامنا الكبير.

ولكن ذلك الفاشل عجز طوال مليوني عام على أداء مهمته المنوط بها، برغم تواصله الدائم معي ومساعدتي له، ولم يستطع أن يقهر المتاهة التي انقلبت علينا إلا اليوم، بعد

أن خلت المدينة من كل كائن حي أخر، وبعد أن اضطررت للتغذي على أبناء شعبي حتى أخر فرد منهم، فقد نفذت كل الموارد خلال هذه الفترة الطويلة، وفقدت المدينة طاقتها وتوقفت عن العمل بعد ألف عام فقط من الحرب.

وعندما صمت، شهق (وائل) في صدمة، في حين قالت (سعاد) في تزلف:

-وهل سيكون هذا هو مصيرنا يا مولاي ..

دوى الصوت القاسي قائلا:

-ربما سيحدث هذا في النهاية أيتها العلوية، ولكن بعد أن أحول فشل هذا الخائن إلى نجاح، فبقدومه، وبامتصاص دمائه، ملكت كل المعرفة التي كانت تنقصني، وعرفت الوسيلة التي ستمكنني من خلق شعب جديد، ونواتها ستكون أنتما الاثنان، وكما يذكر تاريخكم، ستكونان آدم وحواء عالم جوف الأرض.

ومهمتكم الرئيسية ستكون توفير الطعام لي، فأنا أحتاج لتناول الطعام كل عامين من أعوامكم، لذلك ستكون هذه الغرفة هي مأواكم الأبدي، ولدينا هنا مواد قادرة على جعلكم تعيشون لألف عام دون الحاجة لطعامكم المعتاد، وفي كل عام عليك أن تنجبي لي طفل واحد على الأقل..

وفي العام الأول ستحتفظين بالطفل، ليكون نواة لمجتمع جوف الأرض الجديد، وفي العام الثاني سيكون الطفل لي، غذاء وقربان مقدس، وهكذا عام بعد عام..

إن الاله وحده هو القادر على قلب الفشل لنجاح، وأنا قادر على هذا.

تضاربت مشاعرهم، وخفق قلب (سعاد) في قوة، وغزا روحها خوف عظيم، ولكنها كما قال (الرسول) عنها من قبل، قادرة على فعل كل الشرور وتبريرها، ولذلك سارعت وهي تجذب (وائل) من يده لينحني، ويردد معها بصوت خاضع:

-في خدمة مولاي.

وعندما أعتمت عليهم الغرفة، وأيقنوا أن الاتصال العقلي بينهم وبين ذلك المخلوق الرهيب قد انقطع، وتأكدا من أنهما أصبحا وحيدين، قال (وائل) في تردد:

-لقد ارتبطنا بمصير واحد، في هذا المكان المخيف سيء الرائحة، فهل ستطيعين السيد الأعظم فيما طلبه؟

أجابته بصوت محايد، وبدون تفكير:

-الرائحة سنعتاد عليها بمرور الوقت، ولقد ضاجعت من قبل ثلاثة من الشياطين، وأنجبت مسخ بثلاث رؤوس، من أجل

رجل حقير اختار جارتي البدينة وأحبها وفضلها علي، وأنت لست أكثر حقارة منه، ولكن في البداية فلنتزوج، لنجعل هذا الرباط مقدس في عالم غير مقدس، فهكذا سيكون الأمر أكثر تقبلا عندي.

نظر نحوها بغير فهم فقالت بصوت صارم:

- زوجتك نفسي.

وفي الخارج، وأثناء امتصاصه لدماء (الرسول) الذي بدأ يستعيد بطريقة ما جزء من وعيه رغم نزيف دمائه، كان السيد الأعظم يفكر، أنه بعد أن يعيد بناء عالم جوف الأرض، سيتغلب بهذا الجنس الجديد الذي سيعمل على تطويره على كل شعوب العالم العلوي، ويجعل الكوكب كله مملكته، وربما يجعله نواة لغزو الكون كله..

كما أنه بعد هزيمته الثقيلة الحالية لن يستبعد أي احتمالات، فلو لم يستطع هزيمتهم واخضاعهم لأي سبب من الأسباب، سيمحو من عقول شعبه الجديد، كل فكرة عن العالم العلوي حتى يحين الوقت المناسب.

ولن يعلم أحد أبدًا بوجود ذلك البئر الملعون الذي يقبع عالمه الجديد في أعماقه، بمتاهته التي لُعنت بسحر كهنة متوحشي العالم العلوي، والتي أصبحت فخ أسطوري

يحتجز بأعماقه أرواح كل من يقودهم حظهم العاثر إلى أحد مداخلها، والتي لم تعد تقتصر على الكائنات الذكية، بل تمددت لكل كائن حي، فلم يسلم من براثنها الطيور والحيوانات والزواحف والحشرات، وأصبحوا محتجزين بداخل دائرة زمنية مغلقة لا فكاك منهم.

وسيظل البئر، لغز محير..

وليبقى إلى الأبد أرض الجن وحدهم.

ولن يعرف أحد أخر، أن بأعماقه عالم كامل، وإله، قرر أن يحول الفشل إلى نجاح..

أما لو نجح..

فلن يرحم أي كائن حي يسير على سطح الكوكب العلوي، وسيجعل سطحه أرض خربه، مجرد سقف لعالمه التحت أرضي..

وما أن انتهت أفكاره حتى خفقت أجنحته، وأخذ ببطء يمتص دماء (الرسول) الذي كان يشعر بألم وغضب بلا حدود، بعد أن خانه إلهه الأعظم الزائف الذي خدمه بتفاني طوال مليوني عام.

وفي نفس اللحظة، وبداخل الغرفة سيئة الإضاءة، كريهة

الرائحة ردد (وائل) خلف (سعاد):

-وأنا قبلت الزواج منك.

وفي اللحظة التالية سطع في المكان ضوء رهيب، واهتز كل شيء من حولهم، وبدأت الأرضيات تتشقق، وتستفحل الرائحة الكريهة، ويتسلل إليهم صوت المعذبون في غياهب البئر والمتاهة، ثم فجأة أُعتم كل شيء، وصوت (الرسول) الغاضب المتألم يتردد في المكان بكلمات رهيبة، من لغة حتى السيد الأعظم عجز عن فهما لأول وهلة، ولكنها رجت المكان رجا، وجعلت عينا (وائل) تنقلبان، ويترجمها بشكل واعي قائلا:

-اللعنة، (الرسول) يستخدم العلوم السوداء التي أتقنها خلال عمره المديد، وسيعيد الدورة الزمنية الملعونة من البداية، وسنخوض كل هذه الأهوال مجددًا، وقد لا ننجو هذه المرة، فالدورة الزمنية، لا تتكرر بنفس الأحداث كل مرة، وهو يخبر السيد الأعظم الآن، أنه سيعود ليقتص منه ثأرا لكل شعوب جوف الأرض، بأن يقتل إلههم الزائف.. يقتل السيد الأعظم.

وبكل هدوء، جلست (سعاد) وأسندت ظهرها للجدار البارد، والاهتزازات تتزايد من حولها، والضوء يبتلع المكان، وهي تقول قنوط:

-ليس بئر برهوت هو الملعون وحده، ولكننا جميعا ملعونون، ولعل زوجي في الدورة المقبلة يكون هو (ياسين) فساعتها لن يكون هذا الجحيم، بهذا السوء، والبئر الذي يعتبر النقطة التي سيبدأ منها دمار الأرض، سيكون هو مملكتي.

وما أن انتهت من حديثها، حتى تفجرت قنبلة من الضياء في المكان، واجتاحتها حرارة رهيبة، فصرخت وهي تعاني من آلام الاحتراق..

وقبل أن يتلاشى الألم، سمعت صوت (وائل) يدوي في عقلها:

-اللعنة.. إنني أموت.

النهاية والبداية

كانت (ندى) تشعر برعب هائل، وعندما دخلت غرفتها، وأغلقت المزلاجين خلفها، وهي تلهث وقلبها يدق في عنف، تناهى لسمعها صوت أقدام تتحرك خلفها بحذر!!

وقبل أن تستدير لتستطلع الأمر، سمعت صوت شقيقها يصدم أذنيها، وهو يلف ذراعيه حول وسطها من الخلف، ويقول بكل غلاظة الدنيا، وقد بدا أن المخدرات التي تعاطاها قد محت عقله وتعقله:

-اليوم لن تفلتي مني.

حاولت أن تنتزع نفسها من بين ذراعيه الآثمين، ولكنه كان يحيطها بكل قوته..

حاولت أن تمارس معه حركات الدفاع عن النفس التي تعلمتها من اليوتيوب خلال الأيام الماضية، ولكنه كان يمسك بها ككلابة معدنية أحاطت برأس مسمار ولا تفلته.

صرخت..

فكتم أنفاسها..

نهشت يديه اليسرى بأسنانها، وكادت أن تنتزع أحد أصابعه، فدفعها بعيدًا عنه، فركضت صوب فراشها، وسحبت

من تحت الوسادة سكين مطبخ حاد، وواجهته به، وهي تصرخ فيه:

-أنا شقيقتك الصغرى أيها الحيوان.. عُد لرشدك.. سيلعنك الله على ما تفعله.

كان من الواضح أنه لا يرى أمامه، وأن الرغبة والمخدر يعميانه عن رؤية فداحة ما يحاول القيام به.

لذا تقدم منها وكل شر الدنيا يطل من عينيه..

لوحت بالسكين في وجهه حتى كادت تصيبه بالفعل، ولكنه تفادى ضربتها، وانقض عليها بكل خسة وحقارة، دون أن يوقفه أو يمنعه صراخها وتوسلاتها، ومحاولة تذكيرها له بأنها شقيقته.

وعندما مزق ثيابها وهتك سترها، شعرت بقوة خفية تسري في عروقها، فجمعت كل قوتها في قدميها، ثم دفعتها في صدر شقيقها الذي أعمته الرغبة، ليسقط من فوق الفراش على ظهره..

وبكل ما اعتمل في نفسها من غضب، وكلبؤة شرسة تدافع عن نفسها ضد هجوم حيوان ضاري، قفزت فوق صدره لتعتليه ثم أخذت تطعنه بالسكين الحاد دون توقفت حتى كلت يدها، وأغرقت دمائه وجهها وجسدها، قبل أن يعود لها

رشدها، وترى في رعب وصدمة ما اقترفته يداها..

ولدقيقة كاملة ظلت في مكانها مذهولة، وهي تنظر لجثة شقيقها الغارقة في الدماء، ثم ساحت ببصرها في أنحاء غرفتها وكأنها تودع كل شيء، ثم لفت قبضتيها حول مقبض السكين الحاد، وأغمدته في صدرها، لتنتفض من الألم، وأنفاسها تتلاشى.

كان الأمر مؤلما، ولم تصدق (ندى) أنها استطاعت القيام به، لقد أصبحت قاتلة، وستموت كافرة، إنها نهاية مفجعة لم تتخيل أن تصل لها حتى في أبشع كوابيسها.

وأثناء معانتها وحيدة في غرفتها من سكرات الموت، ومن ندمها.. ظهر لها رجل عجوز كئيب السحنة، لديه وشم بارز مخيف على رأسه، على شكل أفعى مجنحة صارخة، ويرتدي قميص أسود طويل وسروال من نفس اللون، وفوقهم عباءة داكنة طويلة ذات قلنسوة.

وخيرها العجوز الرهيب، بين الموت وحياة أخرى مازالت مفعمة بالفرص.

وكان عرضا لا يمكن رفضه..

تمت بحمد الله

أعمال الكاتب

- نصف حياة – رواية
- عزيف – رواية
- الاستدعاء الأخير – رواية
- همسات- رواية
- المسخ – مجموعة قصصية
- سايكو – مجموعة قصصية
- شمس المعارف – رواية
- لقاء مع ميت – رواية
- أوديسا الظلام - رواية
- أحبك أكثر - رواية
- الطوطم - رواية
- سايكو ٢ - مجموعة قصصية.
- بدم باردة - رواية
- مخطوطة ابن الشيطان – رواية

- سر الحانوتي- رواية
- المسلخ- رواية
- بعد الحب- رواية
- طقوس شيطانية- رواية
- الرسائل السوداء - رواية
- العفريت – رواية
- صندوق نهاية العالم-رواية

للتواصل مع الكاتب

A_elmenofy@yahoo.com

https://www.facebook.com/profile.php?id=750695622